

# عَصْرُ الْإِسْلَامِ

بقلم

عبد الرحمن الراغب

الجزء الأول

يشتمل على عهد عباس وسعيد وأهل عهد إسماعيل

الطبعة الرابعة

#### مقدمة الطبعة الرابعة

نشكره سبحانه وتعالى - وعاهي دارالمعارف  
بتشاط أبنائها تعيد طبع هذا الكتاب بعد أن أقبل عليه  
الباحثون والمثقفون والله ولي التوفيق.

كريمات المؤلف  
عبدالرحمن الراقعي

سنة ١٩٨٧

#### مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله . فهذا الكتاب سبق طبعه الطبعة الأولى  
سنة ١٩٣٧ والطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ وهو يتناول عهد  
عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل .  
والله ولي التوفيق

كريمات المؤلف  
عبد الرحمن الراقعي

سنة ١٩٨٦

## مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في ديسمبر سنة ١٩٣٢ . وشغلت بعدها بإخراج الحلقات التالية من هذه المجموعة ، وقد أهدت من الانتظار هذه السنين قبل إخراج الطبعة الثانية . إذ نسى أن أطلع على ما ظهر خلالها من كتب وتراجم ، ومؤلفات ووثائق عن عصر إسماعيل ، يتفق بعضها مع وجهة نظري في الكتابة عنه ، وبعضها يعارضها ، وقد يكون رداً عليها ، ثم أمنت النظر أيضاً في البحوث والمقالات والمخطوط التي ألفت سنة ١٩٤٥ في دار الأوبرا الملكية . وفي غيرها من المحافل والمعاهد ، لمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاة الخديو إسماعيل ، وأعدت النظر فيما كتبت عنه سنة ١٩٣٢ ، لعل أكون قد أخطأت في موضع من المواضع ، فأصحح خطئي ، أو انحرفت عن الرأي الصواب ، فأعدل عن رأيي ، ولا أضافه على الإنسان في أن يعمل عن رأيه إذا تبين له خطأه فالحقيقة بنت البحث ، والعصمة لله وحده ، على أني بعد أن استكملت هذه الدراسة ازدادت اطمئناناً إلى صحة ما كتبت وهدوت عن عصر إسماعيل ، واعتقدت أكثر مما كنت أعتقد أني لم أتجاوز فيها ذكرت له أو عليه ، وهذا هو واجب المؤرخ في التراجم ، فعليه أن يذكر ما للمترجم وما عليه ، أما أن يذكر الحسنات دون السيئات ، أو يقتصر على هذه ويفعل الحسنات ، فهذا ليس من التاريخ الصحيح ، وما لا ينبغي أن يكون أساس البحث والتدوين ، والتاريخ الصحيح يقتضي ذكر الحقائق بأكملها ، لتكون الصور التي يعرضها المؤرخ عن الحوادث والشخصيات صوراً صحيحة ، لا تشويه فيها ولا إيهام .

وعلى ذلك فإني أعيد طبع هذا الكتاب ، دون أن أغير أو أقص منه شيئاً .

فالطبعة الثانية هي ذات الطبعة الأولى . لا تغيير فيها ولا تبديل ، ولم أزد عليها سوى إضافات يسيرة بالجزء الثاني ، لا تتجاوز ثلاثاً ، وقد حرصت على أن أجعلها في هامش الكتاب ، لكي يبقى الأصل كما أخرجته أول مرة ، وأضفت إلى الوثائق التاريخية النص الكامل لللائحة تأسيس مجلس شورى النواب ولائحته النظامية ، وكنت قد لحصت أحكامها في الطبعة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الطبعة الأولى

بهذا الكتاب ندخل في غمار العصر الحديث من تاريخ الحركة القومية . إذ كان عهد الحداثة  
 إسماعيل أكثر العهود صلةً بعصرنا الحاضر ، وأقرباً منا أثراً .  
 أخرجنا قبل الآن ثلاثة أجزاء من هذا التاريخ . بسطنا في الأول منها مشأ الحركة القومية  
 في تاريخ مصر الحديث . وكشفنا عن الدور الأول من أدوارها وهو عصر المقاومة الأهلية التي  
 أفرزتها الحملة الفرنسية في مصر ، واشتمل الثاني على تمة المقاومة الشعبية ووقائعها إلى انتهاء  
 الحملة الفرنسية ، وتطور الحياة القومية من بعد ذلك إلى ارتقاء محمد علي أريكة مصر بإرادة  
 الشعب . ثم أوردنا الجزء الثالث لعصر محمد علي ، وعللنا الكلام فيه عن ظهور الدولة  
 المصرية الحديثة . وتحقيق استقلالها ، وتأليف وحدتها القومية بفتح السودان وضمه إلى حظيرة  
 الوطن ، وما تم في ذلك من جلال الأعمال .  
 وكتابنا اليوم يتضمن الحديث عن خلفاء محمد علي وه عصر إسماعيل ، وقد جسطاه في  
 جزأين ، كتاباً مستقلاً ، لإشغاله على صفحة قائمة بذاتها في تاريخ مصر القومي ، وسنقدم  
 هذا المجلد فيها نخرجه بمناسبة الله من سلسلة تاريخ الحركة القومية فنعمل لكل عهد منا كتاباً  
 مجسماً ، فالكتاب الآتي في ( الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي ) . والذي يليه من  
 ( مصطلح كامل ) ، وعلم جزأ .

إن الحقيقة من الزمن التي تولد الحكم فيها حلاس الأول . ثم سعيد . ثم إسماعيل ، هي  
 صفحة حامة من تاريخ مصر القومي ، لأنها بمثابة دور الانتقال من عصر محمد علي إلى الثورة  
 العربية .  
 القضي عصر محمد علي وإبراهيم بعد أن توطلدت دعائم الدولة المصرية المستقلة وتلبس

الأول ، فأقيمت الشخص كما هو ، وأضفت إليه نصوص اللاتحين ، وأردت من نشرها  
 استكمال الوثائق التاريخية الهامة من هذا العصر ، ولم أزد على ذلك شيئاً .  
 والله أسأل أن يلهمنا قول الحق ، ونجيبنا موافق الزلل ، ويهدينا سواء السبيل .

أكتوبر سنة ١٩٢٨

عبد الرحمن الرافعي

حيش المصرى . والأسطول المصرى . والثقافة المصرية ، ووضعت قواعد النهضة العلمية والاقتصادية في البلاد .

ثم جاء عهد عباس الأول ، وبصح إعتباره عهد الرجعية والنكسة ، لأن فيه وقفت حركة تقدمه وفترت النهضة التي ظهرت على عهد محمد علي .

ثم كان عهد سعيد ، وبتماز بظهور نهضة وطنية جذيرة بأن تعد من أدوار الحركة القومية ، ترجع إلى فرقة سعيد الوطنية ، ويميله إلى غير المصريين ورجاليتهم ، والعمل على تحريرهم من يدي المظالم . وبث روح القومية في نفوسهم ، والتبويض بهم للمناصب العالية في الجيش والإدارة ، ولكن إلى جانب هذه الحماسة ، بدأت على عهده نفرات التدخل الأجنبي في شئون مصر . بإقراره إنشاء قناة السويس على يد شركة أوروبية ، مخالفاً في ذلك تعاليم أبيه العظيم ، وافتتاحه عهد القروض الأجنبية التي جرت الكوارث على البلاد ، وكانت سلاسلها وأغلالها . ثم جاء عهد إسماعيل ، وهو عصر طويل ، يشتمل فيه تاريخ مصر القومي والسياسي في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويعد عصرًا هاماً ، له أثره النافع ، كما له أثره الضار ، في تطور الحركة القومية ، ذلك لما تمتعت فيه من آمال ، وما قام فيه من نهضة ورفق وعمران ، ثم ما تحطه واقرن به من أخطاء وأرزاء أدت إلى التدخل الأجنبي ، وإذا كانت مصر تنشر إلى اليوم بنتائج النهضة التي قامت في ذلك العهد ، ونجى من غمارها وتلمس آثارها يديها ، فإنها أيضاً تعاني عواقب الأخطا التي وقعت فيه ، وتدفق عنها حالياً ، من مآلها وحقوقها ومراقبتها ، هذا إلى أن معظم القيود والنظم التي فرضت في ذلك العصر لا تزال قائمة إلى اليوم ( ١٩٣٢ ) ، فالشرع المحتلط ، وتغلغل الأجانب في مراقي مصر والديون التي كبلت البلاد بحكومة وشعباً ، والتدخل الأجنبي في شئون مصر المالية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع إلى عهد إسماعيل .

كان هذا العهد عصر تقدم ونهضة ، إذ نال الخديو إسماعيل من تركيا أقصى ما يمكن من الحقوق والمزايا توصلاً بمصر إلى الاستقلال التام ، وأكمل فتح السودان ، ومد حدود الدولة المصرية إلى منابع النيل . وشواطئ المحيط الهندي ، أدى إلى تحورها الطبيعية ، فكان عمله من هذه الناحية عظيماً مجيداً . وحتى ينظم الجيش وترقية التعليم الحربي ، وإنهاض البحرية المصرية ، وإقامة أعمال العمران في مختلف النواحي ، وبثت النهضة العلمية والفكرية من

مرفدها . بإنشاء المدارس والمعاهد ، وتأسيس الجمعيات العلمية ، وتشجيع التأليف والصحافة . ورعاية العلوم والآداب والفنون ، وأسس نوعاً من الحياة النيابية بإنشاء مجلساً محدود السلطة يعرف بمجلس شورى النواب ، كان له الأثر البالغ في تطور الحركة الوطنية . ففي عصر إسماعيل حدثت نهضة زاهرة ، يزدهر بها تاريخه ، ولكن هذه النهضة قد تعثرت في سيرها لما شابها من إصراف الخديو ويسته ، وركونه إلى الأوروبيين ، وشديد ثقته بهم ، واعتماده عليهم . فأدت هذه العوامل مجتمعة إلى تورطه في القروض الباهظة التي ثامت البلاد بحملها . من حيث لم تكن في حاجة إليها ، فكانت الدريعة التي توسلت بها الدولة الأجنبية لتحت بحقوق مصر الخالدة ، فوقع هذا العبث . وتعددت مظاهره ، فمن إنشاء صندوق الدين . إلى فرض الرقابة الثابتة على مالية مصر ، إلى تأليف لجنة تحقيق أجنبية لفحص شئون الحكومة المالية ، إلى تعيين وزيرين أوروبيين في الوزارة المصرية ، إلى تغفلت حقوق الأجانب عامة في مراقي البلاد ، فهذه الأحداث الجسام قد تصدع لها صرح الاستقلال الذي ناله مصر بمجهودها وتضحياتها العظيمة من عهد محمد علي .

أثارت هذه الكوارث سخط الأحرار من ذوي الرأي والمكانة في البلاد ، فظهرت في صفوفهم حركة وطنية تردد صداها في الصحف وفي مجلس شورى النواب . وانجذبت غايها إلى إنقاذ مصر من التدخل الأجنبي ، وتمرير النظام الدستوري أساساً للحكم فيها ، وتبادل زعمائها الرأي في اتجاهات عقودها بدار السيد على البكري ومنزل إسماعيل راجب باشا ، واجتمعت كلمتهم في « الجمعية الوطنية » على المطالبة بتأليف وزارة وطنية خالصة للمصريين . خالية من الوزراء الأوروبيين ، وتمرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس شورى النواب ، فاستجاب الخديو إسماعيل لمطالب الأحرار ، وعهد إلى شريف باشا الوزير المشهور تأليف الوزارة الوطنية ، على أن تكون خالية من العناصر الأورفي مسئولة أمام مجلس الأمة ( وثيقة ٧ أبريل سنة ١٨٧٩ ) . فألف شريف باشا الوزارة على هذا الأساس . فكانت أول وزارة مسئولة أنجبتها الحركة الوطنية في تاريخ مصر الحديث ، وكان من أعظم أفعالها وأخطاها أنها وضعت دستوراً على أحدث المبادئ المصرية وقدمته إلى مجلس شورى النواب ليتال إقراره ، وخولت ذلك المجلس سلطة جمعية تأسيسية ، تملك حق إقرار الدستور وتعديله . على أن الدول الاستعمارية لم تنظر بعين الرضا إلى ظهور هذه الحركة واطرادها واشتداد

## للدكوى

اليوم ختام الحام الحامس لوفاء قديم الوطن المحرم أمين بك الرامى .  
اليوم يطوى الزمان خمس سنوات على احضانك عنا يا أمين ! وذكراك بالية في النصوص  
مانكة في الأذهان . يحدها مر الليل وكر الأحوام .  
فأول روحك الطاهرة الثانوية في دار الأبدية ، أهدت بتعبات الدكوى ، يرسلها القلب  
وخصيص بها الشاعر ، وعملها الرجاء إلى عالم الأرواح .  
والى يارىه تلك النفس الكريمة ، أتوسع بالدعاء ، أن يسبح عليها آية السكينة  
والطمانية ، يا نفس أمين ! ، اسكنى إلى جوار ربك راضية مرضية ، وبأروح أمين !  
سلام ، ورحمة ، وحنان ، وحنان ، وحنان ،  
٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٧

## عهد الرحمن طراني

معهما . يجمع كلمة الأمة حركها ، ومناصرة الحديوها ، قسعت لإحيائها وبذلت مؤامرتها  
بالاعراض على أول مشروع مالى للوزارة الوطنية ، ثم عملت على أن تجمع الحديوي ، وكانت  
توكيا من الصف وصمو القبة نحو مصر بحيث أهابت طلب التبول ، وأعلنت نطق إسماعيل  
وإسناد منصب الحديوية إلى توفيق باشا ( يوربه سنة ١٨٧٩ ) .  
ثم استمرت المصادمة بين الحركة القوية والمطامع الأوروية ، إلى أن بلغت طورا جديداً ،  
هو المعروف بالثورة العربية ، فالثورة من هذه الناحية تعدد فعل للتدخل الأجنبي الذي وقع  
في عهد إسماعيل ، فالثورة الأساسية من في جوهرها المطالب التي اجتعت عليها كلمة الأسرار  
في ( الجمعية الوطنية ) ، والدستور الذي تمخضت عنه الثورة سنة ١٨٨٢ ، مقبوس من  
دستور سنة ١٨٧٩ .

\*\*\*

فألى عهد إسماعيل ترجع إذن مقدمات الثورة العربية ، وهي تطور للحركة الوطنية التي  
ظهرت في ذلك العهد ، وعنى أن هذه الحركة كانت أسلم عاقبة وأدعى إلى الإيجاب  
والتقدير من الثورة العربية ، ذلك أن الحركة الأولى كان تولمها نهضة الأفكار والآراء ،  
ونصح العقول والقرائح ، وتبادل الرأي والمشورة ، على حين جعلت الحركة العربية وتوابعها  
الاعتداد بقوة الجيش وحسب ، فتصادم العامل الفكري والعنوي . في طورها الأخير ،  
وتمت صوت الحكمة والتفكير ، إلى جانب صوت السيوف والقطع . ومن ثم تكثرت الحركة  
وسبل الرشاد ، وركبت من النشاط ، وانفصح المجال للدساتير الأجنبية تنصب أنماكها ،  
والمطامع الاستعمارية تدبر مكابدها ، حتى أثبتت الثورة بالخلال الإنجليزي الذي ما زالنا نعايه  
إلى اليوم ( سنة ١٩٣٧ ) .

فليان التطورات التي تماقت على البلاد في عهد خلفه محمد على إلى انتهاء عصر  
إسماعيل ، قد خصصت هذا الكتاب ، جاعلا وجهتي هدى إلى استخلاص الحقائق  
والمعطيات ، من الجواهر وملايساتها . لتعرف الحاضر على ضيق الماضي . ونصل الأسباب  
عيسياتها ، والنتائج بمقدماتها . حتى أن يكون لنا في ذلك ما نسترشد به في حياتنا القومية . أو  
نستظهر به على ما نحن بسيله من جهاد في سبيل الوطن .  
أسأل الله أن يهبنا من الزلل ، ويهبنا السداد في القول والفعل ، ويوفقنا إلى ما فيه  
تحقق الأمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

## الفصل الأول

### الرجعية في عهد عباس باشا الأول

( ١٨٤٨ - ١٨٥٤ )

يصح اعتبار عصر عباس باشا الأول عهد رجعية ، فيه وقفت حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد محمد علي .

ول عباس حلمي الحكم بعد وفاة إبراهيم ، وفي حياة محمد علي باشا ، وهو ابن طوسون بن محمد علي ، لم يرث عن جده مواهبه وعبقريته ، ولم يشبهه عنه إبراهيم في عظمته وبطولته ، بل كان قبل ولايته الحكم وبعد أن تولاها خلواً من المزايا والصفات التي تجل من ملكا عظيماً يضطلع بأعباء الحكم ويسلك بالبلاد سبيل التقدم والنهضة .

### نشأة عباس

يذل محمد علي شيئاً من العناية في تربية عباس ولاية الحكم إذ كان أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً ، وبالتالي أحقهم بولاية الحكم بعد إبراهيم باشا ، فعهد إليه بالناصب الإدارية والحربية . فتقلد من المناصب الإدارية منصب مدير الغربية . ثم منصب الكشخداية التي كانت بمنزلة رأسه النظام ، ولم يكن في إدارته مثالا للحاكم البار ، بل كان له من التصرفات ما يرم من القسوة . وكان يبلغ جده نياً بعض هذه التصرفات ، فينهاه عنها ، ويحذره من هواقبها ، ولكن طبيعته كانت تتغلب على نصائح جده وأوامره .

وأما من الوجهة الحربية فقد اشترك مع إبراهيم باشا في الحرب السورية ، وقاد فيها أحد الفيالق ، ولكنه لم يتميز فيها بعمل يدل على البطولة أو الكفاءة المتأخرة . وبالحملة فلم تكن له ميزة تلفت النظر ، سوى أنه حديد رجل عظيم أسس ملكاً كبيراً . فصار إليه هذا الملك . دون أن تؤول إليه مواهب مؤسسه ، فكان شأنه شأن الوارث

لتركة ضخمة جمعها مورثه بكفائه وحسن تديره وتركها لمن هو غلو من الواهب والزاي .  
وكان إبراهيم باشا لا يرضيه من عباس سلوكه وميله إلى القسوة وكثيراً ما هم عليه ترعته  
إلى إرهاب الأملين ، حتى اضطره إلى الهجرة للحجاز ، وفي هناك إلى أن دام الموت عمه  
المعظم .

### ولاية الحكم

كان عباس باشا متفياً بالحجاز لما عاجلت المنيه إبراهيم باشا ، فاستدعى إلى مصر ليخلفه  
على دست الأحكام تنفيذاً لنظام الثوارث القديم الذي يحل ولاية الحكم للأرشد للأرشد  
من نسل محمد علي ، وتولى الحكم في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨ ( ٢٧ ذى الحجة سنة  
١٢٦٤ هـ ) .

### أخلاقه

بقى عباس في الحكم خمس سنوات ونصفاً ، كان يدعو إلى عملاً قريب الأطوار ، شاداً  
في حياته ، كثير التطير ، فيه ميل إلى القسوة ، سوء الظن بالناس ، ولهذا كان كثيراً ما يأوى  
إلى العزلة ، ويحتجب بين جدران قصوره . وكان يتخير لبنائها الجهات الموعلة في الصحراء ،  
أو البعيدة عن الإنس ، قبا على سراى الخرقش ، وسراى الخلية بالقاهرة ، قد بنى قصراً  
فخماً بالباسبية ( التي سميت من ذلك الحين باسمه ) ، وكانت إذ ذاك في جوف الصحراء .  
وقد شاهد للسيو فردينان دلبس هذا القصر سنة ١٨٥٥ ، فراعته ضخامته ، وذكر أن ترافده  
بلغت ٢٠٠٠ نافذة ، وهذا وحده يعطينا فكرة عن عظم القصر واتساعه ، فكانت بين نفسه  
مدينة في الصحراء ، وبنى قصراً آخر ثانياً في الدار البيضاء ، الواقعة بالجبل على طريق  
السويس المقفر ، ولا تزال آثاره باقية إلى اليوم ، وقصراً بالملط ( ذكره على باشا مبارك في  
الخطط ج ٧ ص ٦٣ ) . وقصراً في يها على ضفاف النيل ، بعيداً عن المدينة . وهو الذي قتل  
فيه كما سيجي بيانه .

وقد أساء الظن بأفراد أسرته ، وبكثير من رجاله محمد علي وإبراهيم ، وغيل له الوهم

أنهم يأترون به ، فأساء معاملتهم ، وخشى الكثير منهم على حياتهم ، فرحل بعضهم إلى  
الأستانة ، والبعض إلى أوروبا . خوفاً من بطشه ، واشتد العداء بين الفريقين طول مدة  
حكمه ، وبلغ به حقداه على من يستهترون بفضبه أنه حاول قتل عته الأميرة نازلي هانم .  
واشتدت العداوة بينها حتى هاجرت إلى الأستانة خوفاً من بطشه .

وسعى في أن يغير نظام وراثة العرش ليجعل إته الهاي باشا خليفته في الحكم ، بدلاً من  
سعيد باشا ، ولكنه لم يفلح في معناه ، وتقم على سعيد الذي كان يحكم منه ولى العهد .  
واتهمه بالتآمر عليه ، واشتدت بينها العداوة حتى اضطره أن يلزم الإسكندرية ، وأقام هناك  
بسرابه ( بالقبارى ) .

وانتشرت الجاسوسية في عهده انتشاراً خفياً ، فصار الرجل لا يأمن على نفسه من صاحبه  
وصديقه ، ومن يفضبه عليه ينفذه إلى السودان ويصادر أملاكه . وكان نقي المنسوب عليهم  
إلى أقاصى السودان من الأمور المألوفة في ذلك العصر .

وكان عباس مولعاً بركوب الخيل والمجن ، يقطع بها المسافات البعيدة في الصحراء ، وله  
ولع شديد باقتناء الجياد الكريمة ، يحلبها من مختلف البلاد ، ويبقى يربيتها حناية كبرى ، ويبقى  
لها الاصطبلات الضخمة ، ويتفق عليها بسخاء ، شأن هواة الخيل .

### أعماله

#### سياسته العامة

يختلف عهد عباس عن عصر محمد علي ، فإن حركة النهضة والتقدم والنشاط التي امتاز بها  
هذا العصر قد تراجعت كما قلنا في عهد عباس ، وهناك ظاهرة أخرى للفرق بين العهدين :  
ذلك أن محمد علي كان يستعين بعلوم العلم والخبرة من الفرنسيين في معظم مشاريع  
الإصلاح ، لكن « عباس » لكونه لم يفكر في تمهيد هذه الإصلاحات ألغى معظم هؤلاء  
الخبراء واستغنى عنهم ، وقد تضاعف النفوذ الفرنسي في عهده ، ولم يعد إلى الظهور إلا في عهد  
سعيد باشا ، ومن هنا تعرف سياسته لتعامل كثير من اللوزنيين والمؤلفين الفرنسيين على عباس ،  
فإنه وإن كانت أعماله لا تدعو إلى الإطراء ، لكننا نعتقد أن أحكام الفرنسيين عليه لا تخلو من  
التحامل ، لتأثرهم من تضاؤل النفوذ الفرنسي في عهده ، والفرنسيون لما اتصفوا به من الوطنية



يكرهون كل ملك أو أمير يقرّ عهده بتصفّو النفوذ الفرنسي في بلاده ، من أجل ذلك تراهم يكرهون المدح جزافاً لسعيد باشا . ونعتقد أن هذا راجع إلى ميله الفرنسية وعودة النفوذ الفرنسي إلى مصر في عهده . على يد الميؤفرديتان دلسيس وأمثله ممن اتخذهم سعيد بطائفة وأولياءه .

فعباس إذن قد أخصى عنه الحبراء من كبار رجال الموظفين فرنسيين ، فلم يعد لهم نفوذ لديه . بل لم يكن يعاملهم معاملة عطف واحترام ، واستغنى عن خدمة بعضهم . وعلى العكس ، بدأ النفوذ الإنجليزي في عهده على يد المستر ( مري ) القنصل البريطاني في مصر وقتئذ ، فقد كان له عليه تأثير كبير ، وله عنده كلمة مسموعة .

ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه المترلة ، سوى أنها نتيجة المصادفة ، فإن للورك والأمراء المستبدين ليس لهم قاعدة مستقرة ، ولا تصدر أفعالهم عن برنامج أو تفكير ، بل ينبعون الهوى في كثير من أفعالهم ، وقد يكون لكفاءة المستر مري دخل فيما ناله عند عباس من النفوذ ، وقيل إنه كان يستعين به في السعى لدى حكومة الاستانة بواسطة سفير إنكلترا لتغيير نظام وراثته العرش ، كما يزول إلى ابنه إلهامى ، وفي رواية أخرى إنه كان يستعين به وبالحكومة الإنجليزية لمنع تدخل حكومة الاستانة في شئون مصر إذ كانت تبغى تطبيق القانون الأساسى المعروف بالتنظييات على مصر .

### إصلاح الطريق بين القاهرة والسويس

ومها يمكن من السبب فالستر مري كان له أثر ظاهر في اتجاه أفكار عباس ، وبشأن هذا النفوذ من أن أول أعماله بعد ولايته الحكم هو إصلاح طريق القاهرة إلى السويس ورصفه بالحجارة ، فجعله معبداً . تميز فيه العربات بسهولة ، فهذه الفكرة وإن كانت في ذاتها فكرة عمرانية مديدة إلا أن المهرجا هو المستر مري ، وغرضه منها تسهيل سبل المواصلات البرية إلى أفتد عن طريق مصر ، وسرعة نقل البريد البريطاني والسياح بين الهند وإنكلترا . وكانت السياسة الإنجليزية ترمى إلى تعيد طرق المواصلات بين إنكلترا والهند في مصر بواسطة إنشاء سكة حديدية . تصل الإسكندرية بالقاهرة . ومنها إلى السويس ، وكانت تعارض في أن تنشأ بمصر طريق بحرية للمواصلات ، ولذلك عارضت في شن القناة البحرية



عباس باشا الأول والى مصر  
من سنة ١٨٤٨ إلى سنة ١٨٥٤

ل بروج السويس ، وحيدت مد السكة الحديدية بين الإسكندرية والسويس ، وحيثما أن شق القناة يسهل على القبول البحرية المناهضة لها في الاستعمار طريق الوصول بسفنها الحربية إلى البحر الأحمر ، ثم إلى الهند ، فيتمتع سلطانها هناك للخطر ، أما فرنسا فكانت على العكس تعيد فتح القناة ، وتعارض في مشروع السكة الحديدية ، لأنه مشروع انجليزي .

### السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة

ولقد فازت السياسة الانجليزية بضم عباس إلى وجهة نظرها ، فلم على يده إصلاح طريق السويس . ثم شرع في مد السكة الحديدية من الإسكندرية إلى القاهرة سنة ١٨٥٢ . وعهد بتخطيط العمل إلى المهندس الانجليزي الشهير بورت ستيفنسون Stephenson . يعاونه مهندسون مصريون . لكن للمهندسين المصريين هم الذين تم على أيديهم إنشاء الخط كما يقول السيوريو<sup>(١)</sup> Meru . ومنهم من صار لهم فيما بعد شأن كبير وقتلوا كبرى الناصب ، مثل سلامة باشا إبراهيم ، وثاقب باشا . ومظهر باشا . وبعثت باشا ، واستخدم عباس في تعبيد الطريق وتركيب القضبان الختود والبشارة المصريين ، وأنشئ من سكة الحديد في عهده الخط الموصل بين الإسكندرية وكفر الزيات (سنة ١٨٥٤) ، وتم الخط بأكمله في عهد سعيد ، وبس السيوريو لردبان دلتيس من نجاح مشروع شق القناة ، ولم يعاوده الأمل إلا بعد أن تولى سعيد باشا الحكم كما سيحيى بيانه .

وإذا نحن صرفنا النظر عن التراحم السياسي بين إنجلترا وفرنسا ، فما لاشك فيه ، من وجهة النظر المصرية ، أن مشروع السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة وبين هذه والسويس أنفع للبلاد ، وأبعد عن الضرر من مشروع القناة . فإن مصر لم تستطع شيئا من فتح قناة السويس . بل كانت القناة شؤما عليها كما ستفصله في موضعه ، ولأن السكة الحديدية قد نهضت بعمران البلاد التي مرت بها . بخلاف القناة .

لإصلاح طريق السويس ، والشرع في مد السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة ، هما من أول ما فكر فيه عباس ، وهما من المشاريع الجليلة ، وقيل هذا العمل الوحيد الإنشائي

الذي يذكر لعباس ، لأنه لا يخفى أن السكك الحديدية هي من أعظم دعائم العمران والتقدم ، وكانت هذه السكة أول خط حديدي أنشئ في مصر . بل في الشرق قاطبة ، مصر قد سبقت دول الشرق في أعمال العمران ، ولا يخفى أن تركيا وهي أقوى دول الشرق وقتئذ تأخرت عن مصر في مد السكك الحديدية واستخدام لقطارات البخارية ، وإتلك لتلمح تقدم مصر وسبقها تركيا في ميادين العمران حينما زار السلطان عبد العزيز مصر سنة ١٨٩٣ ، فانه ركب القطار من الاسكندرية إلى القاهرة فلكه اعجب ، لأنه لم يكن رأى القطار البخارية في حياته من قبل<sup>(٢)</sup> .

### ضبط الأمن

وعنى عباس باستيابة الأمن ، فحارب على أيدي الأشقياء وقطاع الطرق ، وطاردهم وعاملهم بالقسوة ، فقتلوا بأسمه ، واقطع دابرهم ، وأمن الناس شوارعهم ، فاستتب الأمن في عهده ، وهذا من غير أماله .

### المدارس والمصانع

أما المدارس ، فقد سادت حالتها في عهده . ألقى معظمها (بعد الذي عطل منها في أواخر عهد محمد علي) ، واقفلت أبوابها . بين عالية وقاهرة وإبنتائية ، ولم يبق منها إلا التدريس ، وكأنما كان عباس يكره العلم والتعليم . لأنه لم يكنف بإخلاق معظم المدارس ، بل أخذ إلى السودان طائفة من كبار علماء مصر في ذلك العهد ، مثال رقاعة بك رافع . ومحمد بيومي أفتدى ، ودقة ألفتى ، بحجة إنشاء مدرسة ابتدائية بالخرطوم ، والسبب الحقيقي هو إبعادهم وتقييد من مصر . وقد سادت حالتهم كما بينا ذلك تفصيلا في ترجمة رقاعة بك رافع<sup>(٣)</sup> ، ومات منهم هناك محمد بيومي كبير أئادة الهندسة والرياضيات في مدرسة الهندسة<sup>(٤)</sup> .

(٢) انظر كتاب . سياسة السلطان عبد العزيز من الآستانة إلى القاهرة . لمصير جازدى من ١٩ و ٥٣ و ٦٠ .

(٣) راجع كتابه : مصر محمد علي . ص ٤٨٨ (من الطبعة الأولى) .

(١) في كتابه (مصر الحديثة) ص ١٠٢ . والسيوريو مناصر لعباس وسعيد وإسماعيل .

• حتى من تلاميذ المدارس التي ألقاها عدداً منهم أدخلهم مدرسة أنشأها ١٨٤٩ ، و بعد  
مروءة ، إشارة إلى أنه أحرر تلاميذها من هي طلبه المدارس ، وكانت هذه المدرسة بمثابة  
مدسة بحرية بحرية  
وأنفق مائة من المال وأصابه بفق أنشأها جده بحجة لاقتصاد في صرف

### البعثات

وأرسل إلى أوروبا ١٩ طالباً من تلاميذ المدارس المصرية لإتمام دروسهم بالمدارس  
الأوروبية ، على أنه استدعى معظم أعضاء البعثات الذين كانوا يتلقون العلم في فرنسا منذ عهد  
محمد علي

### السودان

لم يمن عباس بالسودان عنايه جده به ، ولم يكر يوما في زيارة ذلك الإقليم العظيم الذي  
بعد لحرقه المبرك لمصر ، ليشارك نفسه شؤون البلاد وأهلها ، ويعرف أحوالها كما فعل محمد علي  
الذي لم تحتمه شيخونته ومشاغفه العديدة من أن يحوب السودان باحثاً مسطراً

### الجيش والبحرية

أخذ عباس بعض الإصلاحات الحربية التي فكر فيها إبراهيم باشا قبل وفاته ، كتجديد  
الاستحكامات ، وإنشاء الطرق الحربية ، ومما عدا ذلك فإن الجيش في الجبهة لم يكن موضع  
عنايته ، وقد تسرب إلى إدارته الخلل وسوء النظام بعد أن كان مصر في أفضل النظم  
والكفاية على عهد محمد علي ، وزاد في انحلاله أنه أدمج فيه نحو ست آلاف من  
الأرمن ، جعلهم نخبة جنده ، وسلحهم بالبنادق ، فكانت هم في عهد أبيه  
والسلطنة ، وشتموا بأنوفهم على المصريين ، جنوداً وفرداً ، وحرد عباس الأتراك من  
السلح ، وحظر عليهم حمله ، صارت الأرمن في الأرض صاعداً ، مما أشعرهم من خطر

والعسف والإرهاق ، وفي هؤلاء الاحطاط قوام الجيش في عهده .  
وظل سليمان باشا الفرنسي القائد عام للجيش المصري ، ولكن يده غشت من لصوص  
به وإصلاح شؤره  
وسامت حالة البحرية بعد أن كانت راهرة ، وأخذت في الانحلال ويرجع ذلك إلى  
مهملي عباس أعمال العسائر خدمة . ثم إلى سيب خاص ، وهو كراهيته لعمه سعيد باشا ومعلوم  
أن سعيد كانت شأنه في البحرية ، وكان قائداً عاماً للأسطول في عهد محمد علي . فلما تولى  
عباس لحكم حقق على البحرية بجملة واحدة ، لحقه على سعيد باشا فأعمل شأنها ،  
وتمطت أعمال الترسانة ، ووقف إصلاح السفن ، فخرى إليها العطب والتلف .

### إشتراك مصر في حرب القرم

بقى الجيش المصري رغم ما أصابه من الخلل قوة لا يستهان بها ، وظهرت بسالته في حرب  
القرم ، وهي الحرب الوحيدة التي شاخت مصر غيرها في عهد عباس .  
ثبت نار القتال بين تركيا والروس سنة ١٨٥٣ ، فطلب السلطان عبد المجيد من عباس  
باشا أن يمدد بالهند والأساطيل ، فلقى عباس طلبه ، وكانت دار الصناعة ( الترسانة ) في ذلك  
الحين محطلة كما قدمنا ، فعاد إليها النشاط العمل ، واستدعى إليها العمال الذين كانوا مصروفين  
عنها ، وجهر الأسطول المصري . وعهد بقيادته إلى الأميرل حسن باشا الاسكندراني ، أحد  
خبرجي البعثات في عهد محمد علي<sup>(١)</sup>  
وأعد حملة مؤلفة في بدء الحرب من نحو ٢٠ ٠٠٠ مقاتل بقيادة سنجر باشا فتحمي أحد  
القواد الذين حاربوا تحت نواء إبراهيم باشا في حروب سوريا والأناضول ، فأقلعت الحملة على  
ظهر لبحارة المصرية ووصلت إلى الاستانة ، ومضت إلى ميدان القتال على سر المالدون .  
ورابط معظم الجيش المصري في ( سستريا ) وكان الروس يتهاجمونها ، وعلى المصريين بلاه  
حسناً في المناقعة عنها ، وأقاموها حصصاً حربية نظافية العرب ، كان له فضل كبير في الدفاع .  
فاستطاع الجيش المصري أن يكسر هجمات الروس سنة ١٨٥٤ ، واستمرت الحرب إلى عهد

(١) ترجمة له في الجزء ثانياً من تاريخ حركة القومية (عصر محمد علي من ٥٣٩ من الهجرة الأولى)

وقد ساعد الأسطول المصري في الحرب البحرية ، فسار قسم منه إلى شواطئ الأماصون  
شمالية بالبحر الأسود ، ولكن السفن الروسية أوقعت به ، ونشركت بقية السفن في نقل  
تقنيات الحربية إلى ثغور البحر الأسود ، وبقيت تؤدي واجباتها إلى انتهاء الحملة

### مقتل عباس

اتفقت الروايات على أن عباس مات مقتولا في قصره بينما ، وهذا أمر مقصود بصحة ،  
ولكن الخلاف في رواية مقتله ، وليس عجيبا أن يختلف الرواة في ذلك ، فإن قتل عباس كان  
نتيجة مؤامرة من مؤامرات القصور ، وهذه المؤامرات لا يسهل اكتشاف حقيقتها ، أو الاتفاق  
على روايتها ، لما يكنسها من الأسرار ، ولأنها تقع في جنح الظلام ، بعيدة عن الأنظار ،  
فلا يعرف الناس عبث إلا ما تنتقله الألسنة بعد وقوعها ، ومن هنا ينشأ الاختلاف في الرواية ،  
وبدلتها عن مقتل عباس روايتان ، إحداهما ذكرها إسماعيل باشا سرهنگ في كتابه (حقائق  
الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٦٥) والأخرى ذكرتها مدام أولمب إدوار كما صممتها بمصر  
في أوائل عهد إسماعيل ودونتها في كتابها (كشف الستار عن أسرار مصر ص ١٤٣) .  
ويؤيد من رواية إسماعيل باشا سرهنگ ، أن (عباس) كانت له حاشية من المالك  
يقرهم إليه ويصطفيهم ، ويتخذ منهم خواص جلده ، ولم يده من منزلة ، حصه يصدق  
عليهم الرتب العسكرية العالية ، على غير كفاءة يستحقونها ، حتى صار أكثرهم رتبة قائمقام  
وكان لهم كبير من خاصية غلمان ، يسمى خليل دوريش بك ، وعرف بها بعد بحسن بك  
الصغير ، وقد أساء هذا الرئيس معاملة أولئك المالك ، فاستطالوا عليه بالهمز واللمز ،  
وخاصة لأنه كان صغير السن . فاشتدوا من حدائنه فغمر الأقاويل . لمسخط عليهم ، وشكاهم  
إلى مولاه ، فأمر بجلدهم ، فجلدوا ، وجردهوا من ثيابهم العسكرية . وألبسهم شتري اللباس  
ورسلهم إلى الإصطبلات لخدمة الخيل . فمر ذلك على مصطفى باشا ، أمين خزنة عباس ،  
لأنهم كانوا من أتباعه المقربين إليه . فعسى جهده لدى سيده ليغفو عنهم . فلم يزل يادي الأمر  
بعينه ، فلما ذهب عباس باشا إلى قصره بينما يصحبه أحمد باشا بك وإبراهيم باشا الألق  
محافظ العاصمة ، وجاء مصطفى باشا أن يطلبوا المعفو عنهم ، فطلبوا ذلك إلى عباس فأجاب

لمنفسها . وأصدر أمرا بالفر عنهم . وردهم إلى متاحيم . فجهادوا إلى بنها ليرفرو واجب  
سكنهم . ولكنهم أصبروا القنك به انتقاما لما أوقع بهم . فاشتدوا به مع غلامين من  
خدمة سراي . يدعى أحدهما عمر وصى والآخر شاكرك حسين . واتفق الجميع على قتله  
وكان من عادة عباس عند بومه أن يقوم على حراسته غلامان من متايكه . في ليلة ١٨ شوال  
سنة ١٢٧٠ (١٤ يولييه سنة ١٨٥٤م) كان الغلامان المذكوران يتوليان حراسته ، فجاء  
المؤتمرون في حلق الليل على اتفاق معها . وفتحوا الباب ، فدخلوا غرفة الأمير . وهربوا ،  
ولما أرادوا القنك به استيقظ وحاول النجاة ، فصدده عمر وصى ، وتكاثر عليه المؤتمرون .  
وقطروه ، ثم أوعزوا إلى الغلامين بالحرب فهربا ، وتكتم المتآمرون الحبر إلى اليوم التالي ولما لم  
يستفيظ الأمير في مواعده دخل عليه أحمد باشا بك وإبراهيم باشا الألق فوجداه مقتولا ،  
فدعوا لخدمته الفاجعة ، واتفقا على إخفاء الخبر حتى نقل الأمير القتل إلى القاهرة في عربة .  
ووصلوا به إلى قصره بالحلمية ، وهناك دأب خبر قتله .

وأراد جهالة من أنصار عباس وعلى رأسهم إبراهيم باشا الألق أن يجعلوا الحكم من بعده  
لنجله إبراهيم إمامي باشا الذي كان وقتئذ بأوروبا . فاتفقوا على استدعائه ليولوه الحكم ،  
ويمنعوا عنه عمه سيد باشا أكبر أنجال محمد علي وأحق الأمراء بالولاية طبقا للنظام القديم .  
وكان سيد باشا وقتئذ بالإسكندرية ، يقوم بمرأته بالقباري . فكتبوا سرا إلى محافظ  
الإسكندرية إسماعيل سليم باشا وأبعدوه بما اتفقوا عليه . وطلبوا إليه القيام على التفرغ حتى  
يخصر إمامي باشا . فلما تلا الرسالة لم يشاطرهم رأيهم . لعله أن الحكم من حق سيد باشا ،  
فقصده إليه من لوز . وأوصى إليه فحوى الرسالة . فشكره سيد باشا على إخلاصه . وذهب  
صحيته إلى سراي رأس التين . وأعلن اعتلاءه العرش . وأجريت حفلة الجلوس . وأطلقوا  
المدافع . ثم سافر سيد باشا إلى القاهرة يصحبه أمراء الأسرة الحاكمة الذين كانوا مبتعدين عن  
العاصمة لا يتهم ويدين عباس من المهاد والتمور ، فلما وصلوا إلى القاهرة ذهب سيد إلى القلعة  
وتولى زمام الحكم

تلك حلالة روية إسماعيل باشا سرهنگ

أما روية مدام أولمب إدوار فحلالتها ، أن الأميرة نازلي هانم حبة عباس هي التي  
اقتدرت به وهي في الاسكندرية ، وأخذت مملوكين من أتباعها لقتله ، واتفقت وإياها ، على أن  
يعرضها نفسها في سوق الرقيق بالقاهرة ، كي يشترىهم عباس ويدخلها في خدمته . وكان

حرارة مصر حرة من الفحل اندر الأحياء التي كبلها بها خلفاؤه من بعده . وكان يجتهد دائما في مد عمر الميراثية ، دون أن يدرك غروص . ولم يكن يحيل إلى صبح لأوروبيين مشيرات باستئثار مراقب البلاد . فهذه مدد حس أن يذكر له سحر . ويمتاز ( من هذه الناحية ) على سعيد وإسماعيل . فحفظا سعيد باشا أنه صبح المسير فرديتار دليس . ويمتاز حمرة شاه السويش . واقتنع عهد الانعراض من خارج ، ونطق إسماعيل أنه كبل مصر بالديون الخفيفة التي اقترضاها من ليون الأوربية

• • •

• • • من حيث من الخيال . مما يرغب وكيل الأمير في شرائها ، هجاء الصخرة فعلا .  
• • • من أن آتيا يوما وكيل الأمير ، فرائه جيلها ، فاشترها وأدخلها سراي  
• • • فأعجب بها عباس . وعهد إليها حراسته ليلا ، قالت مادام ألومب دوار ، هنا  
كانت الليلة الأولى لم يجرى لمسلوكان على أركاب القتل ، لأنها خشيا بأس عباس ، إذ كان  
قوى النية . شديد البطش ، ونحافا أن يقاومها ويسجر من فتكها ، فينكل بها شر تنكيل  
ويورد لها موارد اهلاك المحترم ، فانخفضت الليلة الأولى بسلام ، وموت أيام عدة وهما  
يستجيمان قوتها لإنقاذ القتل عند سوح العرصة . حتى جاءتها التوبة ثانية لحراب مولاها ،  
فاعترها أن يكونا أكثر شجاعة من قبل ، فلم يكن يستغرق عباس في النوم حتى انقضا عيه  
وقتلاه ، ولم يدعها له الوقت ليصبح أو يقاوم ، ولما أرنكا المجربة تولا اصطبلات الخيل الملحقة  
بالسراي ، وطلبا إلى السائس أن يجهز لها مورا جوادين بحجة أن الباشا يطلب حاجة له من  
قصره بالعباسية ، فلم يشك الخادم في الأمر ، وجهز لها الجوادين لملارها عداوا إلى القاهرة ،  
ومن هناك قرا إلى الاسكندرية ، حيث تقدمتها الأميرة تازلي مكافأة صالحة على إيفاد المؤامرة .  
وتقول مدام ألومب أدوار إن إلهمي باشا تعقب المسطركين القاتلين ليأثر لايه ، فالتق  
بأحد هما في الاسكندرية ، فقتله رميا برصاص مسدس ، ولم يستطع اللحاق بالثاني ولم يعثر له على  
مكان . وقيل أنه أدى إلى بلاد الأرتامود فراراً من القتل<sup>(٥)</sup> .  
والرويتان مع اختلافهما في بيان المحرضين على القتل وطريقة إرتكاب الجريمة متفقتان كما  
نرى في أن عباس مات مقتولا إثر مؤامرة دبرت لقتله وأخذت في قصره بها

### ميزة عباس

كان عهد عباس كما ترى خلوا من أفعال البهضة والعمران ، اللهم ما كان من إنشاء سكة  
الحديد بين القاهرة والإسكندرية ، وإصلاح سكة السويس البحرية .  
هل أن لعباس ميزة يجب أن يذكرها له التاريخ ، وهي أنه لم يفتح على مصر أبواب  
تدخل الأجنبي ، فلم يمكن للأجانب في البلاد ، ولم يجد يداه إلى الاستبداد بهم ، بل ترك

(٥) كشف السراي عن أسرار مصر لأميريه أدوار

## الفصل الثاني

### الهيئة الوطنية في عهد سعيد باشا

( ١٨٥٤ - ١٨٦٣ )

من الهيئات الوطنية ما يصدر عن الشعب وزعمائه ، ومنها ما يكون مصدره الملوك والحكام ، ويمتاز عصر سعيد باشا بظهور هيئة وطنية جديدة بأن حد دورا من أدوار الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث

وترجع هذه الهيئة إلى ميول سعيد باشا ذاته ، فقد كان ذا نزعة وطنية ملحوظة ، نشأت فيه قبل أن يتولى الحكم ، ولما زعمته بعد أن تولاه ، وظهرت آثارها في كثير من إصلاحاته وأعماله ، وقوام هذه النزعة أنه كان يميل بموارحه إلى غير المصريين وزعمائهم ويعمل على تحريرهم من نير المظالم التي أصابهم ، ويخفف عنهم عبء الضرائب التي يتهدون بها ، ويثب لهم روح الوطنية . ويشجعهم على تولد للنائب العالي في الجيش والإدارة بعد أن كانت من قبل وقتها على الترك والشراسة .

### نشأته

هو ابن محمد علي الكبير . ولد سنة ١٨٢٢ ، ونشأ في حجر أبيه . محروفاً بطقه وديارته . وكان أبوه يهره ويحتق ببرييته وتربيته ، وتشتت لشأن الحسة واحترمه الملك البحري فقدره على فنون البحرية وجعل شأنه شأن تلاميذه . ولعل هذه النشأة هي حب إلى عصره سادى الديمقراطية . فقد كان أثناء دراسته ومراحه زميلاً لطائفة من التلاميذ . هي خصصهم أبوه لدراسة العلوم البحرية . يعيش هيشهم . ويسير على نهجهم . رئيسهم كايستر الطالب إلى أقرانه وأصدقائه . ولما أتم دراسته انتظم في خدمة الاسطول فوجداناً لإحدى اسوارج التي كانت ترفع علم مصر فوق ظهر البحار . واعتد النظام الذي هو أساس الحياة العسكرية فكان



الضريبة من ثمنها ، فظهر الفلاحون بالراحة والطسابة والرخاء وحسن المعاملة ، ووقف تيار الهجرة من القرى .

وقد ألقى أيضاً صربية الدحولية التي كانت تنجي عن المحاصيل والمناحر مما يتبادله المدن والقرى في داحية البلاد ، وهذه الصربية مصدر إعانات وإرهاق الأهالي ، كما أنها عبء تحول دون حرية التجارة الداخلية ، إذ كانت الحكومة تقتضي على الماجر ١٢ في المائة من قيمتها عند دخولها أي مدينة أو قرية ، وهذا يؤدي إلى ارتفاع الأسعار واشتداد العلاء ، ويصحف حركة المعاملات ، كما أن طريقة تحصيل هذه الضريبة تنطوي على نوع آخر من الإرهاق ، إذ كانت سبيلها موكولة إلى مقترمين يتزعم الأهالي أكثر من قيمتها ، فألغواها فيه تخفيف عن الأهالي وتخفيف من شجرة الداخلية مما كان يتعرضها من انقضاات والعراقيل

### لغة المعاشات

ومن أماله الاجتماعية سنة لغة المعاشات للموظفين المتقاعدين ، وهي الأساس الذي بنى عليه نظام المعاشات المتبع في مصر لموظف الحكومة .

### أعمال العمران

#### تطهير ترعة المحمودية

هي سعيد باشا بتطهير ترعة المحمودية ، ذلك أنها منذ إنشائها في عهد محمد علي لم تكن الحكومة بتطهيرها ، وانقضى عهد عباس دون أن يكر في أمرها . فلما تولى سعيد كاد الطمس المزاحم على مدى السنين بطورها ويصد استمالتها . فلا تعود صالحة لمروور السمس ، ولا تجري فيها مياه . يرى بالمقادير التي يتلطها العمران .

فاحتزم سعيد باشا أن يطهرها ، ويكاد تطهيرها في هذه الظروف يشبه أن يكون استعماراً لها من جديد ، لأن الطمس كان قد سد قاعها ، وقد استشار للسيد مرسيل بك كبير مهندسين قبا يلزم من أعمال وإخهرد لإجراء هذا العمل العظيم . فحسب مقدار ما يجب رفعه من الأرض من دعام . فبلغ ثلاثة ملايين متر مكعب ، على طول التربة الذي يبلغ ثمانين كيلو متراً ، وقدر

من حقل يرفع متر ونصف متر في اليوم ، فاعمل بقتضى سبعة وسبع آلاف عمل . وبنيت من تطهير سبعة على المذهب في ثلاثين يوماً

فأصدر سعيد باشا في مدينته بمراسل هذا العدد من الفلاحين . ولم يكف المديرات بمراسل العدد المطلوب . بل صدعت أهمية . وأرسلت ٥٠ ألف عامل . فخرج هذا العدد على حول حرج . وورعت عليهم القفوس ، فمعدن فأس لكل خمسة من العمال ، واحد منهم يعبر الأرض بنفسه ، والثاني يملأ المقاي من الردم ، والثلاثة الآخرون يحملونها إلى جانب التربة ، حيث أمر سعيد باشا بإنشاء طريق راعي مبيد ، حرضه عشرة أمتار ، وقد سار العمل على هذه الوثيرة ، وهي سعيد باشا بالسهر على صحة العمال ، فأنحصر أطباء يلاحظون حالتهم الصحية طول مدة العمل ، وتم تطهير التربة وإنشاء الطريق في إثنين وعشرين يوماً ، دون أن يموت أحد من العمال . بخلاف ما وقع حين إنشائها في عهد محمد علي ، ولم يزد عدد المرسى للذين أعيانهم العمل عن خمسة في الألف (٣)

فكان هذا العمل الضخم وإتمامه في هذه المدة القصيرة مدعاة للإعجاب ، لما تجل فيه من مقدرة الفلاح للمصري على إنشاء أعمال العمران التي تنو بها الحاجات من الشعوب الأخرى

وقد كان نجاح هذا المشروع مما شجع السيد فردينان دلسبي على إخراج سعيد باشا بتطهير الآلاف من الفلاحين في احتفار قناة السويس ، فرفض بتأثير هذه الإغراء أن يسخر الألوف للزراعة منهم في عمل عاد بالمرز الويل على مصر والمصريين .

### السكك الحديدية والتلغرافات

توف عباس قبل إتمام الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية ، فأتمه سعيد باشا سنة ١٨٥٦ وسار الخط عن هريق كمر الزيات ونها حتى وصل إلى العاصمة ، ولم تكن الكباري . بيت على النيل . فكان القطار عند اجتيازه الفرعين ينقل على مراكب خاصة تسير به من بر إلى آخر

(٣) مريو - مصر الحديثة ص ١٢٣



وأشأ حطوطا لتغرافية على الطريقة الحديثة من الإسكندرية والقاهرة والسويس بعد أن كان الموجود منها في عهد محمد علي على طريقة (شاب) القديمة  
ومد الخط الحديدي بين القاهرة والسويس وكتبت محطة الإسكندرية والقاهرة ، وفتح للمواصلات سنة ١٨٥٨ ، فعاد على ميناء السويس وعمرانيا بالفوائد الجليلة . لأنه كان سبباً في زيادة ورود السفن التجارية إلى هذا الثمر لتقل متاجرها ووكاها إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية بطريق السكة الحديدية ، منبسطت حركة العمران والتجارة فيها ، ولما كثر توارد المسافر إليها شرع سعيد باشا في إصلاح مينائها  
ومن أعماله في العمران الاحتفاظ بالآثار المصرية وجمعها في مخازن أعدت لها في وفاق ، وعهد بيده لمهمة إلى العالم الأثري ماريت (باشا) كما سيجيء بيده ، وعهد إلى العلامة محمود بك (باشا) الفلكي الرحلة إلى دقة لرصد كسوف الشمس بها ، فقام بيده المهمة واختم هذه الرحلة لتحقيق ٤٧ موقعاً من المواقع الفلكية بين أسوان ودقة .  
وبعد عودته كلفه سعيد باشا وضع خريطة مفصلة لقطر المصري ، فقام بهذا العمل غير تمام ، واشترك معه في أدائه طائفة من المهندسين المصريين .

### إصلاحاته الحربية وبثه الروح القومية في الجيش

بشهر سعيد باشا بجمله إلى الجيش ، ولعل نشأته الأولى على ظهر الأسطول حيث إليه الحياة الحربية ، بركة كانت أم بحرية ، فعلى بعد أن ولي الحكم بتربية شؤون الجند . وكثيراً ما كان يصرف أيامه في معسكر الجيش ، وتعرض عليه شؤون الحكومة وهو وسط جنوده ، ويطلب له أن يسير منتقلاً في أنحاء البلاد .  
ولقد بذل جهداً كبيراً في سبيل ترقية الجيش من الوجهتين المادية والمعنوية ، وصيغته بالمسيرة الوطنية . وذلك أن الجيش كان قد اضمحل في عهد عباس الأول ، كما تقدم بيانه . وعند الروح التي كانت تعيس عليه صفات العظيمة والبطولة في عهد محمد علي وإبراهيم . فعلى سعيد علي أن يرد إلى الجيش صيغته الوطنية ، ويبدل جهداً كبيراً في إصلاح حاله فقرر تعمير مدة الخدمة العسكرية ، وجعلها في الوقت نفسه إجبارية للجميع ، وكان هذا الإصلاح أثر حسن في ترويض الانضباط في سلك الحندية إلى الأهل . لأن لتجديد محسب

النظام القديم كان مفصلاً على الطبقات الفقيرة (وهو الآن كذلك مع الأسف - سنة ١٩٣٢ -) . فعلى أدها الناس أن الخدمة العسكرية سخرة تبتلى بها تلك الطبقات ، وما زاد في نفور الأهلين منها طول مدة التجنيد ، فكان المهندسون تطول لحياتهم من أهلهم . وكثير منهم كانوا يلتقون حلفهم في الحروب المتواصلة التي حدثت في عصر محمد علي ، فيجهل أقرباءهم مصيرهم .

للاصلاح هذه العيوب قصر سعيد باشا مدة الخدمة العسكرية ، ثم عسها على جميع الشبان ، على اختلاف طبقاتهم . فبطل متوسط الخدمة سنة واحدة ، وبذلك أدخل في نفوس الناس الضمائية على مصير أبنائهم المهندسين ، واعتدوا بشعرون بأنهم سيبدون قريباً إلى قراهم وعائلاتهم ، وأمر أن تصمم الخدمة العسكرية ، بحيث يقتصر أبناء المشايخ والعلماء وأقاربهم كسائر الملاحين ، ولا شك أن هذه الوسيلة من شأنها أن تنهض بمجسدى الحندية ، وترغب الشبان في الخدمة العسكرية ، لأن العلم والمشايخ هم في الجسلة خلاصة أعيان البلاد ، فدخلوا أبنائهم في سلك الجيش تكريم للتجديده ، وتقويم لشموس الشبان إذ يشعرون أن التجنيد واجب عام ، يشترك فيه الأصفياء والفقراء على السواء .

وعلاوة على ما تقدم ، فإن سعيد باشا على بتربية حالة الجنود والرفية عبيهم من جهة الثناء والسكن والملبس وحسن المعاملة ، حتى أعتدوا يشعرون أنهم تحت لواء الجيش أحسن حالاً مما كانوا عليه في قراهم ، طعاماً ، وسكناً ، وملبساً ومظهراً .

وكان لهذا الإصلاح أثره في إيلاف الأهل إلى الخدمة العسكرية ، وفي تقدم حالة البلاد الاجتماعية ، لأن المهندسين إذ يوردون إلى القرى بعد انتهاء مدة خدمتهم كانوا يتقنون إليها مبادئ النظام والتقدم والنظافة التي تعودوها في ظل الحندية .

ولو استمر العمل بهذا النظام طويلاً لألعت الأمة الخدمة العسكرية ، ولاعتادها الشبان من مختلف الطبقات

وكان سعيد باشا عيلاً إلى ترقية الصباط المصريين وإعطائهم حقوقهم في التقدم ، وفي عهده ارتقى كثير منهم إلى المراتب العسكرية العالية ، بعد أن كانت محصورة في الترك والشرابكة . وقد نقل عنه عرابي باشا خطبة ألقاها في مأدبة قصر النيل ، تدس على عواطف وطنية شريفة . قال مخاطباً المحاضرين من العلماء والرؤساء الروحانيين وأفراد الأسرة الحاكمة ، وكبار رجال الحكومة الملكيين والعسكريين

«أيها الأخوان . إني نظرت في أحوال هذا الشعب المصري من حيث - يح - وجوده مظلوماً مستعبداً لغيره من أمم الأرض ، فقد توالت عليه دول ظالمة بكثيرة . كحرب الردة ( الحكوس ) والآشوريين ، والفرس ، حتى أهل ليبيا والسودان واليونان . والرومان ، وهذه قبل الإسلام . هذه تعبد على هذه البلاد كثير من الدول بعده . كالأرمينيين . والساسانيين ، ومنه صين من حرب ، وبرك . ولأكرد ، والشركس . وكثير ما عذب مصر ما عليها حتى حلها في أوائل هذا القرن في زمن ( يونانوت ) . بحث في معتبر مصر مصر ما . فوجد على أن ربي بناء هذا الشعب . وهذه تهدياً . حتى أحصاه صاعداً لا يحصى ببلاد خدمة صحيحة نافعة ، ويستقى بنفسه عن الأجانب ، لقد وطئت ناسي على يراز هذا الرأي من الفكر إلى العمل »<sup>(١)</sup> .

ويقول عرابي باشا في مذكراته تعليقاً على هذه الخطبة ، إنه لما انتهى سعيد باشا من إلقائها خرج المدهورون من الأمراء والعظماء خاضعين ، حائقين ، مدهوشين مأسوساً ، وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تهلل فرحاً واستبشاراً . ويقول إنه اعتبر هذه الخطبة أول حجر في أساس مبدأ ( مصر للمصريين ) . قال : « وعلى هذا يكون للرحوم سعيد باشا هو واضح أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة في قلوب الأمة المصرية الكريمة »

هذا ما يقوله عرابي باشا ، وهو قول لا يخار عليه ، ونضيف إليه أنه لو بقيت هذه الروح سالفة في عهد خلفاء سعيد باشا لما كانت البلاد في حاجة إلى شيوخ الثورة العرابية ، لأن هذه الثورة قامت لتحقيق المبدأ الذي إبعده سعيد باشا . فلو سار خلفاؤه على هذا المبدأ ثم انصرفوا إلى دوا إليه لم يربوا في سكون وسلام ، ولكانت البلاد في حيز عر قيام تلك الثورة ، التي مها قبل لها أو عليها ، فلا يستطيع أن يغفل تلك الحقيقة بقوله ، وهي أنها أصبحت مأساة من الإحتلال الأجنبي . وليس ينبغي أن الاستقلال والاحتلال ضدان لا يتحطان

ومن أعوانه أخيراً إنشاء ( القلعة السعيدية ) بالقناطر الخيرية . وكاد يقم بها أنبياءاً وجعلها بحيث تستطيع صد هجمات الأعداء من القاهرة إذا جاءوا من طر

على أن سعيد باشا كان لا يستقر على وثيرة واحدة في اهتمامه بشئون الجيش . ومرجع ذلك إلى ضعف إرادته ، وقلة حرمه . وتقلبه في الرأي . وقد كان هذا الخلل من مواضع ضعفه . فكثيراً ما لوحظ عليه أنه يرى في يومه يقبض ما رآه بالأمس . ولا يثبت على رأي واحد فيها

(١) مذكرات عرابي ( مكتبته نشر من سر الأسرار ) ص ١٦

هو يحيى بزيادة عدد الجيش إذا به بصره . فلا يبقى منه إلا التزير اليسير في سنة ١٨٥٦ صرف معظم الجيش . ولم يبق منه إلا ست أروط من المشاة ، وثلاثة بطوكات من عربات . وبتوكين من المدفعية . ولما سفر في رحلة إلى السودان أواخر سنة ١٨٥٦ اصطحب وطفين من الجيش وبقى لأروط الأخرى بالقاهرة والإسكندرية وبين سويس . ثم جميع الضباط وجعل منهم مدرسة بالقلعة السعيدية بالقناطر الخيرية . وذلك لحرمه من أن يقوم الجيش بثورة في البلاد أثناء غيابه بالسودان

وفي سنة ١٨٦٠ أعاد الجيش ثانياً وأعاد إليه الضباط ، ونظم فيلقه . وكان قرصه الاستعداد للقتال حينها تؤثرت العلاقات بينه وبين تركيا . بسبب مسألة فتاة السويس . وقاد معه هذا الجيش وحسبته في مروط . وأقام هناك ثلاثة أشهر كان لا يثبث خلالها بحرى اندارات لخرية . وكان عدد الجيش وقتئذ ٦١,٠٠٠ مقاتل كما أحصاه إسحاق باشا سرهك في كتابه ( ج ٢ ص ٢٧٥ ) ثم صرف معظم هذا الجيش بعد أن عادت العلاقات الودية بينه وبين تركيا .

وفي سنة ١٨٦٢ أعاد تنظيم بعض الفرق ، وكان لا يقر له قرار إلا بين جنده ويلازمهم في معظم أوقاته .

وذكرته السيورديتان دلبيس أنه نقص الجيش من سبع ألفاً إلى ثمانية آلاف أو عشرة آلاف مقاتل . وذلك لكي ينحصر أكبر عدد من القنزمين لأعمال الحفر في قناة السويس<sup>(٢)</sup> ومن هذا يتبين لك أن القناة . علامة على ما جلبته مصر من المضار كما سيحيى بيانه ، كانت من أسباب الضمحلل الجيش المصري .

### البحرية

قلنا أن سعيد باشا نشأ نشأة بحرية ، وانتظم لملك الأسطول قبل أن يتولى الحكم . فكان ميالاً بضمه شأنه إلى إحياء البحرية المصرية ، بعد ما أصابها من الضمحلل والإهمال في عهد عباس

(٢) وثائق من تاريخ القضاء كلسي عرديان دلبيس ج ١ ص ٢٢٢

وقد وجه حاجته فعلاً إلى ترقية شأن الأسطول . فلما عادت السفن الحربية المصرية من حرب القرم أمر بإصلاحها وإنشاء سفن أخرى جديدة ، ولكن الخطراً خشيت أن تعود إلى مصر قوتها البحرية . التي كانت لها في عهد محمد علي ، فأوعزت إلى الحكومة التركية أن تمنح سمكاً من غلبة الأسطول . ورست بسطوط هذا العمل موهمه بإيهام الأسطول ، إذا قوى سببه يصبح خطراً يتهدد تركيا كما كان في عهد محمد علي ، فاستمع السلطان لندائس المجلنات وأصدر أمره إلى سعيد باشا بالكف عن إصلاح سفن الأسطول وإنشاء سفن جديدة إلا بأمره ، فكان ذلك سبباً لاصمحلال قوة مصر البحرية ، وقد ذكر إسماعيل باشا سرهنا في كتابه حقائق الأخبار ( ج ٢ ص ٢٧١ ) أن سعيد باشا إدرك أن معظم السفن الراسية أمام دار الصناعة بالإسكندرية لا تصلح للقتال إلا بعد إصلاح جسم وإياها إذا تركت وشأنها أصابها التلف ، أمر بتكسيرها وبيع أنشائها وإحراق ما لا يصلح منها ، وصرح معظم صباطها ، وأدخل الكثيرين منهم في الوظائف الملكية ، وخاصة في مطابخ الواسعة ، ولما أنشأ إدارة للملاحة النيلية ، وهي التي دعيته مصلحة ( الابجورية ) ابتاع لها كثيراً من البواخر النيلية ، واستخدم فيها بعض أولئك الضباط والجنود ، وهناك سبب آخر لاصمحلال البحرية في عهد سعيد ، ذلك أن الدول الأوروبية أخذت تستبدل بالسفن الحربية الشراعية السفن الجديدة البخارية التي صارت الأساطيل الحربية تتألف منها ، ولكن مصر قصرت عن مجاراة الأساطيل الأوروبية في هذا المضمار ، ومن هنا أسعنت البحرية المصرية في الضعف وآلت حالتها إلى الاصمحلال

ولو كان سعيد باشا على شيء من العزيمة التي امتاز بها أبوه العظيم لما ترك الأسطول المفسخ الذي بليت مصر في سبيل إنشائه ما بذلت من الجهود يتجدد ويتكسر ، وما صدع أوامر السلطان في هذا الصدد ، بل كان عليه أن يعهد الأسطول ، ليصلح ما يطلب من سفنه ، ويحده بإنشاء السفن البخارية بدلا من السفن الشراعية ، لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، وهو الذي كان يحس به أن يقدر قيمة الأسطول إذ نشأ في البحرية يمارس قوتها وعرف مبلغها من الجلال وسحر الشأن

لعل إدراك سعيد شأن البحرية الحربية ، على أنه عني بالملاحة التجوية الداخلية والخارجية ، فأنشأ شركتين للملاحة ، إحداهما بحرية ، والأخرى نيلية

### شركة الملاحة النيلية

فالشركة الأولى للملاحة النيلية ، أسست سنة ١٨٥٤ والعرض منها نقل الخاصلات والمسافرين بطريق النيل على البواخر والسبب الذي دعا سعيد باشا إلى تأسيس هذه الشركة أن المراكب الشراعية التي تنقل الحلال والتاجر من دلتا النيل إلى الإسكندرية عن طريق النيل وترعة المحمودية كانت تتأخر في سيرها ، معاكسة الريح . فكانت تقطع المسافة بين القاهرة والإسكندرية في خمسة عشر يوماً . في حين أن البواخر تقطعها في ست وثلاثين ساعة . ولما كانت الإسكندرية تستمد أقواتها ومواد الغذاء من الداخل . فلأخر السفن الشراعية يؤدي إلى أزمة في الأقوات . وخاصة بعد أن زاد عدد سكانها . هد إلى ما في استخدام مراكب الشراعية من تعطيل مواصلات التجارة عامة فأسس سعيد باشا هذه الشركة لتسهيل سبل المواصلات النيلية عبر أن عجب هذه الشركة أنها شركة أجنبية ، مؤسسوها من الأوروبيين . ومعظم رموس أمراء أحييه . ولعل هذه أول شركة أجنبية أسست في عهد سعيد باشا ولم يكن من أعضائها من المصريين سوى رئيسها الفخري ( الذي لم يكن له عمل ما ) وهو ذو الفقار باشا وزير المالية ، أما أصحاب الامتياز فهم فيما عدا ذو الفقار باشا جماعة من المثاليين الأجانب من مختلف الأعجناس ، وهم السيد رويسر Ruyssenaers فتصل هولندا العام في مصر ، والسيد بولاني Poppolani ، وكوبنيج بك Koenig Bey سكرتير سعيد باشا الأوروبي ، وموجيل بك Mougil Bey كبير مهندسي الري . وأيندى Aide وليويدياس ليغونس Lyghouines . ومدة امتياز هذه الشركة ١٥ سنة ، ومن شروط عقد تأسيسها . أنه عند وقوع خلاف بينها وبين الحكومة فلا يرجع الخلاف إلى التمسك بل بحكم بواسطة التحكيم ، وأن بواخر الشركة ترفع العلم المصري باعتبارها تابعة لشركة مصرية سميت هذه الشركة ( الشركة المصرية للملاحة البخارية ) . ولم تكن مصرية إلا بالاسم وكان في إمكان الحكومة أن تشتري البواخر من مالها بدلا من الائتجار إلى رموس الأموال الأجنبية . وقد سوغ ناصر سعيد باشا إعطاء هذا الأمر لشركة أوروبية بقوله أن حكومه عهده في لشركة بالقيام ببعض أعمال الإصلاح في ترعة المحمودية دون تكليف الخزانة المصرية مقدما .

أخسر مصر سمعته بشعر صلاح مرزوقا وروسه . وعهد بذلك إلى شركة روسه يعرف  
شركة ( داسو ) Dussau . وحافظ وريثها على إنشاء حوص عائمة لسلامة الإصحاح لشعب  
على بوسعهم . وقد كتبت عن الإصحاح في عهد الخديوي إسماعيل

### حروب مصر في عهد سعيد باشا

الشركت مصر على عهد سعيد باشا في حربين :  
الأولى : حرب القرم  
والثانية : حرب المكسيك .

#### ١ - حرب القرم

تقدم الكلام عن اشتراك مصر في هذه الحرب على عهد عباس باشا . وحسن بلاء الجيش  
المصري في الدفاع عن ( ملبسترا )  
وقد استمرت الحرب مدة وفاة عباس . وأرسل سعيد باشا عدة إلى الجيش المصري بها  
وما يذكرون هذه الحرب أن المصريين عادوا فيها الشدائد والأهول ، إذ كانوا يقاتلون في  
شدة لا يروى خلال شتاء عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ ، ولقي الكثير منهم حتفهم في ميادين القتال ، أو  
من فتك الأمراض . وقد دعوا دعاء محمد عن ( ألباتوريا ) ، وهي مدينة من شعور شبه  
حريرة القرم ، احتلها الحلفاء لهزيمة مواقع الروس المخصصة في شبه الجزيرة  
واستشهد سيم باشا ( فتحي ) القائد العام للجيش المصري في حصار ( ألباتوريا ) . ذلك  
أن الروس حاصروا المدينة سنة . وكان سليم باشا يتولى قيادة المصريين فيها . فيها هو قائم  
بقيادة القيادة أصابته مصابه في جهة رفته قتلا . ومع أن الروس تدفدوا عن امدده . لكن  
مقتل سليم باشا كان حصارا كبيرا أصابت الجيش . ووقعت وقد أتى في عوس الحسد  
والصعبات

ذكر للسير ( فانيغرين ) Vingiermer نيا مقته في كتابه ( سلمان باشا ) قال : إن  
مصر شعرت بالألم الشديد لزومه . إذ هددت قاذبة مدافع في الكفاءة الحربية ، وحلأ ربا تحت  
لجبر . اكتسب بشجاعته إعجاب رؤسائه وحبته زملائه .

سبح مآخذ الزفة من النيل ، وتوسيع مصفا في البحر الأبيض المتوسط ، وتخليدها ،  
وإنشاء علبات عند المطف لتفتيتها

### شركة الملاحة البحرية ( الشركة الخليجية )

أما الشركة الثانية فهي شركة مساهمة للملاحة البحرية ، تأسست سنة ١٨٥٧ رئيسها الأمير  
مصطفى حسين بن إبراهيم باشا . وعلمس إدراجها حط من التوطيد والأحداث . وهم بوز  
باشا ( وكذا لم يورث ) دانا ليريس . وله في عيبه أن يقوم بأعمال الرأس . وعبد الله بك .  
واسير ديرنكر Dumreicher وحسن كامل بك وإسماعيل حوري بك . والسيد بين  
وختار بك . لمست دسرى Pasire ، والسيد روسمر . وسعيد افندي ، وهوج توردون  
Huge Thurburn والسيد زكالي zakali

وتمت ( القومية الخليجية ) نسبة إلى اسم السلطان عبد الحميد الذي كان يتولى عرش  
السلطنة آنذاك وقتئذ . والحرص منها سبيل التحرر في البحر الأحمر . ومنه إلى المحيط الهندي  
ثم الخليج لدراس في البحر الأبيض المتوسط . وكانت تقوم بالملاحة بين السويس وتغر  
البحر . ويتم والقصر وسواكن ومصروع ونقل الحجاج دعاء ورياء إلى شعور حصار . وما  
بواحر أخرى باسم الأملح المتوسط . ومدة إمتدادها للآتون سنة . وبواحرها ترفع الراية  
المصرية . ومبارعتها لا ترفع أمام حاكم القصباء بل أمام الحاكم التجارية المصرية . ولما  
مستودعات ومطاب في السويس والقصر ومصروع  
ولكن هذه الشركة قد سرى إليها الإصحاح في أواخر عهد سعيد . لعدد إدارتها ،  
فحبها الحكومة . ووبت مضمونها على عهد إسماعيل . وعادت الأسهم إلى أصحابها مصفلة على  
عشر مئوت صعب مع وائلها ٣٤٠٠٠٠ حبة . وحلت محلها الشركة امبريه لبي إنشاء  
إسماعيل كما سيجي . ياه

### إصحاح مياه السويس

شغل حركة التجارة والمصر في السويس بعد إنشاء السكة الحديدية التي تصفها  
بالقاهرة . وبعد إنشاء الشركة الخيرية للتجارة واتحاد السويس بينه خطوط الملاحة في البحر

مكتبة  
عبدالله بن عبدالمطلب  
بدره

والله اعلم بالصواب. وشرك في الحروب كما ذكر في رحمة الله تعالى.

وفى الجيش المصري إلى حرب ثمة بدء مصطفى على شهادته حسى لملته في القتال  
في أسير فائز به في كتابه (ملبان دشا) ما ذكرته في هذا الصدد جريدة المنصور

ج

تحت المصروفين لهم غير الخلود الذين دافعوا عن أليانورا. وبالقوة هذه الكاتبة دتها في

وقالت في موطأ آخر : «إن المعربين يهرون في الجيش التركي وفي البلاد التركية بالقرب . وطرفهم في القتال تشبه طريفة تلك الشعوب الحربية التي تجتمع إلى السيفاطة

وشهد ليلهمال سميرت Ormont ليد فواد الجيش الفرنسي في حرب القرم شهادة قيمة  
والاقدام - الدكاء والنظام (٢)

للبحر المصري

عندها ١٤ المده حثي . يؤمنون حرا من جيش مصر ماشا ، ووليت هذه الثروة في ايام ان المصري منها في حرب الفرو . وجب لك تحفظا لا تاتوري شاعلت فرقة من ذلك يعيش بيلم

تفوق الهولنديين التركيبيين في كل الثواب .  
 المحرمة . كما أيضا وهي محض علم مغرب . علم مغربي من الزك . وشهد بها كانت

[١٦] حصار مكة الحبيب عاميئة من ١٧٧٣

١٧٠٠

وذلك أنه كان عادياً يسطرون به الأخطاء لإصلاح بعض الأمور . فهبت على الأسطول ربح

عاصفة ، وتكافز عليه العاصب ، لعلنا دون احتيازه بوعاز التوسلور بسلام ، راشدت

١٠٠٠

والحرب الثانية هي حرب المكسيك ، وقد تأخرك الدهشة من اشتراك مصر في حرب المكسيك بأمريكا ، أولا تأتينا لها ولا يعلم ، ولكن خلال ثمانين ميول معهد ليجو نابليون

الدائن بمرطوط مرأى في ذلك العهد وصداقه له أن يلي دهره سعيًا طلب إليه أن يمد يده  
محبته مصر به تعاون لحسن القريبين بها.

... من حدود نهر النيل " وسمرت الحرب مجددا بين الجيش الفرنسي و قوات  
جيش مصر. وبعد انهيار مصر في عصبة مكسيك مرة من فرنسا وحمل عرشها  
لاستوى مكسيك. ثم كانت الثورة. ثم كانت الثورة. ثم كانت الثورة. ثم كانت الثورة.  
الفرنسيون من البلاد وقتل الامبراطور مكسيكيا ريبا بالخاص من ١٨٦٧. وفي عصور  
ذلك ظلت الكنيسة المصرية تكافح في تلك البلاد المحيطة بعبا وأربع سوت. قتل في خلاف  
البكتاشي حيرة الله. فحفظه فلان افندي. وفي عظم وجاها. وفي بين منهم بعد رب.  
الحرب سوى نفة من صباطها. ونحو ثلثائة من جنودها. ولما جلا جيش الفرنسي عن  
المكسيك عادت الكنيسة إلى فرنسا. فاستعرضها الامبراطور نابليون الثالث. بصحبه القائد  
المصري شافين باشا. الذي كان يزور باريس وقتها. فهنا الامبراطور فلان افندي على  
شجاعة الكنيسة وحسن نظمها. وورع الأوصية على بعض المبعوثين من رجاها. ورجعت إلى  
مصر في مايو سنة ١٨٦٧. فاستعرضها الخديوي اسماعيل سراي رأس التين بالإسكندرية.  
وأمر بتربية طائفة منها. وأقام لطيف باش وزير البحرية مأدبة لصباطها كرميا لهم ولشاعر رجاها  
الكنيسة

### السودان

مر عهد عباس الأول دون أن يتأهل السودان منه الصائفا ما. ولم يحدث في عهده مما يستحق  
النظر سوى إنشاء المدرسة الابتدائية بالخرطوم. وقد فصلنا الكلام هنا في كتاب "عصر محمد  
علي" (ص ٤٨٨ من الطبعة الأولى)

وتولى منصب الحاكم العام للسودان في عهد عباس خالده باشا الذي كان يشغله من عهد  
محمد علي. ثم عبد النظيم باشا الذي أنشئت في عهده مدرسة الخرطوم الابتدائية. ثم رسمه  
باشا وقد مات بالخرطوم. ثم اسماعيل باشا قوجيل. ثم سليم باشا. ثم علي باشا سراي  
ولما تولى عباس الأول وحنقه سعيد باشا تار السودان مصييا من اهتمامه. فقد اقتضى من  
يه فضيلة العناية بهذا الإقليم العظيم المتمم لمصر. وفي أول عهده جعل علي باشا شركس  
حكمدارا للسودان. وأولاد أخاه الأمير عبد الحليم باشا للتفتيش على إدارته. وإصلاح

(٨) راجع تاريخ هذه الكنيسة في البحث المسهب للشوق في مجلة مصر Revue d'Egypte سنة الأولى (١٨٩٤)  
ص ١٠١ وما بعدها. وما ذكره اسماعيل باشا سرحمت في كتبه حقائق الأعيان ج ٢ ص ٢٧٦

شونه. ولكن الأمر جعل بعده فيه. بصهر و. حقه يجعل ما بعده. مصر  
ثم اعترف بعد أن يزور السودان نفسه بتقدم آخره كي ليس أود من قبل. فذهب إليه  
بصحبه طائفة من خاصه رحله وأصدقائه. مثل رعا باش. ودر عفا باش. وبراهيم باش  
البردي. وسير فريد دسيس. والذكور أنه ساس. وأر كليل باش حتى يودر باشا  
وغيرهم. ووصل إلى الخرطوم في ١٩ يناير سنة ١٨٥٧ والتقى بأعيان الأعيان. فطسوا له  
عرائص شكون فيها من فداحة الضرائب. ومطالبة الحكام. فاستمع لشكايتهم. وتالم  
لحالهم. وسورته يوما فكرة إخلاء السودان. ولكن أعيان البلاد ومشايخها عرسلوا إليه أن  
يعد من ربه. محتجين بأن إخلاء السودان يؤدي لإعلاء إلى تقدم الحالة فيه. إذ تعسه  
الفرص. فعدل سعيد عن رأيه. واعترف بإصلاح حاله. فأمر بإعلاء الأهالي من الخضر عليهم  
من الأموال. وحصل الضرائب تحصيلاً عظيم ووضيع فاعده ثلثة لتقدير قيمتها بأن جعلها  
تبع عدد سواقي في الأقطار. لأن السواقي تين مبلغ حصص الأرض. ودرجه إنتاجها.  
فجعل على مجموع الأرض التي تروى من ساقية واحدة ٢٠٠ قرش. وأما الأقطار التي تروى  
من غير حاجة إلى السواقي ففعل على القدان الواحد منها مصرية تزاد بين ٢٠ و ٢٥ قرشا  
وكرر عزل الموظفين الترك الذين كان الأهالي يشكون من سوء معاملتهم. واعترف بتعريد  
الأهالي حكم أنفسهم بإنشاء مجالس محلية مؤلفة من أعضاء يختارون من رؤساء العشائر  
والمعتمدين. ووقع المظالم جن الأهالي. وفك أسار الكثرين منهم. ودم بالقاء  
السخرة. وأمر مديري الأقاليم السودانية بأن يحسوا معاملة الأهالي. وألا يهملهم في حياة  
الضرائب. وفرض ألا يجهد إلى الجنود في تحصيل الضرائب لما اشتهر عنهم من القسوة  
ومن إصلاحاته بالسودان أنه أنشأ محطات في صحراء (كروسكو). لتسهيل نقل البريد  
والمسافرين بين مصر والسودان. وتنظم البريد بين مختلف أنحاء السودان. وأنشأ نقطة عسكرية  
على نهر سومات لمنع تجارة الرقيق ومطاردة السحابة  
ولما عاد إلى مصر عهد إلى موحي بك كبير المهندسين تسهيل سبيل المواصلات بين وادي  
حلفا والخرطوم. فأمر موجهل بك أن يجد وسيلة لإدراك هذا الغرض. وسكة حديد  
ووضيع مشدداً بذلك. ولكنه لم يعد لكثرة نقصه من لطفاب. وقد أنظر منصب  
الحاكم بعد (حكمدار لسودان). وجعل من سودان خمس مديريات مستقلة في إدارتها

(٩) ذكر ذلك سير فريد دسيس في كتابه (ذكرت ربيع سنة) ج ٢ ص ٢٨٨

حصلها عن مصر ، فخرج كل منها في سفينة إلى وزارة الداخلية في شأن مدير مررب لفضل  
مصري ، وجعل من الخرطوم ومبار مديرية وحدة وهي أراكيل بك وبار مديراً لها ، لكي  
يشرف على الإصلاحات التي قررها ، وقد بقي بكون منصبه إلى أن توفي سنة ١٨٥٨ ، ثم خلفه  
حسن بك سلامة حتى عزل ، وخلفه محمد بك وأصبح

ثم رأى سعيد باشا أن استقلال مديري الأقاليم جعلهم يخشون إلى الاستبداد والظلم ،  
رسميون إلى الأهلين ، فألغى استقلالهم ، وأعاد منصب حكام السودان ، وقاد موسى باشا  
حمدي هذا المنصب ، فكان من أعظم ولاية السودان شأناً ، وله فيه إصلاحات جمة ، منها  
أنه عين من الأهلين نظار أقسام (أموري مراكز) ، ومعاونين ، وعقد ورؤسائهم مجلساً ،  
وس قوانين جديدة لتنظيم الضرائب ، وتسهيل جبايتها

وقد حفد سعيد الرحلات والاكتشافات الجغرافية في أنحاء السودان ، فذكر عدد  
المكتشفين في عهده ، ولكنه لم يجد جدواً في إيفاد بعثات مصرية كالبعثة التي أوفدها محمد  
على إلى السودان بقيادة البكاشي سليم بك قبطان أحد ضباط البحرية المصرية ، بل ترك أمر  
هذه الرحلات للمكتشفين الأجانب ، وهي ناحية ضمت وقع فيها هو وإسماعيل من بعده

### رحلة سعيد باشا إلى الحجاز

فصد سعيد إلى الحجاز في أوائل سنة ١٨٦١ ، وتدل ملابسات هذه الرحلة على أن لها  
غرضاً سياسياً ، فإنه لم يتعب إلى الحجاز في موسم الحج واقتصر على زيارة المدينة المنورة ،  
وكانت الرحلة أنشبه بتجريدة عسكرية ، إذ كان يصحبه من الحشد والحاشية نحو ألف رجل من  
مشاة وفرسان ومدعية وأتباع ، واحتلفت الآراء في الباعث لسعيد على هذه الرحلة ، ويؤيد  
من رواية محمد بك صادق (باشا) <sup>(١٠)</sup> الذي رافق الأمير في رحلته أن لها مبرراً سياسياً ، وهو  
استدعاء الحكومة التركية إياه للحضور إلى الآستانة ، فرفض الذهاب إليها ، واعتزم زيارة  
لمدينة لكي يستعمل الأعداء ويمجد مسوغاً لرفضه ، وبدأ سعيد باشا رحلته في ١٦ رجب  
سنة ١٢٧٧ هـ (٢٣ يناير سنة ١٨٦١) فبعد من القاهرة إلى السويس ، ومنها إلى (الوجه)

(١٠) في بحث التنوير مجلة الجمعية الجغرافية عدد مايو سنة ١٨٨١ ص ٩٩ تحت عنوان المدينة من عشرين عاماً  
Medine il y a vingt ans



سعيد باشا والي مصر  
من سنة ١٨٥٤ إلى ١٨٦٣

من نحو المحمد ، ثم سارت الحملة براً إلى المدينة المنورة . وصلها في أول شعبان ( ١٢ )  
 فبراير ) ، وبعد أن دار سعيد باشا قبر المصطفى ﷺ غادر المدينة في اليوم السادس منه ، وصار  
 إلى يبع ، ومنها استقل بالخرة ( نجد ) إلى السويس فوصل إليها ل ١٧ منه ( ٢٨ فبراير ) .

### التعليم

م يوحه سعيد باشا عابه في إحياء نهضة العلمية ، واستمر الجهد الذي أصابها في عهد  
 عباس ، وهذا موضع تقدير شديد في تاريخه .

وقد حاول السيو ( مريو ) ، وهو من المسيحيين بسعيد ، أن يلمس موعظاً لهذا التفسير  
 المحجب ، فلم يجد ما يبيض بظاهه ، قال في كتابه ( مصر الحديثة ) :

« لا يخفى أن المدارس قد أعملها عباس ، فأصابتها الأصحاح والندهور ، وبقيت حين  
 تولى سعيد الحكم درجة من التقهقر والقرص جعل الباشا يرى من الحكمة إقفالها نهائياً ، بدلاً  
 من السعي في تنظيمها . إذ كان السعي عبثاً لا يجدي »<sup>(١١)</sup> .

وهذا دفاع كما ترى لا يسوع عمل سعيد ، إذ ليس من المعقول ولا مما يقبله المنطق أن  
 يطالع التقهقر في المدارس بإقفالها ، بل العلاج للشرع هو تنظيمها وإصلاحها ، وإذا كانت  
 عزيمة عهد علي قد أوجدت المدارس من العدم ، فأسهل من ذلك إصلاح ما احتل من  
 شؤنها

تولى سعيد الحكم وليس بالقطر المصري من المدارس التي أنشئت في عهد محمد علي سوى  
 القدر اليسير ، فلم يعمل على إحياء ما انتثر منها بل ظهر عدم اكتماله بشؤون التعليم بلاءه  
 ديون المدارس ( وزارة المعارف ) وكان يديره وقتئذ حيدى شكرى باشا وألقى أيضاً مدرسة  
 الهندسة ببولاق سنة ١٨٥٤ ، وكان يولى نظارتها العلامة علي بك مبارك ( باشا ) فأعده  
 سعيد ضمن الحملة التي أرسلها لمساعدة تركيا في حرب القرم وفتح هذه الفرصة لإقفال  
 المدرسة ، وألقى أيضاً مدرسة ( المفروزة ) سنة ١٨٥٥

وأنشأ مدرسة حرية بالقلمة عهد بنظارتها إلى العلامة رفاعة بك رفيع وصحبت مدرسة  
 أركان حرب .

(١١) مصر الحديثة - قسمر مريو ص ٨٢

ثم أعاد سعيد فتح مدرسة الهندسة سنة ١٨٥٨ وجعلها مدرسة حرية نقلها إلى القلمة  
 لسهولة بالتقاط الحيرة وصحبت المدرسة الحربية ، وأعاد فتح المدرسة البحرية بالإسكندرية .  
 وفي عهده أنقلت مدرسة الطب بقصر العبي ، ثم أعاد فتحها سنة ١٨٥٦ وأنشأ بها مدرسة  
 للقبائل عهد بنظارتها والتدريس فيها إلى السيدة جليلة نمرهان التي نقلت علومها الطبية في  
 مدرسة القبايل القديمة المنشأة على عهد محمد علي والمغاة في عهد عباس .  
 وفترت حركة البعثات العلمية فلم يرسل إلى أوروبا سوى ١٤ طالباً .

ومع جهود حركة التعليم إلى هذا الحد فإنه لم يخل على البعثات الأجنبية الدينية بمساعدته  
 كي تفتح مدارسها ، لمع إعاناته سوية لأبحاث البون باستور Bon Pasteur ( الراعي  
 الصالح ) وكانت هي مدرستان بمصر والإسكندرية ، ولراحيات الصدقة بالإسكندرية ،  
 وروهب للبعث الأمريكية ببناء بمصر لتتخذ مدرسة لها ، وأعطى أول مدرسة إيطالية أنشأها  
 الحكومة الإيطالية بالإسكندرية إحانة قدرها ٢٤,٠٠٠ جنيه ، ووهب لها قطعة أرض في أجود  
 جهات الإسكندرية لتنشئ بها المدرسة ، فكانت عنايته بنشر التعليم الأجبي أكبر من عنايته  
 بنشر التعليم الأهم ، وهذا من متناقضاته .

### نظام الحكم في عهد عباس وسعيد

#### النظام السياسي

بقى الحكم لى عهد عباس وسعيد حكماً مطلقاً بتولاه وفي الأمر إذ كان يجمع في يده  
 السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، فهو المرجع في كليات الأمور وجزئياتها  
 وأعمل ( مجلس المشورة ) الذي أسسه محمد علي وانعقد على عهده حيناً وكان واة لنظام  
 شورى ( راجع كتاب « عصر محمد علي » ص ٥٧٢ ) فلم يظهر له أثر في عهد عباس وسعيد

#### المجلس الخصوصي

ذكرنا في كتاب عصر محمد علي ( ص ٥٧٩ ) أن محمد علي أنشأ سنة ١٨١٧ محمداً دهاه  
 ( المجلس الخصوصي ) ، واختصاصه النظر في شئون الحكومة الكبرى ، وس اللوائح



وعوامين . وإصدر التعليمات لجميع مصالح الحكومة ، وكان يرأسه يريهم .  
وقد أعيد تأليف هذا المجلس في عهد عباس الأول بمقتضى لائحة صدرت في ٨ ربيع  
آخر سنة ١٢٦٥ هـ ( ١٨٤٩ ) وتولى رئاسته الكتخدا باشا وهو أكبر موظف الحكومة .  
وعصاؤه من كبار الدوات والعلماء ، واختص بنظر المسائل العامة للحكومة ومن اللوائح  
ونقوانين وترتيب النظم العمومية وتنصيب رؤساء المصالح الكبرى ، فكان عزلة مجلس  
طار . وتولى السلطة التشريعية ، وشاركه فيها مجلس الأحكام . وقد بقى هذا المجلس قائماً  
إلى أن خلفه مجلس النظار في عهد إسماعيل

### الوزارات

وفي سنة ١٨٥٧ أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين فجعل منها أربع وزارات وهي الداخلية ،  
وقد عهد بها إلى الأمير أحمد رفعت ، والمالية وعهد بها إلى الأمير مصطفى فاضل والحربية  
وتولاها الأمير محمد عبد الحليم ، والخارجية وتولاها اسطغان بك أحمد خوجي البعثات في عهد  
محمد علي

### النظام القضائي

#### مجلس الأحكام

وكان في البلاد منذ عهد محمد علي هيئة قضائية عليا تسمى (جمعية الحقاية) أنشئت سنة  
١٨٤٢ وقد سميت هذه الهيئة منذ سنة ١٨٤٩ مجلس الأحكام ، وهو المجلس الذي كان له شأن  
كبير في عهد سعيد وإسماعيل ، وكان بمثابة الهيئة الاستئنافية العليا في البلاد ، ويتألف من تسعة  
أعضاء من الكبراء ومن علمائ أجدما حتى والآخر شافعي ، وكان أيتا يشارف ( المجلس  
المخصوص ) في السلطة التشريعية

### مجالس أو محاكم الأقاليم

بقيت المحاكم الشرعية كما كانت في عهد محمد علي ، وبقى لها اختصاصها في المسائل  
المتعلقة بالأحوال الشخصية وانتقال الملكية ، غير أنه أنشئت محاكم أو مجالس جديدة

للمسائل المدنية والتجارية سميت ( مجالس الأقاليم ) ، بلغ عددها خمسة في بداية  
تأسيسها . وهي ( مجلس طنطا ) ويختص بنظر قضايا الحرية والمنوية والبحيرة ، و ( مجلس  
سمود ) ويختص بنظر قضايا الدفينة والشرقية والقلوبية ، و ( مجلس العرش ) ويختص بنظر  
قضايا الحيزة ونسباً وبنى مرار وبنى سويف والميوم ، و ( مجلس جرجا ) ويختص بنظر قضايا  
أسوط وإسنا وقنا ، و ( مجلس الخرطوم ) ويختص بنظر قضايا السودان  
وكان كل مجلس يتألف من رئيس وأربعة أعضاء ، وأربعة كتاب عدد ( مجلس سمود )  
قابه يتألف من رئيس وعصوين

وعين لكل مجلس اثنان من العلماء بوظائف معني أحدهما حتى والآخر شافعي .  
وكان ( المجلس المخصوص ) و ( مجلس الأحكام ) يصدران اللوائح والقوانين لهذه  
المجالس ، فكان بمثابة الهيئتين التشريعتين في البلاد ، ويتبين من ذلك أن مجلس الأحكام فوق  
كونه هيئة قضائية عليا كان أيضاً هيئة تشريعية

### ولاية القضاء

إن أهم إصلاح قضائي تم في عهد سعيد أنه نال من السلطان حق اختيار القضاة بعد أن  
كان العمل جارياً على أن قاضي القضاة الملوك من قبل السلطان هو الذي يمينهم<sup>(١٢)</sup> .  
وهذا الإصلاح فضلاً عما فيه من تحقيق الاستقلال القضائي لمصر فإنه منح مصدرها من  
مصادر الفساد في النظام القضائي ، فإن قاضي القضاة كان يعين القضاة حسبما يحل عليه  
أهواؤه ، وكثيراً ما يجعل تعيينهم مقابل جعل من المال ، وفي ذلك من إفساد القضاء ما لا يحصى  
من الأذهان

### إلغاء مجلس الأحكام ثم إعادته

وفي سنة ١٨٥٥ غضب سعيد باشا على مجلس الأحكام ، فأصدر أمراً بإلغائه . ودل  
سبب هذا الإجراء اعتقاد سعيد باشا أن أعضاءه لم يهجرأ طريق الاستقامة ، وقد أمر بإحالة  
الدعوى التي كانت من خصائص المجلس على الأمير إسماعيل باشا ( الخديو ) وكلفه عرض

(١٢) مصر الحديثة للسياسة ص ١

م يرم عروشه على سعيد باشا ذاته ، أى أنه لم يشئ هيئة أخرى مكان مجلس الأحكام  
- كـ . ولكنه رجع وأمر بإعادة تأليف مجلس الأحكام وأستد رثلته إلى الأمير إسماعيل  
سنة ١٨٥٦ ، والله من عشرين عضواً منهم أحد عشر عضواً من الأعيان ونسبة من  
المدون

ولم يرض عامان على تأليف هذا المجلس حتى عاد سعيد باشا وغضب عليه ، وكان سعيد  
مشهوراً بكثرة ثقليه في الآراء والميول ، وسبب غضبه أنه انتهى إليه أن أعضاءه يركبوا رهوة  
في قضية عرضت عليهم ، فارتأى إلغائه سنة ١٨٦٠ وألغى كذلك ( مجالس الأقاليم ) .  
على أنه عاد بعد ذلك سنة ١٨٦١ وأمر بإعادة مجلس الأحكام وعين محمد شريف باشا  
( الذى صار فيما بعد الوزير المشهور ) رئيساً له ، وكان من قبل ناظراً للخارجية ، وأعاد كذلك  
مجالس الأقاليم ، ولكنه اقتصر منها على مجلسين ، أحدهما بطنطا ، ويختص بنظر قضايا الوجه  
البحرى ، والثانى بأسوط ، ويختص بنظر قضايا الوجه القبلى .

وكان العمل أمام ( مجلس الأحكام ) ومجالس الأقاليم يجرى طبقاً للقانون العثمانى والقوانين  
التي أصدرها سعيد باشا .

وكان مجلساً طعناً وأسبوط يمكن أن ابتدأ في المنازعات ، ومجلس الأحكام ينظر فيها بصفة  
استثنائية ، ولما تولى الخديو إسماعيل أعاد تأليف مجالس الأقاليم بأن خصها في المديرية كما  
سيجيء بيانه .

### قضاء الأجانب

بقيت محاكم التجارة التي أنشئت في عهد محمد علي قائمة إلى عهد سعيد وإسماعيل وهي  
للمسما ( مجلس البحار ) في الإسكندرية ومصر ، وكاتب المحاميات والصعيات تنظر في  
المشاكل الخاصة بالأجانب ، ولكن كثرة نزوح الأجانب إلى مصر وما امتتجه من ازدياد هذه  
المشاكل جعل جهات الإدارة لا تستطيع التصريح لحسبها ، فأنشئ سنة ١٨٦١ مجلس خاص  
باسم ( مجلس مصر ) أو مجلس القومسيون ، يتألف من رئيس مصري وعضوين مصريين .  
وعصرو أوروبي ، وآخر يوناني ، وعصرو إسرائيلي ، وآخر أرمني<sup>(١٣)</sup>

(١٣) انظر كتاب الامانة ص ١٢١ يقول من ٨٥ طبعات .

ويختص بنظر القضايا التي ترفع من لأجانب على الرعايا المحليين ، وللقصليات أن ترسل  
مدوناً من بينها حضور المحاسب ، وحكمه تستأنف أمام ( مجلس الأحكام ) ولم يكن من  
حصصه حق الاستئناف ، فصار ، بل كان النظر فيها من اختصاص المحاكم الشرعية  
بعد وفقد محاكم مدونه في بلاد

### ثغرات التدخل الأجنبي

جتمعت في سعيد باشا عيان جوهريان ، الأول : ضعف إرادته وقلة حظه من الخرم  
والمرء . والثاني : وهو أكبر خطراً وأسوأ أثراً من الأول ، وهو به ثقته بالأجانب ثقة  
مطلقة . بحيث لم يكن يقوى على أن يخالف لهم رأياً ، أو يرد لهم طلباً ، وقد اتحد منهم بطانته  
وموضع سره ، فامتحت في كيان مصر ثغرات التدخل الأجنبي ، وأهم هذه الثغرات منح  
امتياز قناة السويس ، والاستفادة من البيوت المالكة الأجنبية .

### ١ - امتياز قناة السويس

#### نظرة عامة

بعد مؤرخو أوروبا ، والفرنسيون منهم خاصة ، مشروع قناة السويس مصخرة سعيد باشا ،  
ويقولون إنه بهذا العمل قد أدى أعظم خدمة للإنسانية والحضارة ، وهم هنا يقولون إنما  
يسمرون إلى هذا العمل من وجهة النظر الأوروبية ، فلا شك أن قناة السويس قد أفادت  
التجارة الأوروبية فوائد كبرى . بتقريباً طريق المواصلات بين أوروبا والشرق ، وأفادت أيضاً  
الاستعمار الأوروبي ، لأنها مكنت الدول الاستعمارية من إرسال الحملات والتجاريد الحربية  
من مصر إلى آسيا وأفريقية لإحصاع ممالك لشرق وشعوبه ، ورفعت من تلك الدول  
مشتات اختيار طريق الخط الأطنطى ورأس الرجاء الصالح ، ذلك الطريق الطويل المعروف  
بالمكاره والأخطار .

من لوجهة الأوروبية لا جدال في أن فتح قناة السويس عاد بأعظم الفوائد على التجارة  
الأوروبية والاستعمار الأوروبي .

أما من وجهة النظر المصرية . فالمسألة كانت شؤناً عن البلاد واستقلالها . . . . .  
 منها دول الاستعمار ، وجعلتها تسعى سعيًا حثيثًا للاستيلاء على مصر . وتضاعف جهودها  
 لتدعيم تحقيق هذا الغرض . ومن المضحك أن مساعي إنجلترا خاصة في احتلال مصر قد  
 تصاعبت ولتثبت بعد أن شقت القناة أرض مصر ، وسحبنا في ذلك أن أرادوا الاحتفاظ  
 على هذا الطريق الجديد الوصول إلى الهند ، وتستأثر بوضع يدها عليه ، وهي حجة لا أساس  
 لها من الحق والإنصاف ولكنها الأمر الواقع الذي توحى به مطامع القنص والاستعمار . فأنجلترا  
 بعد فتح القناة صارت أكثر تطلعًا وأقوى نفوذًا إلى احتلال مصر ، فلا عجب أن كانت مصر  
 محمية قناة السويس ، تلك حقيقة واقعة ، كان يجب أن لا تهتم بمسألة باشا عندما منح  
 امتياز القناة ، وأن يعطى إليها إسماعيل باشا عندما بذل تأييده للمشروع بعد اعتلائه العرش  
 حتى وصل به إلى عاقبه .

وإذا كان المؤرخون الإفرنج يمدون مشروع القناة أكبر مقبرة لسعيد باشا . فإننا نجد  
 بالعكس أكبر خلطة له في تاريخه ، لأنه بسببه هذا قد فتح باب التفتت الاستعماري في مصر  
 على مصراعيه ، وجعلها هدفًا للمطامع الأوروبية .

ويريد أن يثبت أنه كان عالمًا برأى أبيه العظيم محمد علي ومعارضه في فتح القناة ، وعلم  
 عندما منح امتياز أنه خالف وصايا أبيه الذي كان يمد القناة يوسفوفًا ثانيًا بحمل مصر  
 واستقلالها عرضة للخطر .

إن المسألة المصرية قد دخلت دوراً جديداً بعد فتح القناة ، إذ صار ينظر إليها كأنها هي  
 مسألة قناة السويس ، فكأنها أصبحت فيها ، وتبدلت أوضاعها تبعاً لهذا الازدواج . وصار  
 ينظر إليها من ناحية الدول الاستعمارية مرتبطاً بوجهة نظرها في مسألة القناة . ومعموداً . فخطر  
 جعلت حصصاً في مسألة القناة أو تسعى جهدها في وضع يدها عليها وعلى لاصح التي  
 تخارها . وأن يكون يدها مفتاح القناة ، ولدت وصفت نصب عجيباً أن على مصر بعد أن  
 فتح هذه الطريق البحرية الخطيرة لواصلتها إلى مستعمراتها في الشرق .

فصح مسألة بعدد في تأثيره لاستعماري بالنسبة للمسألة المصرية غروب مصر . . . . .  
 هناك أن الحملة الفرنسية جعلت إنجلترا تطلع إلى احتلال مصر ، كحدث كان شأن قناة  
 السويس . والفارق بين الحادثين أن إنجلترا قد أعمقت في تحقيق مطامعها التي أثارها الحملة  
 برسيه . وردت عن الكفافة دون أن تنال منها مبالاً . وسويت المسألة المصرية في مصر

محمد علي طبقاً لمعاهدته لندن سنة ١٨٤٠ ، بحث المعاهدة التي كتمت مصر استقلالها الداخلي  
 لها . وبقيت المسألة مصرية ساكنة على مهب نبل المعاهدة . من فتح القناة . ومن ثم  
 بعثت أوضاعها . وسعت انجلترا من جديد في تحقيق طامعها القديم التي أصبحت حلال  
 الصب لاون من غرب التاسع عشر . فلا حرج أن كان فتح القناة مقدمه دور جديد بمسألة  
 مصرية . ولقد كان هذا الدور شؤناً على البلاد . إذ ختمت فيه لظروف سيئة في مكتب  
 تحتل من تحقيق أطرها في مصر . فإن فتح قناة في دته ، وبيع إسماعيل أسهم مصر فيها إلى  
 حكومتها الأخيرة . وهذا الأخير أن خطر أو خطره هو لاحتلال

فبعد ما لم يقرر إلى القناة كعمل حيوي لمصر ، وأغلب لظن أنه لم يوازن بين مزاياها .  
 ومقارنها . بل نظر إلى قائلتها للإنسانية فحسب ، ولقد زينت له مضائق السيوف مديان  
 وليس أنه بهذا العمل يعد من أكبر خدمات الحضارة ، ويدعي أن النظر إلى القناة من وجهة  
 فائدتها للإنسانية هو وهم لا يبيح بالألم التي نقدر معنى الوجود والحياة ، لأن حياة الأمة  
 واستقلالها مقدمان على كل خدمة عامة للإنسانية ، وليس في تاريخ الشعوب قديماً وحديثاً أمة  
 رغبنا أن تضحي بأية مصلحة لها منها ضللت ، بله استقلالها ، في سبيل خدمة الإنسانية .  
 فالحق أن هذه الأوهام لا تخرج إلا عن الأمم المستضعفة ، فبما عكس يرى الأمم التي  
 تتجدها مثلاً للتقدم والعظمة تنبأ بذلك الأوهام ، وتضحي بمصالح الأمم والإنسانية جميعاً  
 لتحقيقاً لأطماعها الاستعمارية بل تشيخ كل الوسائل في سبيل السيطرة على العالم ، واستعباد  
 لشعوب

من أصعب النظريات وأبعدها عن العقل والمنطق أن يقال إن سعيد وإسماعيل يستحقان  
 الإعجاب لأنها حملتا الإنسانية بإنفاذ مشروع القناة . والخليفة المؤلة أنها بعينها هذا قد مهد  
 السبيل لاحتلال إنجلترا مصر

والآن سنقول من أجل إلى التمهيد فنقول : إن سعيد باشا منح السيوف وليس امتياز  
 القناة قد جلب على البلاد مصر جسيمة تذكرها فيما يلي .

أولاً . أن القناة عرضت استقلال مصر للخطر . ولم يكن هذا الخطر ليحس من ذي  
 بصيرة في الأمور . فقد أدركه سيمبير لأوروبيين من يوم ولد في مشروع  
 وما يذكر في هذا الصدد أنه دائماً مع الامتياز كتب المستر بروم Bruce حصل إنجلترا  
 لـ من وفدت في خدمته سنة ١٨٤٠ ، وتكون في حاتم رسالته . . . . . فتح هذه سيدي إلى

دياد المواصلات التجارية بين أوروبا والبلاد الواقعة على البحر الأحمر ، وستتطعم مراكز الدول الأجنبية في هذه البلاد .. ومن المتظر أن تحدث منازعات بينها وبين تلك لشعوب فتتخذ دويحة إلى التدخل المسلح في شئونها . وهذا التدخل يهوى إلى الاحتلال اسام . ويتوقع أن تحدث هذه النتائج في مصر فليها :

فهذا الشؤ الذي أدركه القنصل الإنجليزي سنة ١٨٥٤ هو ما كان يجب أن يتوقعه كل من عده قليل من بعد الطرق السياسية ، وهو ما وقع على مر السنين ، فإن إنجلترا بعد أن تم فتح القناة سمحت سميتها في احتلال مصر ، ولم ها ذلك سنة ١٨٨٢ أي بعد اثني عشر عاماً من افتتاح القناة للملاحة ، إذ كان افتتاحها سنة ١٨٦٩ ، ومن مصادقات القدر أنه عندما فتحت القناة كان للسفر غلادستون على رأس الوزارة الإنجليزية ، وعندما احتلت إنجلترا مصر سنة ١٨٨٢ كان هو أيضاً يشغل هذا المنصب .

ويدخل في هذا السياق ، أنه لما اشتمت معارضة إنجلترا في فتح القناة ، وجرى مفاوضات بشأن إقناعها بالدول عن معارضتها ، كان مما اشترطته الحكومة الإنجليزية لموافقتها على المشروع احتلالها للسويس ، وجايتها للقناة ، فبينما من ذلك أن إنجلترا لم تكن تحقق نياتها الاستعمارية نحو مصر عند إنشاء القناة ، ولم يكن حقيقياً أن هذا المشروع يجعل استقلال مصر هدفاً لمطامعها الاستعمارية

وفي هذا الصدد يقول مؤلف ( تاريخ مصر المثل ) وهو من الكتاب الأوروبيين المشهود لهم بالاعتدال وأصانة للرأى : « إن منح امتياز القناة إلى للسويس دلّيس قد فتح أبواب الدلائل على مصراعها للأوروبيين »<sup>(١٢)</sup>

ويقول المسير كوشري Cocheris : « إن هذه الاتفاكات المالية والتدخل الأوروبي المشعوم في شئون مصر يرجع في الحقيقة إلى سنة ١٨٥٤ وهي السنة التي منح فيها امتياز قناة السويس إلى للسويس دلّيس »<sup>(١٣)</sup>

ثانياً : أن سعيد باشا يقوله إنشاء القناه على يد شركة أجنبية فتح ثغراً ثابته مستحق الأجنبي ، وكان الضرر أخف وطأة لو فتحها مصر بنفسها ولحسابها

(١٢) تاريخ مصر المثل ص ٣ لقول لم يظن أنه ( وجد المسير بايوز Papoussi ) وجد كتابه من أهم المراجع في بلاد حالة مصر الحالية على عهد سعيد وإسماعيل

(١٣) المركز الدولي لمصر والسودان للسير كوشري ص ٦٧

ثالثاً : أنه أسرف في منح الشركة امتيازات وحقوقاً جعلها مبركة مصر في سيادتها وحطت بها حكومة داخل الحكومة كما ينبغي . بيانه

وأجلاً . لم تستد مصر من الوجهة الاقتصادية فائدة مآمن القناة سبل على العكس أضرتها اقتصادياً ، لأن طريق التجارة بين أوروبا وشرق تحولت من داخل مصر إلى القناة المائية التي أصبحت ملكاً لشركة أوروبية ، فحسرت مصر الأرباح التي كانت تعود عليها من مرور القناجر في وسط الدلتا بطريق النيل أو السكك الحديدية المصرية ، وانتقلت هذه الأرباح إلى شركة لقناة . وهذا من غير شك خسائر كبيرة .

خاصة : على الرغم من مضار المشروع لمصر فإنها أخفقت عليه من مآلها بيماً وستة عشر مليون جنيه ، بذت في أسهم اكتسبت فيها ، وأملاك تنازلت عنها ، وأعمال قامت بها ، وتعميمات أدتها للشركة ، وقد خسرت هذه الملايين في وقت كانت أحوالها تكون إليها ولإتقاد مشروع كان شؤماً عليها من كل الوجهه

ولئن عادت القناة يوماً إلى مصر فلا يمكن أن ننسى أن مصر خسرت فيها ثمناً باهظاً وتضحيات جسيمة ، ويكفي أنها بذلت لها ستة عشر مليون جنيه من أموالها ، ثم حرمت ما هو أعز من المال ، وهو الاستقلال ، وعندما تسترد مصر استقلالها تماماً فتكون قد حرمت استقلالها بسبب القناة رديحاً طويلاً من الزمن ، وهو حرمان لا يبرص بمال .

### نبذة وجيزة في تاريخ المشروع

لم يسس الحكومة المصرية قديمة أو حديثة أن وصلت البحرين الأصغر والأحمر بقناة ملحة عنق بوزخ السويس

### في عهد الفراعنة والفتح الإسلامي

وإنما وقع الاتصال عن طريق النيل ، فكانت قروعة الفراعنة لقدمه مخرج من فرع النيل الميولرى القديم . وتسير معجدة وادي الطميلات ، ثم تنلق جنوباً فتصغرق بالبحيرات المرة ثم تنصب في البحر الأحمر

وفي عهد الفتح الإسلامي أنشأ عمرو بن العاص « الحنيج » للمروء عنيج أمير المؤمنين .

٥  
بعد الحفنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣ هجرية ، وكان يصل الليل بالسحر الأحمر ، ويبدأ من مصر القديمة ، حيث يندى خليج مصر اليوم حتى القاهرة ومنها إلى بحرية . ومنها إلى القنطرة ، ثم يتبع آثار ترعة الفراعنة القديمة .

### في عهد الحملة الفرنسية

وفي عهد الحملة الفرنسية فكر نابليون في أسلافه في الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ( ص ١٢٤ ) في وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، وعهد بطرس هذا المشروع إلى المسير ( لويير ) كبير مهندسي الري والطرق والحسور ، فتمشى عامين في دروسه وفحصه ، وعاون فيه بعض مهندسي الحملة ، وقدم تقريراً إلى نابليون بعد مغادرته مصر ، وكان تصمم المشروع كما وضعه المسير لويير أن تمر قناة من السويس إلى البحيرات المرة ، ويغادر حفر خليج أمير المؤمنين إلى أن يتلاقى مع بحر موسى بقرب بوباسط ( الزقازيق ) ، ومن بحر موسى إلى مرج دمياط ، ومنه إلى ترعة الفرعية ، ومنها إلى فرع رشيد ، ومنه إلى الإسكندرية بواسطة ترعة الإسكندرية ، ويحدد المسير لويير أيضاً فكرة وصل البحرين رأساً بواسطة ترعة أخرى تمرق بروج السويس ، فيما بين بيلوز ( العلية ) على البحر الأبيض المتوسط ، ومدينة السويس على البحر الأحمر ، غير أنه اعتقد خطأ أن البحر الأحمر يطلو عن سطح البحر الأبيض بحراً تسعة أمثاله ، وقد نشر لويير مشروعه في كتاب ( تخطيط مصر ) بالخزنة الحادية عشر ، ومنه بحث مستفيض عن تخطيط ترعة الفراعنة القديمة ، وخليج أمير المؤمنين ، وتخطيط الجهات التي يتخذ منها المشروع ، ونقشات إنقاده ، ويقع هذا البحث في أكثر من ثلثائة صفحة ، وهو من أجل الأبحاث التي وضعها علماء الحملة الفرنسية

### في عهد محمد علي

جاء المسير فرديناند دلسنس إلى مصر لأول مرة سنة ١٨٣١ ، على عهد محمد علي باشا ، سرياً منصب مساعد للتفصيل لفرنسي ، فأبدى الباشا نحوه عطفاً كبيراً لما كان يبه ويحب إليه . فكانت ماتبو دلسنس Mathieu Delessens من صلات الصداقة القديمة ، منذ كان عضواً بفرنسا في مصر سنة ١٨٠٣ . وعمل فرديناند دلسنس بالأمير محمد سعيد ، إذ عهد

إليه أمره أن يعي بتربيته الرياضية ، فظم لأمره من بده أنواع الرياضة والمهارة في ركوب الخيل ، ومن هنا نشأت صلات الود بينه . واستمرت صداقتها طويلاً حياة سعيد باشا وقد وقع في يد السيد دلسنس وهو في الإسكندرية تحت الميول لير عن وصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر . وأكسب على هذا الصداقة يديته درساً دقيقاً ، فلم يلبث أن انجذبت نفسه إلى تحقيق مشروع الاتصال بين البحرين بقناة بحرية ، ثم انقل من منصبه بالقاهر المصري ، وطوحت به المناصب السياسية إلى مختلف الأقطار ، على أنه كد لا يتأبط بذكرى أمر هذا المشروع

### لجنة سنة ١٨٤٦

وكان مشروع وصل البحرين بقناة ملحة موضع البحث والتفكير في أوروبا بين مختلف المهندسين من يوم أن وضع المسير لويير تقريره عند في عهد نابليون ، وكاه الخطأ الذي وقع فيه المسير لويير إذ ظن أن البحر الأحمر يطلو عن سطح البحر الأبيض بتوسعة أمتار عقبة يراها رجال الفن حائلة دون إمكان وصل البحرين عن طريق بروج السويس على أنه في سنة ١٨٤٦ تألفت من بعض المهندسين من مختلف الأمم لجنة لدراسة مشروع حفر القناة ، وجاء أعضاؤها إلى مصر لفحص المشروع في أواخر عهد محمد علي . واستمروا على عهد عباس ، وعادتهم الحكومة في إجراء تلك المباحث ، وعهدت بتخطيط المواقع إلى بعض كبار المهندسين مثل لبنان بك ( باشا ) وسلامة أفندي إبراهيم ( باشا ) وإبراهيم بك رمضان وطائل أفندي وغيرهم ، وانتهت اللجنة إلى فرق مستوى البحرين ليس أمراً ذا بال ، ورأت الوصول إليها بشق ترعة تحتجاز الدلتا

وكان محمد علي عند البداية معروفاً عن مشروع القناة ، غير راغب فيه ، لما يتوقعه إذا تم من العرق والوجمة . فلم يستجب لدعوة المهندسين والملايين الأوروبيين الذين ريتوا له المشروع ، بل كان يرددهم بلطف وحكمة . ويمسهم ويمسهم ، وفي الوقت نفسه يفسر الإعراض عن هذا المشروع حتى انتهى حكمه .

وقد بلغ به حد النظر أنه لم يقبل أن يعهد إلى شركة إنجليزية مدسكة حديد بين القاهرة والسويس ، حتى لا تكون هذه السكة درنة إلى لتخلص الأجبي ، وكذلك أعرض عباس

١- لأول من مشروع القناة ، وضرب صفعاً على أبحاث اللجنة ، وحاول سيو فريدان ديس أن يضعه بمائدة المشروع ، وأرسل تقريراً عنه إلى السيد رويس Ruysenaers فحصل هويته الماء في مصر ليعرضه على عباس ، ولكن الفكرة لم تلق من الأمير قبولاً . وبعد فكه  
٢- تسهيل سبيل المواصلات بطريق البر بين الإسكندرية والسويس . بدلاً من شق ترعة ملحة  
٣- البحرين ، فأصلح الطريق بين مصر والسويس ، وجعله صالحاً لمزود العربات من عناء  
ولا مشقة ، ثم شرع في إنشاء سكة الحديد بين الإسكندرية والقاهرة كما تقدم بيانه . وبس  
السيد دلبس من نجاح مشروعه على يد عباس الأول .

### في عهد سعيد

فلما مات عباس وتولى الحكم سعيد باشا استشر السيد فريدان دلبس خيراً بنجاح فكرته ، على يد صديقه القديم ، فأرسل إليه بيته بارتقاء العرش ، وبلغه مزعمه على الحضور ليقدم له فروض القباي ، فاجابه سعيد على تهته ، واستدعاه إلى مصر فسرعان ما جاء الإسكندرية ( في نوفمبر سنة ١٨٥٤ ) ، وقابله الباشا بمضافة كبيرة ، فأكراً صلاته القديمة ، ثم اصططحبه في رحلة من رحلاته الحرية التي كان يسير فيها على رأس جندته . وسار معه من الإسكندرية إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية ، وكان الأمير يقود في هذه الرحلة حيث مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل

ماضم السيد دلبس هذه الفرصة ليغاثع سعيد باشا في أمر المشروع ، وكان لهارته في ركوب الخيل أثر في تمهيد السبل لنجاح مساهم ، ذلك أنه امتطى صهوة حواد أهداه له الأمير ، فوثب به يوماً من حاجز من الأحجار ، على مرأى من قواد الجند من حاشية سعيد ، فأعجبوا به بمهارته وفروسيته ، وفي مقدمة المصحين به ذو الفقار باشا وزير مالية الذي كانت له منزلة كبيرة لدى سعيد باشا

في اليوم التالي . فاتح السيد دلبس سعيد باشا في أمر المشروع ، وقرر له أنه إذا وقع اليد حظه ذكره واكتسب ثناء العالم بأسره<sup>(١٦)</sup> ، بالرغم من أن سعيد باشا كان يصرح بأنه لا سائل وصايا أية في الإعراس عن فتح القناة ، فإنه صنف أمام إغراء السيد دلبس .

(١٦) مراسلات وريب . ١٥ - من قناة السويس السيد دلبس ج ١ ص ٤

وقبل المشروع ، ووعده بمساعدته ، وتزويده في حقيقته ، واستدعى قواد جندته ، وعرض عليهم الفكرة ، وكانوا متأثرين إعجاباً بفروسيه السيد دلبس ، فادعوا إلى استحسان المشروع . دون أن يحشوه ، أو يواربوا بين مصره ومزايده ، فكأنوا هم وسعيد في قصر النظر سواء فانظر إلى ما صارت إليه شئون الدولة في عهد سعيد ، وكيف كانت عظام الأمور يت فيها من غير بحث أوروية ، ولا نظري عراقب ، وهذا من أسباب الضعف الذي أصاب مصر في عهد خلفاء محمد علي ، وإنه لما يدعو إلى العيشة والألم بما ، أن مشروعا خطيراً كقناة السويس يقرر في رحلة صحراوية ، من غير تمحيص ولا تفكير ، وأن عرود إعجاب رجال الدولة بفروسيه السيد دلبس ومهارته في ركوب الخيل كان كافياً لإقرار المشروع . ! ولم يفت السيد دلبس ملاحظة هذه الحقيقة المؤلمة ، قد أشار إليها ، في شيء من التكم والسخرية ، قال في هذا الصدد : « جمع سعيد باشا قواد جندته ، وشاورهم في الأمر ، ولا كانوا على استعداد لتقديم من يحدد ركوب الخيل ويقفز بجواده على الحواجز والمخادق أكثر من تقديمهم للرجل العالم المثقف ، انحلزوا إلى جانيه ، ولا عرض عليهم الباشا تقريرى عن المشروع ، بادروا إلى القول بأنه لا يصح أن يرضى طلب صديقه ، وكانت النتيجة أن مسح الباشا ذلك الامتياز العظيم »<sup>(١٧)</sup> .

وقال في موضع آخر : « بعد أن قبل سعيد باشا المشروع واستدعى قواد جندته ، ودعاهم إلى الجلوس أمامه ، وقص عليهم الحديث الذي دار بيننا ، وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم في مشروع ، صديقه » ، فلم يكن من هؤلاء المستشارين ، وقد فوجئوا بهذا الاقتراح وهم أقلد على إنشاء الرأي في منظومات الخيل منهم في التكلم عن مشروع عظيم لا يستطيعون فهم مرامي ، إلا أن نظروا إلى بجله أعجبهم ، كأنما يريدون إيهام أن صديق مولاهم الذي رأوه يقفز على الحائط راكبا جواده بثلث المهارة ، لا يمكن أن يدل إلا بأرءه صافية ، وكانوا أثناء الحديث يرضون أيديهم إلى رموسهم بين آونة وأخرى علامة على اللواظقة »<sup>(١٨)</sup> .

وذكر عن سعيد باشا ذاته ( ص ٥٧ ) أنه قال له بعد أن سمع الامتياز : « عترف لك بأنني لم أفكر طويلاً في الموضوع ، وإنما هي مسألة شعور ، وبس من عاقد أن أقلد الناس في ما يتبعون ويطلبون »

(١٧) صورة قناة السويس ص ١٥

(١٨) امبو . قناة السويس ص ٤٠

### صح امتياز القناة

(٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤)

ولما بلغ سعيد باشا القاهرة أنزل السيد دليس سباً عنده محمولاً بالإكرام والرعاية ، وله تمخض أيام معلومات حتى منحه بمقتضى العقد للزوخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ اختيار تأسيس شركة عامة لخطر قناة السويس ، واستأجرها لمدة ٩٩ سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة<sup>(١)</sup> . وهكذا نال دليس بفضله التي كان يسعى لها منذ ثلاث وعشرين سنة وهذا العقد هو المعروف بعقد الامتياز الأول : تميزاً له عن عقد الامتياز الثاني الموزع ٥ يناير سنة ١٨٥٦ الذي سجد الكلام عنه .

وقد عهد سعيد باشا إلى مهندس لبنان بك ، وموجيل بك . أن يرافقا السيد دليس إلى برزخ السويس ، لدرس المشروع وتطبيقه على طيبة الأرض ، ورفع تقرير إليه عن نتيجة مباحثهم ، وكان رأياً من قبل في جانب المشروع .

فقام للمهندسان الفرنسيان والسيد دليس بهذه المهمة ، وانتهى بهم البحث إلى الاتفاق على طريقة تنفيذ المشروع ، وهي أن تنشأ القناة مستقيمة في أقصى نقطة في البرزخ : بين موقع بيلورة ( بور سعيد الآن ) على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر .

### حصص التأسيس

ثم جمع السيد دليس من بعض المالكين حصص لتأسيس لشركة قناة التي أزمع تأليفها ، وجمعت قيمة الحصص خمسة آلاف فرنك ( ٢٠٠ جنيه ) وحصص فيه هذه الحصص لتعقدات المشروع الأولى ، على أن تحول قيمة الحصص إلى أسهم خاصة في الشركة عندما يتم تأسيسها .

(١٩) حسب عقد للملاحة يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ في أن هذه الامتياز تنهى في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ويصح العقد بعد ملكة مصر .

### لجنة دولية لدرس المشروع

وانتخب السيد دليس باعقائه مع سعيد باشا ( في نوفمبر سنة ١٨٥٥ ) لجنة دولية من المهندسين الفيين لدراسة المشروع ثانية ، بعد اطلاعها على تقرير لبنان بك وموجيل بك ، لتبدي رأياً في صلاح المشروع وإمكان تنفيذه ، وذلك حتى يطمئن الناس إلى نجاحه ، فقبلوا على الاكتتاب في أسهم الشركة عند تأليفها .

مذهب أعضاء اللجنة إلى برزخ السويس ، وأجروا مباحثهم الهندسية ، ووافقوا على المشروع كما وضعه لبنان وموجيل ، بعد أن ثبت لهم أن سطح البحرين واحد ، وأن الأرض صالحة لاختيار القناة الملحة .

### شروط الامتياز

( ٥ يناير سنة ١٨٥٦ )

ولما أتمت اللجنة مباحثها عرض السيد دليس نتيجة هذه المباحث على سعيد بك ، فأصدر له عقد الامتياز الثاني بتاريخ ٥ يناير سنة ١٨٥٦ م - ( ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢ هـ ) . صدق فيه على الامتياز السابق موجه إلى السيد دليس . وخصت شروط الامتياز التي حولها الشركة ، وكانت شروطاً قاسية ، لا ترضى بها حكومة رشيدة ساهرة على مصالح البلاد ، وهالك خلاصتها .

١ - سمحت الحكومة الشركة امتياز إنشاء قناة السويس بين خليج الطيبة على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر . وإشياء ترعة للعباء العذبة صالحة للملاحة سييه تمتد من سبل ، وتصب في القناة الملحة ، وإشياء ترعين بلري وشرب يستمدان مياهها من الرعة المذكورة ، ويصلان إلى السويس والطيبة ( بور سعيد ) ( مادة ١ من عقد الامتياز ) .

٢ - تنازلت الحكومة للشركة مجاناً عن جميع الأراضي المملوكة لها والمطوية لإنشاء القناة الملحة وترعة المياه العذبة وتوابعها ، وهي مساحات شاسعة على طول القناة وترجع المزمع





لاحق للحكومة في إقامة الحصون في هذه المنطقة

وإنك ترى في هذه الشروط روح التساهل والإسراف التي نتافت بها سعيد باشا مع الشركة ، فإنه خوفاً مرايا جعلها تشارك الحكومة المصرية في حقوق ملكيتها العامة ومبادئها ، وملكها مطلقاً ومنافع عامة ليس للأفراد من أهل البلاد حق تملكها ، وهكذا جعل منها دولة داخل الدولة المصرية ، وليس من عجب أن يجري عقد الامتياز تلك الشروط القاسية فإن السيد دليس هو الذي تولى تحرير العقد ووضع فيه ما شاء من النصوص والأحكام .

### مقاومة إنجلترا للمشروع

اشتراط سعيد باشا لصحة الامتياز أن يصدق عليه السلطان العثماني ، حل أنه كان معتزماً تنقيبه بصرف النظر عن هذا التصديق ، وأعطى السيد دليس اليهود والمواطنين ألا ينظر إلى هذا التصديق إلا كمظهر شكل ليس يلهي بال ، وفي الواقع إن ما نالته مصر من حقوق الاستقلال الداخلي طبقاً لمعاهدة لندن لا يجعل مثل هذا التصديق ضرورياً لصحة الامتياز ، ولكن دليس أراد زيادة الاطمئنان على مشروعه ، فذهب إلى الآستانة يلتمس فرمان التصديق . فأتى مناهضة للمشروع من السيد البريطاني بإيعاز من اللورد بليرستون وزير خارجية إنجلترا في ذلك الحين

وكانت السياسة الإنجليزية ترمي حينئذ إلى عرقلة المشروع خشية امتداد النفوذ الفرنسي في مصر ، ونحوها على طريق المرور إلى الهند تحت سيطرة دولة سواها . فقاومت المشروع من طريق الحكومة التركية ، إذ حرضتها على رفض التصديق ، ثم من طريق الأسواق المالية إذ ألقت في روع المثاليين أن المشروع خيالي لا يمكن تحقيقه

### معاوضة سعيد للمشروع

حل أن سعيد باشا قابل هذه المقاومة بمعاوضة السيد دليس في مشروعه ، وكانت صداقته لدليس تدعمه إلى تدليل العقبات لإعجاح المشروع ، فبدل له أولاً المطالبات للنفقة في نفقة الحكومة وقتئذ وقدرها ١٠٠ ألف جنيه ليستعين بها على العمل

### تأليف الشركة

وفي ٥ نوفمبر ١٨٥٨ عرض دليس أسهم الشركة للاكتتاب العام بفرنسا وغيرها من البلدان ، فلفت إقبالاً عظيماً ، وعطفت أسهم الاكتتاب عدة مرات ، وتأييت الشركة في ديسمبر سنة ١٨٥٨ .

وجعل رأس مالها ٢٠٠ مليون فرنك ( ٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه تقريباً ) موزعة على ٤٠٠,٠٠٠ سهم ، قيمة السهم خمسمائة فرنك ( ٢٠ جنيهاً ) ، ثم قسم السهم إلى حصص فصار عدد الأسهم ٨٠٠,٠٠٠ سهم ، وقد صارت قيمة السهم الأصلي الآن ( سنة ١٩٣٢ ) حوالي ١٥٠٠٠ فرنك بعد أن كانت ٥٠٠ فرنك ، واكتتب سعيد باشا بـ ١٧٧,٦٤٢ سهماً<sup>(٢١)</sup> أن بما يقرب من نصف مجموع الأسهم ، ودفع جزءاً من ثمنها وقسط الباقي على سنوات .

### المبدء في حفر القناة

( ٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ )

وفي ٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ ذهب السيد دليس صحبة أعضاء مجلس إدارة الشركة إلى شاطئ البحر الأبيض ، في الموقع الذي أنشئت فيه بعد ذلك مدينة بورسعيد ، وأقيم هناك احتفال حافل ضروب فيه دليس أول معول في أرض القناة ، واقتضى به الحاضرون ، فكانت تلك الصرة إيذاناً بالشروع في العمل ، وكانت في الواقع أول ضربة في صرح استقلال مصر

ثم أخذ العمال يعملون في حفر الأرض ، ولم يكن قد صدر فرمان العثماني بالتصديق على الامتياز ، ولكن سعيد أراد أن يصح تركيا ويجتاز أطمع الأمر الواقع ، ويصعد المشروع سكر

ما لديه من حول وقوة ومال

وقد حاج هذا العمل غضب الحكومة الإنجليزية . فسعت سحياً لدى تركيا لوقف العمل .

(٢١) مراسلات وروايات عن القناة ج ١ ص ١٣٢



بدء العمل في حفر القناة ( ٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ )

ولدى في الصورة اليسرى دلميس ممسكاً بيده مجرلاً للمطر وحوله هلال للمريون يمشون في حفر القناة

ومرت ظروف ساعدت إنجلترا في مسعاها ، ففي مايو سنة ١٨٥٩ شبت الحرب في ربيع إيطاليا بين فرنسا والنمسا ، فالت فرنسا إلى محاربة إنجلترا ، وقررت في تأييد المشروع لإرضاء للحكومة الإنجليزية ، وكادت إنجلترا تنجح في مسعاها لإحباط المشروع ودرت مع الباب العالي فطلع سعيد باشا ، وجاء الأسطول الإنجليزي إلى ثغر الإسكندرية في يونيو سنة ١٨٥٩<sup>(١١)</sup> ، ولكن التدبير لم يتم ، وورد سعيد في الأمر ، وعهد إلى شريف باشا وزير الخارجية وقتئذ أن يرسل للمسيو دلميس كتاباً يطلب إليه فيه وقف العمل<sup>(١٢)</sup> ، على أن الحرب بين فرنسا والنمسا ما لبثت أن وضعت أوزارها ، وعقدت بين الدولتين للجنة للعولة بمصالحه ( ليليا فريكا ) Villa Franca ، فغدت كلمة فرنسا في ميدان السياسة العامة ، وعادت إلى مناصرة للمشروع وتأييده ، غير أن الحكومة الإنجليزية ما فتئت تسعى لدى حكومة الأستانة حتى جعلتها تصدر أمراً إلى سعيد باشا بوقف أعمال الحفر في برزخ السويس ، ولوقدت مندوباً عنها يدهي عتار بك إلى مصر يحمل هذا الأمر إلى سعيد

فعاد تاجليون الثالث يبدل فؤده لدى تركيا لحملها على إبطال هذا الأمر ، وهكذا كان للسياسة الفرنسية اليد الطولى في نجاح المشروع ، واطمأن سعيد باشا إلى دعايته ، وعاد إلى معاودة للمشروع بكل قواه ، وبلغ به تمایه في تعصيده أن سخر الفلاحين ليعملوا في حفر

(١٢) ورد ذكر الأسطول الإنجليزي وحضوره إلى الثغور المصرية في كتاب «مرسلات ودييات» روت عن الم. ج ٣ ص ١٢١

نفاء : وكان يأمر بتجهيز من بلادهم وقراهم ، وبلغ عددهم نحو ٢٥.٠٠٠ عامل ، كانوا يقاصون الشدائد والأهوال في عمل لم تنجح منه مصر بأية فائدة ، بل عاد عليها بالويل والحسرات

وقد سار العمل في إبعاد المشروع وحفر القناة الملحة ، وجرت فيها مياه البحر الأبيض حتى عمرة القنصاح ، وذلك في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٢<sup>(١٣)</sup> ، وفي هذه المرحلة وصلت القناة في عهد سعيد باشا ، بد أدركته الوفاة بعد ذلك بشهرين في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، تاركاً لإسماعيل إتمام ما بدأ به ، والوصول للمشروع إلى نهايته

## ٢ - بدء القروض الأجنبية

بدأ عهد القروض الأجنبية خلال حكم سعيد باشا ، فكانت هذه البداية بدير الكوارث المالية والأحداث السياسية التي أصابت البلاد في عهد إسماعيل وتوفيق . ولا ننسى ما الذي حمل « سعيد » على أن يوجه وجهته نحو الاقتراض ، ولم يكن ذلك من سنة أيه ، كما أن الحكومة لم تكن في حاجة ملحة إلى الاستدانة من البيوت المالية . لأن سنوات سعيد كانت في الجملة سنوات يسر وروخاء ، ولم تقع في خلالها حروب طويلة تستنفد موارد الحكومة المالية

يقولون إن نفقات الجيش زادت عن المقدار لها في الميزانية ، فاضطر سعيد إلى الاقتراض ، ولكن هذا السبب لا يفسح حجة لتسويق عمله ، فإن « سعيد » ذاته كان لا يستقر على وتيرة واحدة في تقوية الجيش وزيادة عدده ، بل كان - لأسباب غير مالية - يصرف أحياناً معظم قواته الحربية ، وقد كان أجدر به أن ينقص من ميراثه جيشه إذا وجد أن حالة المراتنة لا تسمح باستبقاء جيش عرمرم يكلف البلاد ما لا طاقة لها به من النفقات ، ولواقع أن قصر النظر السياسي هو الذي دعاه إلى عديد الاستدانة من الخارج ، فتحج على البلاد باب التدخل الأجنبي

وي دلت يقول مؤلف « تاريخ مصر المثل » : « إلى سعيد باشا يرجع الفصل الثامن في

(٢١) مرسلات ودييات ووقائق من القناة ج ٣ ص ٦

الثابت بلغت الديون السائرة ٧,٨٦٨,٠٠٠ تقريباً ، وهو مبلغ قارح تنوء به مالية البلاد في ذلك العصر

ولو سمع عهد سعد من لدروس لأحبة ، ولم يمح أحيان القناة . لكان محتملاً أن تتغير المصدر وتتنوع الناتج في تاريخنا القومي

### وفاة سعيد باشا

( ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ )

ذهب سعيد باشا إلى أوروبا ليستشفى من مرض حصال أصابه ، ولم ينجح فيه دواء فرجع إلى الإسكندرية في أواخر سنة ١٨٦٢ ، والدواء قد استعصى علاجه ، فما زال يشتد به ويهد من فواه حتى أدرسته ميتة في صبيحة ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ( ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ ) وله من العمر ٤٧ سنة ، وكانت مدة حكمه ثمانى سنوات وثلاثة أشهر وستة أيام<sup>(٢٧)</sup> ، ودفن بالإسكندرية بمسجد النبي دانيال ، ولا يزال قبره هناك .

• • •

عقد أول قرض اقترضته مصر من أوروبا ،<sup>(٢٨)</sup>

وقال في معرض المقارنة بينه وبين محمد علي وإبراهيم :

« لقد استطاع محمد علي وابنه الأكبر إبراهيم أن يهبوا بالبلاد ويحافظا في صين استقلالها ، ذلك الجهد الذي كمال بالنصر ، دون أن يكون لهما من الموارد المالية سوى مبرايه لا تتجاوز خمسين مليون فرنك »

ذلك ما يقوله أوروي خير ، لا يمكن أن يرمى بالتحامل على ملاده ، فهو يصارحنا في كتابه بأن الاستدانة من أوروبا كانت عملاً نعو

عقد سعيد أول قرض ثابت سنة ١٨٦٢ ، ومقداره الاسمي ٢,٢٤٢,٨٠٠ جنيه إنجليزي من بنك فروجلي وجوش بندق خائنة ٧ في المائة ، أما قيمته الحقيقية فكانت ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه تقريباً ، أي أن مصر خسرت من رأس ماله ٨٠٠,٠٠٠ جنيه وزيادة ، وتعمدت بوفاء هذا الدين على ثلاثين سنة ، قيمة القسط السنوي من رأس مال وفوائد ٢٦٤,٠٠٠ جنيه ، أي أن مجموع الأقساط ٧,٩٢٠,٠٠٠ جنيه ، في حين أن أصل الدين ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، وعلا هذا القرض الثابت فإنه ابتدع طريقة السندات على الطريقة وهي أن يستعين من الرأين ديوتا سائرة بواسطة سندات يبررها على الخزانة بالقيمة المقررة ، وتلك وسيلة خطيرة على مالية البلاد ، لأنها استدانة لا ضابط لها ولا حساب ، ولا رقابة عليها ، فإذا اندفعت الحكومة في سبيلها تورطت في الديون المعروفة بالديون السائرة ، دون أن تلجأ إلى الخطر الذي ينجم عن الاستدانة منها

وقد اختلفت الآراء في إحصاء الدين السائر الذي استدانه سعيد باشا ، وكلها متفقة على أنه كان متلاقاً للنفوذ ، لكنزة عقاقير على قصوره . ومعبشة الخاصة ، وطمع الرأين فيه . جيل عليه من السخط وعدم التدقيق في حسابه

وإذا أخذنا بإحصاء مؤلف ( تاريخ مصر المال ) الذي عرف عنه الاعتدال في كتابته كان الدين العام الذي تركه سعيد حين وفاته ١١,١٦٩,٠٠٠ جنيه<sup>(٢٩)</sup> ، فإذا استبعدنا عنه الدين

(٢٨) تاريخ مصر المال ص ١

(٢٩) تاريخ مصر المال ص ١٢

(٢٧) من التوفيقات الإلهية للواء المصري محمد مختار باشا ص ٦٤٠ ، وهذا التاريخ ( ١٨ يناير ) يوافق ما ذكره لمسير وليس في وثائق القناة ح ٤ ص ٢٧٠

## الفصل الثالث

### عصر الحديوي إسماعيل

( ١٨٦٣ - ١٨٧٩ )

#### نظرة عامة

إن عصر الحديوي إسماعيل هو في مجموعه صورة تاريخ مصر القومي والسياسي والاقتصادي في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إلى مقدمات الثورة العربية ، وإذا أدركنا أن نصه بكلمة عامة ، فهو كما قلنا في مقدمة الكتاب عصر له أثره النافع كما له أثره الضار في تطور الحركة القومية ، ذلك لما تضمنت فيه من آمال ، وما قام فيه من حضارة وعمران ، وما تحلله به من أخطاء وأرواء أفضت إلى تدخل الدول الأجنبية في شئون مصر ، وتصدع لها بناء الاستقلال المالي ثم السياسي .

هذه الكلمة الوجيزة ، يمكننا أن نخصص عصر إسماعيل ، فهو يمثل من ناحية عهد تقدم وعمران ، وبعد من ناحية أخرى عهد القروض المشثومة والأغلاط الملاحقة التي عصفت باستقلال البلاد

وإذا كانت مصر تنشر إلى اليوم نتائج الهبة التي قامت في ذلك العصر ، وتلمس آثارها بيبديها ، فإنها أيضاً تعاقب إلى اليوم نتائج الأرواء والأحداث التي وقعت فيه ، وتدفع ثمنها علياً ، من مالها ، وحقوقها ، وحريتها . واستقلالها

وبعد هذا العصر أقرب العصور صلة بالعصر الحاضر ، لأن معظم أعيادنا ونظمنا التي حب مصر على عهده لا تزال قائمة إلى اليوم ( ١٩٣٧ ) فالتشريع المخطط ، وسجل الأحكام في مراحق البلاد ، والديون التي كتبت البلاد حكومة وشعباً ، والتدخل الأجنبي في شئون مصر المالية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع إلى عصر إسماعيل

### نشأة إسماعيل

هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي ، وهو ثاني أجيال إبراهيم باشا ، من والده غير والدني  
 حميد الأميرين أحمد رفعت ومصطفى داهل  
 ولد في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠ ، في قصر المسرحية بالقاهرة ( الخيال ) ، وعنى أبوه  
 به ، فحفظ مبادئ العلوم ، واللغات العربية والتركية والفارسية ، وقليلاً من  
 والطبيعات .. وأرسله أبوه إلى فيينا عاصمة النمسا ، وهو بعد في الرابعة عشر من عمره ،  
 ليأخذ فيها من رمد صديدي أصابه ، ولكل تربيته ، وقضى بها عامين ، ثم انتقل إلى باريس  
 ليستظم في ملك البعث المصرية الخامسة ، فانضم إلى تلاميذها ، وكان من بينهم الأمير أحمد  
 رفعت أسوة . والأميران عبد الحميد وحسين من أفعال محمد علي ، وقال في باريس خطأ من  
 العلوم الهندسية والرياضية والطبيعية ، وأقن اللغة الفرنسية كتابةً وكلاماً ، ربهته باريس  
 وما فيها من جلال وروعة ، وغواية وقتة ، وس حاشا نبوله الباريسية ، التي لارسته طوي  
 حياته ، وبعثته بعد أن تولى الحكم يسعى في أن يحبس بالقاهرة باريساً ثانية . ولوكفه ذلك أن  
 يجد يده إلى القروض التي تاحت بها البلاد ، وظاهر من مبلغ تعلمه أنه لم يزل من المعارف  
 والثقافة في باريس أو في فيينا خطأ كبيراً ، بل تقتصر على مبادئ العلوم ، ولم يستفد من  
 مكانه بباريس إلا نصيباً قليلاً من العلوم الحديثة والحديثة ، وأقن اللغة الفرنسية التي كان  
 يتكلمها كأحد أبنائها ، وكان له في ذكائه بعض الموهبة ما يقتضيه من العلوم  
 عاد إسماعيل إلى مصر في عهد ولاية أبيه إبراهيم باشا ، ولما مات إبراهيم خلفه في الحكم  
 عباس الأول ، وكان يحقد على عمه ويخفوه ، فلما تولى الحكم شعر إسماعيل وخوته بكراهية  
 عباس لهم ، ثم مات محمد علي ، واشتد الخصام بين عباس وبقية الأمراء على تقسيم ميراث  
 حده ، وأرغى إسماعيل وبعض الأمراء في الاستانة ، وعينه السلطان عبد الحميد عضواً بمجلس  
 أحكام الدولة العثمانية . وأنعم عليه بالاشرفية ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد مقتل عباس في أثناء  
 حكم سعيد ، ولما عاد من الاستانة أتى من عمه سعيد باشا خطفاً كبيراً ، وعهد إليه برئاسة  
 ( مجلس الأحكام ) الذي كان أكبر هيئة قضائية في البلاد ، وأوفده سنة ١٨٤٥ في مهمة  
 سياسية لدى الأميراطور نابليون الثالث تتعلق بسعي سعيد لدى النول في توسيع نطاق استقلال



إسماعيل باشا (خليفة مصر)  
 من سنة ١٨٦٣ إلى ١٨٧٩

مصر بعد شركتها مع الحماة في حرب القرم ، فأدى إسماعيل هذه المهمة كما مثار به من  
 كراهة وكره وردعه ديون ثلاث بتأييد مقترحة في مؤتمر الصلح ببرويس ، ولكنه - حتى  
 وعده ، وكذلك لابل البابا ( بيوتاسع ) في رحلته مؤلفاً من قبل سعيد . ذكره -  
 لرومانى مؤلفه ، ثم عاد إلى مصر .

ولم يكن إسماعيل يشكر أثناء حكم سعيد باشا أن يؤول إليه العرش من بعده ، وكان  
 يصحبه عنه أخوه الأكبر الأمير أحمد رفعت ، ولكن حادثاً عجائباً ساقته الأقدار سنة ١٨٥٨  
 - معه القائمة في سبيله ليكون ولياً بعده . ذلك أن سعيد باشا أقام بالاسكندرية حفلة  
 دعا إليها أمراء البيت العلوي ، فلبوا الدعوة ، ومن بينهم أحمد رفعت ، أما إسماعيل فقد  
 اعتذر عن إيجابتها لوعك في صحته ، ومما كان الأمير عبد الحليم وأحمد رفعت حائذين من  
 القاهرة بقطار خاص مع حاشيتها ، سقطت العربة التي تقلها في النيل عند كفر الزيات ،  
 فغرق أحمد رفعت ، وبما عبد الحليم ، فأصبح إسماعيل بعد غرق أخيه ولي عهد الأرمكة  
 المصرية بحكم نظام الوراثة القديم

وقد مرن إسماعيل على بعض مناصب الدولة ، وهو بعد ولي العهد ، فاستلمه سعيد  
 مرتين ، وجعله نائباً عنه ( قائمقام ) أثناء غيبه عن مصر ، المرة الأولى حينما زار سوريا سنة  
 ١٨٥٩ ، والمرة الثانية حينما ذهب إلى الحجاز لزيارة المدينة المنورة في أوائل سنة ١٨٦١ .  
 وكان سعيد يبدى لابس أخيه ارتياحه من الطريقة التي أدى بها أعمال النيابة عنه ، ولما عاد  
 للمرة الثانية إلى مصر جعله سرداراً للجيش المصري ، وعهد إليه إتمام فتنة بعض القبائل في  
 السودان ، فاضطلع بهذه المهمة دون أن ينفك فيها قطرة من الدماء .  
 ولما أدركت سعيدة الوفاة خلفه على عرش مصر في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣

### سياسة مصر الخارجية في عهد إسماعيل

بدأ بالكلاء عن سياسة مصر الخارجية ، لأنها كانت ذات الأثر العميق في شئون  
 الداخلية . ولعل ذلك ناشئ عن أن إسماعيل كان يضع السياسة الخارجية والحصد الرئسية -  
 في المكان الأول من الأهمية ، وتلها المسائل الداخلية  
 فصحت إذن عن سياسة مصر الخارجية ، وهذه السياسة وجهان : وجه علاقة مصر

بتركيا ، وثاني علاقته بدول أوروبا

فما يتعلق بتركيا كانت الخطوة التي ترسمها إسماعيل ، هي توسيع نطاق استقلال مصر .  
 وكسب أكثر ما يمكن من الحقوق والحرايا من الحكومة العثمانية ، حتى يصل بالبلاد إلى  
 الاستقلال التام

ولاشك أن هذه نزعة محدودة . تمتد من مفاخر إسماعيل ، فإن الوصول بالبلاد إلى  
 استقلالها التام هي النية التي ترمي إليها الحركة القومية

أما فيما يخص علاقات مصر بالدول الأوروبية ، فقد كان إسماعيل يصدر عن فكرة  
 أخرى ، تناف فكرته في علاقته بتركيا . فليها هو يعمل على تحرير البلاد من بقايا السيادة  
 التركية ، إذ هو لا يهادى مصر من التبر الأجنبي الملئ واليأس ، بل كان يتسبب في تطويقها  
 بسلاسل التدخل الأوروبي ، بحيث لم يوشك عهده أن يقارب نهايته ، حتى تصدع بناء  
 الاستقلال الملئ والسياسي الذي كسبه مصر في عصر محمد علي .

ولو أنه بدى في سبيل هذه البلاد حرة من أنظار التدخل الأجنبي جزوا ولو يسيراً لما كان  
 يبدله للاعتماد عن تركيا ، لحقق مشروع الاستقلال التام لمصر والسودان ، ولاتمّن اسمه في  
 التاريخ بهذا المشروع القومي العظيم ، ولكنه كان لا يحسب حساباً للتدخل الأوروبي ،  
 وما يتطلبه عليه من المطامع التي تهدم كيان الاستقلال ، وهذا الخطأ الجسم ، في سياسة  
 إسماعيل الخارجية ، ناشئ عن نزعة الأوروبية ، فإن هذه النزعة جعلته يتقرب بأوروبا ،  
 والدول الأوروبية ، والجيالات الأوروبية ، ثقة صياء ، ويركن إليها ، ويحقد فيها حسن  
 النية . ولا يفتش لمطامعها الاستعمارية . فتح أبواب البلاد على مصراعيها للتدخل الأجنبي ،  
 وفتح للأوروبيين أن يتغلغلوا في مرافقها ، ويتولوا المناصب والمراكز الرعية في حكومتها ،  
 ويلفت به الثقة في سلامة نيتهم جداً جعله يقرض القروض الجسيمة بلا حساب من المزايا  
 والبيوت المالية الأجنبية . حتى صار للأجانب في عهده نفوذ مالي وسياسي لم يكن لهم من  
 قبل ، وشغل هذه النفوذ إلى حقوق ومزاياهم ادعوها ، وما لبثوا أن نالوها ، بإشياء صدوق  
 الدين . وعرض برفاهة - به على مالية البلاد ، وتعين وزيرين أجنبيين في الوزارة المصرية  
 كما سيجيء به

فسياسة إسماعيل الخارجية حيال الدول الأوروبية كانت إذن سياسة خاطئة ، أوقعت مصر  
 تحت اليد الأجنبية الملئ والسياسي . مما شعر بنتائجه السيئة إلى اليوم ( ١٩٣٢ )

هذه كلفة إجمالية من سياسة إسماعيل الخارجية ، حيال تركيا والدول الأوروبية عهد  
إلى بيان هذه السياسة تفصيلاً فيما بعد .

## ١ - سياسة إسماعيل حيال تركيا

### العلاقات الودية

جعل إسماعيل نصب عينيه تحرير مصر من الهيمنة التركية التي فرضها عليها معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وقرارات سنة ١٨٤١<sup>(١)</sup> ، أي أنه أكمل العمل الذي بدأه محمد علي ، ولكن الفرق بينه وبين جده أن محمد علي كسب لمصر حقوق الاستقلال بقوة الجيش المصري ، أما إسماعيل فقد اعتمد على سلاح المال والرشوة بيد رجال الأستانة ، ليحصل على القرارات التي وسع بها نطاق الإستقلال .

وليس يخفى أن وسيلة محمد علي صالحة جيدة من تاريخ مصر الحديث ، تقرأ فيها الأجيال المتعاقبة معاصر الجهاد القومي ، أما وسيلة إسماعيل فلا تستثير في النفوس إحساس المحد والمفخر ، هذا فضلاً عن أنها من الأسباب التي دعت إسماعيل إلى الاستئذان من البيوت المالكة الأجنبية ، فكانت من هذه الناحية من العوامل التي أدت إلى تصدع بناء الإستقلال الحقيقي ، وقد بذل إسماعيل مصاريف مالية جسيمة في سبيل الحصول على الإمتيازات التي نالها ، إذ لم تكن حكومة الأستانة تصدر فرماناً إلا في مقابل الأموال الطائلة من الرشا والمخدايا ، يقدمها إسماعيل لرجال الأستانة ، على اختلاف مراتبهم ، ولا يستثنى منهم السلطان ذاته ، وانصهر النظام ، لمثلت هذه الأموال طوال حكمه نحو إثني عشر مليوناً من الجنيهات

بدأ إسماعيل حكمه بالتودد إلى السلطان عبد العزيز ، ورجال حكومته ، فلما تولى الأريكة المصرية ذهب إلى الأستانة ليقدم له فروض الولاء ، واتهم هذه الزيارة لإحكام روابط الود بينه وبين تركيا ، وتودد إلى السلطان عبد العزيز ، ودعاء إلى زيارة مصر ، لوعده بقرب الدعوة

(١) سم (مصر محمد علي) ص ٣١٠ وما بعدها (الطبعة الأولى)

## زيارة السلطان عبد العزيز لمصر

(أبريل سنة ١٨٦٣)

يرجع العريز بمصر ، فجاء مصر في شهر إبريل سنة ١٨٦٣ م (شوال سنة ١٢٧٩ هـ) ، ونزل بالإسكندرية ، ثم ذهب إلى القاهرة ، ونفى في ضيافة إسماعيل عشرة أيام ، لقي فيها من مظاهر الإكرام والمهابة البالغة ما جعل لإسماعيل منزلة كبيرة عنده . ولا غرو فقد كان عبد العزيز هو السلطان العثماني الوحيد الذي جاء مصر زائراً ، بعد السلطان سليم الذي دخلها فاتحاً ، فكانت هذه الزيارة تكريماً كبيراً لإسماعيل ، وتنظيماً لشأنه .

وانتهت هذه العرصة ، فاستغل المنزلة التي نالها ليكسب من تركيا حقوقاً مزايا جديدة ، واستخدم إلى جانب ذلك المال يدهه بسطاء ، فغدر السلطان وحاشيته بالمخايا والتجسب المخافرة ، حتى ملأها سقاية بأعمالها ، ووجود الصدر الأعظم قواد باشا وحده يستين ألقا من الجبهات رشوة لينتخذ منه عوناً في مساعيه لدى الحكومة التركية ، رعاه عبد العزيز من ريارته مقتبطاً مما نقيه من الإكرام ، ومهدت هذه الزيارة الطريق أمام إسماعيل لينال رغباته .

## تغيير نظام توارث العرش وقرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٩

أول ما وجه إليه إسماعيل جهده ، هو العمل على تغيير نظام توارث العرش ، فقد كان النظام القديم الذي فرضه قرمان سنة ١٨٤١ يقضي بأن يؤول عرش مصر إلى أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً ، كالنظام المتبع في تركيا .

فسعى إسماعيل جهده في أن يؤول العرش إلى أكبر أمهاته ، ولنجح في مساعاه ، بفضل المطارة ، والنداب على الطب ، وبفضل الأموال العائلية التي يملكها في الأستانة ، وقد بلغت ثلاثة ملايين من الجنيهات ، فكان هذا السعي من الأسباب الأولى لدبور إسماعيل ، وليس ثمة شك في أن هذه التصحوة ثابته لا يورثها لقائده التي ناب مصر من هذا التصبر ، لأن طريقة توارث العرش ليست مسألة جوهرية تهم البلاد حتى تبدل في سبيلها هذه الملايين ، هذا إلى

أما كلمت مصر فتصحية مالية أخرى ، ذلك أن تركيا اشترطت مقابل هذا الضمير زيادة الجزية السنوية من ٤٠٠ ألف جنيه عثماني ، إلى ٧٥٠ ألف - أي إلى ما يقرب من النصف ، وهي زيادة مبدئية ، تحملها مصر باستمرار من ذلك الحين إلى الوقت الحاضر ، جعلت بها خمسة عشر مليون جنيه مصري لغاية سنة ١٩٤١ ، وهي السنة التي زالت فيها السيادة العثمانية عن مصر - واحتلتها بعد ووال هذه السيادة ، لأن الحكومة الحديثة قبلت تحويل الجزية إلى دائي تركيا ، وتعهدت بدفع أقساط ديونهم السنوية حصصاً من الجزية لغاية سنة ١٩٥٥ ، فإذا حسبنا حسارة مصر في زيادة الجزية من سنة ١٨٦٦ مبدئية سنة ١٩٥٥ ، بلغت بها خمسة وعشرين مليون جنيه مصري ، هذا وإنها ، وهي عبارة جسيمة لا مبرر ولا مبرر لها . ومن الإسراف في القول ما يزعمه بعض المؤرخين أن إسماعيل قصد سعيه في هذه المسألة مصلحة البلاد ، وأغلب الظن أن الباحث له على هذا التفسير هو ما كان بينه وبين أخيه من يمينه مصطفى فاضل وعنه عبد الحليم من الشقاق والشحناء ، ولم يكن إسماعيل يحس كرهه لها وحفده حليها ، وكان الأميران أيضاً لا يكتفيا من ناحيتيها كراهيتهما لإسماعيل ، ومن أجل ذلك سعى في حرمانهما من وراثة العرش وجعلها في ذريته من صلبه .

وقد اغتنم حكام تركيا وذوو التعوذ فيها فرصة هذا التناقص ، ليبتزوا من أموال مصر ما تصل إليه أيديهم ، فقد بدل الأميران عبد الحليم ومصطفى فاضل أموالاً طائلة في الأستانة ، لإحباط مساعي إسماعيل ، فاستفادت من الناحيتين ، ولكن إسماعيل كان أكثر مالا ، وأحرز حاكماً ، فتجسج في مسعاه ، وهكذا كان الحال الأثر القعاس في نفوس حكام الأستانة .

وساعد إسماعيل في نجاح مسعاه عامل آخر غير المال ، وهو أن عبد العزيز سلطان تركيا وقتئذ كان يميل أيضاً إلى تغيير نظام توارث العرش ، ويسمى أن يزول عرش تركيا من بعده إلى ابنه يوسف هز الدين ، فأيد إسماعيل في مسعاه ، كي يمهّد السبيل لنفسه ، ولكنه لم يستطع أن يقدم على هذا التغيير ، لما فيه من الخروج على التقاليد الموروثة عن آل عثمان .

كانت نتيجة مساعي إسماعيل صدور فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ ( ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ ) العاصي بانتقال مسند ولاية مصر وملحقاتها وقائمقامي سواكن ومضوع إلى أكبر أولاده .

ومن هذا إلى أكبر أمثاله ، وهم حر

بصر في هذا العمل على إمكان زيادة جيش المصري إلى ثلاثين ألف جندي ، وكان في الواقع يريد على هذا العدد من قبل ، وإقرار حقها في صرب تقود مختلفة العيار عن تقود

سلطنة العثمانية . ومع الرتب المدنية منه رتبة

واستيعم هذا صدور فرمان آخر في ٢ صفر سنة ١٢٨٣ ( ١٥ يونيو سنة ١٨٦٦ ) . بترتيب نظام لوصاية على من يتقدم مسند الولاية إذا كان قاصراً .

وقد أبلغ لباب هذا فرمان السابق إلى الدول العظمى التي التزمت في إبرام معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، مما جعل له صفة المعاهدة التي تربط تركيا دولياً بـ مصر ، بحيث لا تخلك تعديله إلا بموافقة مصر ، وخاصة لأنه صدر مقابل زيادة في الجزية .

قلنا إن هذا التغيير في نظام التوارث لا يعد مكسباً كبيراً لمصر ، حتى يرد من أحله نتائج التصحيحات المالية باهظة ، ولقد برهنت الحوادث على صحة هذا القول ، لأن النتيجة الأولى للنظام الجديد كانت أنبولة العرش إلى الخديوي توفيق ، أكبر أنجال إسماعيل ، ومعلوم أن توفيق ناشأ لم تكن ولايته خيراً على البلاد ، وهو الذي اعتلى العرش حيناً طويلاً ، ولم يظهر نحوه من الوفاء ما كان ينتظره الأب من ولده ، ومضى إسماعيل سنوات التي ، واحتمل عصمه وآلامه ، دون أن يلقى من ابنه عطفاً عليه في محنته ، وإذا أضفنا النظر عن هذه الاعتبارات العائلية ، فلا يمكن أن نسمي أنه في عهد توفيق زادت البلاد بالاحتلال الإنجليزي ، وكان عليه جانب كبير من من ثبوت وقوعه ، فلم يقرر نظام التوارث الجديد ، فكان جائزاً أن يخلع إسماعيل على العرش أمير أضع للبلاد وأخلص لها من توفيق باشا .

وقد كان صدور فرمان هذا التغيير سبباً لاتساع هوة الخلاف والتصور بين إسماعيل وأخيه مصطفى فاضل ، الذي كان ولياً لعهده طبقاً لنظام الوراثة القديم ، واستمر العداء بينهما طويلاً لحياة ، وكذلك اشتدت الكراهية بينه وبين عمه الأمير عبد الحليم بن محمد علي ، فإنه كان ينطلع إلى الأريكة المصرية ، فبجأة هذا فرمان قاصياً على أماله .

وأدت هذه الحالة إلى اشتداد الدساس بين العريقين ، مما شمل إسماعيل وجعله يستر جهوداً كثيرة وأموالاً طائلة في سبيل إصعاف مركز منافسيه ، وتوحيث هذه الجهود والأموال في سبيل مصلحة البلاد فكان ذلك خيراً : و

وأضحت هذه الكراهية ، وما استعصمها من موبقات والمؤامرات ، إلى رحيل الأمير المذكورين وسيرهم من مصر ، وإحراقهم الأستانة وأوروبا مقراً لها . ونظم الأمير مصطفى

٢٠ هامش : ١ - والعصاة العتيبة خلافه : ٢ - ص ٧٣

( ٣ ) القرائن : ١ - به سلطنة العثمانية ( ٢ ) - ص ٣٠ - ٢٥٥ - راقوس خلافه : ٢ - ص ٧٣



وحصل على حكومة السلطان عبد العزيز لتبنيها نظام توارث الأريكة المصرية ، وطمع بما بينده  
إسماعيل في هذا السبيل من الأموال الطائلة ، فأنضم إلى أحرار تركيا النافذين على الحكم  
لاستبدادى فيها . والذين كانوا يعمدون على قلب نظام الحكم والتمسك من استبداد  
السلطان . وعاشهم بتعوده وماله . ومن هنا جاءت تسميته بأبى الأحرار في تركيا  
أما عبد الحليم ، فقد نفاه إسماعيل من مصر إثر اكتشاف مكيدة لاغتياله ، قبل أن الأمير  
دبرها . فالتحق إسماعيل هذه الرواية دريعة للتخلص منه ، فقرر أنه

### فرمان ٨ يوبه سنة ١٨٦٧ والحصول على لقب خديو

واستمرت العلاقات الودية بين مصر وتركيا ، وظل إسماعيل يذل المال بسخاء عن ضفاف  
البوسفور . فحصل في ٨ يوبه سنة ١٨٦٧ ( ٥ صفر سنة ١٢٨٤ ) على فرمان جديد ، يحوله  
وحملناه لقب ( خديو ) ، بعد أن كان ( والياً ) ، فارتقى صاحب العرش بهذا اللقب السامي  
في مرتبه تقرب من مراتب الملوك والسلاطين ، وأقر هذا فرمان حق الحكومة المصرية  
واستقلالها في إدارة شئونها الداخلية والمالية ، وحققها في عقد المعاهدات الخاصة بالبريد  
والبحار وممر البضائع والركاب في داخلية البلاد ، وتحتون الضبط للولايات الأجنبية (١)

### فتور العلاقات ثم الخفاء بين مصر وتركيا

على أن علاقة مصر بتركيا ما لبثت أن اعتراها الفتور والخفاء ، ثم الخصام والعداء ،  
ويرجع السبب الجوهرى في هذا التحول إلى رغبة إسماعيل في الاتصال عن تركيا ، والظهور  
بمظهر المعامل المستقل .

ذكر محمود باشا فهمى في كتابه ( البحر الزلنرج ١ ص ١٩٩ ) أنه في خلال حملة كريت  
( التي سبب الكلام عنها ) طلب إسماعيل من الباب العالي أن يحوله حق تعيين سمره صرد لدى  
الدول الأجنبية ، فرأى الباب العالي أن مقصده الاستقلال والاتصال عن تركيا ، فرفض  
طلبه . وكان من نتائج الرفض أن غضب إسماعيل . وتهدد الحكومة التركية بسحب جوده من

(١) لأمير سلا - ج ١ ص ٧٣٢

حمية كريت ، أو يستحوذ على الجزيرة إذا لم نجيب طلباته  
وذكر إسماعيل باشا سرهنگ في كتابه ( حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٤١ ) ما يدل على  
شداد الخفاء بين إسماعيل وتركيا خلال حملة كريت ، مما يؤيد رواية محمود باشا فهمى .  
وكلاهما معاصر لهذه الحوادث ، قال إنه لا ريب في هذا الخلاف أو عز الخديو إلى شاهين باشا قائد  
الجيش المصرى في حملة كريت أن يعمل على ترغيب سكان الجزيرة في الانضمام لمصر ، فأخذ  
هذا يتوعد إلى رحاء الجزيرة ، ويبتدئهم بالمال والمنايا ، فلما علمت الحكومة التركية بذلك  
طلبت إلى الخديو عزل شاهين باشا من قيادة الجيش المصرى في كريت ، فاضطر بـ  
استدعائه ، وجعل مكانه قائداً آخر هو الفريق إسماعيل سليم باشا وزير الحرية وقتئذ  
وقد تعددت الحوادث والمظاهر التي تدل على سعي إسماعيل للاتصال عن تركيا

فمن ذلك مفاوضاته الدول الأوروبية رأساً في صدد إنشاء النظام القضائى المختلط ، دون  
وساطة الباب العالي ، واشتراكه في معرض باريس العام سنة ١٨٦٧ ، وظهوره فيه بمظهر  
الملك المستقل ، وإقامته به تسامحاً خاصاً لمصر جمع فيه صوب الهيبة والعظمة ليكون جديراً  
بتشثيل مملكة مستقلة ، ثم توصيته العامل الفرنسي على صنع ثلاث جوارح حرية مصفحة ،  
وعدة آلاف من البنادق الحديثة الطراز ، لتسلح الجيش المصرى ، مما جعل الحكومة التركية  
تتوجس خيفة من مقاصد إسماعيل ، وتتوقع أن يستعد ويتأهب لإعلان الاستقلال التام .

واستعصمت الألباء أن تركيا عازمة على إرسال جيوشها إلى مصر بعد إخماد ثورة كريت .  
وخشى إسماعيل أن تنفذ تركيا يوماً وعيدها ، فاستعد للدفاع والحرب ، وأتتأ حصوناً جديدة  
بين الإسكندرية وبر سعيد ، ورم الحصون القديمة ، وابتاع من معمل اوستريخ بالجنزترا حو  
مائتى مدفع من المدافع الضخمة ، سلح بها تلك القلاع ، ويلاحظ أن كثيراً من هذه المدافع  
باقية إلى اليوم في حصون الإسكندرية وأبو قير ودمياط ورأس البر ، وقد علاها الصدأ من  
الإهمال وتوالي السنين ، وعلى أكثرها تاريخ قلة التي أنشئت فيها وهي سنة ١٨٦٩ . أى  
السنة التي اشتد فيها الخلاف بين مصر وتركيا

واردادت العلاقات فتوراً بين البلدين لدعوة إسماعيل ملوك أوروبا ورؤساء حكوماتها إلى  
حضور حفلات افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، دون وساطة تركيا . فاعبر السطد . من  
هذه الدعوة إغفالاً لواجب الولاء نحوه ، واحتج لدى الدول على مصلح الخديو . فلم يكرث

إسماعيل لهذا الاحتجاج . واستمر ماصياً في دعوته . وذه حملات تده تراسه وحصره  
ملك أوروبا وأمرأه

وكان معترفاً بإعلان إستقلال مصر التام في تلك الحملات ، ولكن الحكومات الأوروبية لم  
تريد في غرضه ، وبصحة أن يمثل عن حزمه ، وانتهت حملات القناة والحياه مستحكم  
عن إسماعيل والباب العالي

### فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ وما فيه من القيود

كان من نتائج هذا الخفاء صدور فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ( ٢٤ شعبان سنة  
١٢٨٦ ) ، حملته رسول من الباب العالي إلى مصر عقب اقتصاص حملات القناة ، فجاء  
صدمة لآمال إسماعيل ، إذ يتبين بأمل لمناسبة تلك الحملات أن يصل إلى الاستقلال التام ،  
كانت النتيجة صدور فرمان يتنقص من سلطته .

تفيد السلطان بهذا الفرمان حقوق الخديو ، فنص فيه على أنه لا يجوز له أن يقترض قروضا  
جديدة دون أن يبين وجه الحاجة إليها ، ويحصل على إذن من السلطان بمقتضاها<sup>(١)</sup> ، وكان  
السبب الظاهر لهذا التضييق خيرة الباب العالي على مصالح مصر ، واستبداء من تورط إسماعيل  
في الديون الباهظة التي استدانها .

وفي الحق أن إسماعيل كان في حاجة إلى من يعمل بده عن الإشراف في الاستدانة ، ويقبده  
في تصرفاته المالية ، وحيدا لو أن هذا التقييد جاء من ناحية الأمة ، أو بعبارة أخرى من ناحية  
مجلس شورى النواب . انتهى كان يعتقد كل عام . على أننا لا نعتقد أن الباب العالي كان  
يعصد إلى مصدحة مصر في تقييد إسماعيل بهذا التقييد ، بل أعجب الظن أنه كان يرمى إلى  
استرداد حقوق جديدة لكي يكيد للخديو ويسوء إليه

وقد استأمر الخديو من هذا الفرمان ، ولم يعتقد احتمالا حافلا لتلاوته بالأهية المتعادة .  
بل قرأه في قصر النيل دون جبة ولا إعلال .

(٥) راجع نص الفرمان في القاموس العام للإدارة والفضاء قتيب ج ٦ ص ٢٣٣

### تحسين العلاقات

#### فرمان سبتمبر سنة ١٨٧٢

على أن إسماعيل أخذ يسعى إلى تحسين علاقته بتركيا ، لما رأى أنه في حاجة إلى عضده .  
بعد أن حدثته الدول الأوروبية ، واشتدت وروطته المالية ، فقصده إلى الأستانة في صيف سنة  
١٨٧٢ بصحبه إسماعيل صديق باشا وزير المالية ، ووزير باشا وزير الخارجية ، ليسعى في  
إعادة إنشاء إلى مجاريا . وبدلوا هناك ما بدلوا من مظاهر الولاء ، ومن المال والرشا واعلنايا .  
حتى عادت علاقات الرد بين الخديو والحكومة التركية

قال في سنة واحدة فرمناً في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢ ( ٧ رجب سنة ١٢٨٩ ) نسب  
الامتيازات السابقة مسحة بإياها . وينسخ القيود الواردة في فرمان سنة ١٨٦٩ ، وخطاً شريعياً في  
٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ ( ٢٢ رجب سنة ١٢٨٩ ) يؤكد فيه مرياً فرمان ١٠ سبتمبر ، ويجويه  
صرامة حتى الاستدانة من الخارج دون شرط ولا قيد .

وعد اسبح الخديو ابتهاجا عصبياً لورود الفرمان والخط الشريف إلى مصر يحملها كبير كتاب  
اميين ، وعقد لتلاوتها احتفالاً ضخماً في ديوان الخوري بالقلعة وقرناً بحضور المدعوين ،  
وأطلقت للدافع إيداناً بهذا النصر الميجي ، ونشر نصها في الجريدة الرسمية<sup>(٢)</sup> .

وكان من نتائج صدور الفرمان والخط الشريف المذكورين عقد قرص سنة ١٨٧٣ ذلك  
القرص المشعوم الذي كان علامة كبرى على البلاد كما سنبينه فيما يلي :

### الفرمان الجامع

( ٨ يوبه سنة ١٨٧٣ )

لم يكتب الخديو إسماعيل بهذا الفرمان ، بل أراد أن يحصل على فرمان جامع للفرمان  
نائبها مصر صد تولية محمد على حكم مصر بطريق التوارث إلى ذلك العهد ، فقصده إلى  
الأستانة في صيف سنة ١٨٧٣ متدعياً بالأمور يرشونها رجال الحكومة التركية ، وصحبه في

(٦) الوقائع المصرية عدد ٥٨٠ الصادر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧٢



الفرنسيين والسورب التي فقدت في ١٨٠٥ - ومعاشيرهم عبرة بفرنسيين ، وعصده به  
 وبعده بهم . وبنيته بن عقيدتهم في معشيتهم ، وعنده بهم وعزائدهم . هم حلا  
 نصيبهم به . ولا اقتصاد التي شربوا ٣٠ والتي بعد من غصه لفسادهم غربية  
 وهات عمل آخر ساعد على متدد سغود بفرنسيين ، وهو غصه جذبيو سماعيل بالأمير صهر  
 نابليون الثالث ، وصداقته له وبعصده به . وبها كونه إياه في مصر الإلهة واعظمة . وسعده  
 في كسب ثلثته وتوثيق روابطه بآبوه به .

ويستعمل لك مبلغ التمرد الفرنسي ، في أنه لما قام الحلاف بين سماعيل وشركة قناة السويس  
 في أوائل عهده بالحكم ، ارتضى تدخل الأمبراطور نابليون الثالث لحسم الحلاف ، ورضى أن  
 عملة حكمايته وبين الشركة ، مع أنه لم يظن بالعادة أن إمبراطور الفرنسيين لا يمكن أن يكون  
 حكما عادلا في مثل هذا الحلاف ، وإن حكمه لا يمكن أن يحسم من الخفاء للشركة الفرنسية .

وقد أصدر نابليون الثالث حكامه بإلزام الحكومة المصرية بتعويضات مائة للشركة تلح

عدة ملايين من الجنيهات

ويبدو هذا السعد أيضا في استخدام سماعيل للخافعة من الفرنسيين في كثير من معاملاته

المالية وقروصه ، وإسناد كثير من مشروعات العمران إلى إخصائين من الفرنسيين

وقد بلغ هذا السعد أقصى مداه في حملات افتتاح القناة سنة ١٨٦٩ ، فالقادة في دنياها

عمل فرنسي ، ورائعهم وديبان دلبيس يمثل كفائة غرب المالية والهندسية ، وكانت لؤمسي

إمبراطوره الفرنسيين عمل للدولة الفرنسية في بيان محمدهم وزعمها ، وهي التي رُست

حملات الانصاع ، مستعينة ببولك فورديا وأبراسا وأقتصادها في السياسة والعلوم والفنون ،

فكانت هذه الحملات النجحة ابتدأنا بما بلغه السغود الفرنسي في مصر من القوة وصهر للثقة

على أن هذا السغود أخذ في الإضمحلال عقب الحرب العالمية سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ ،

بما ، مصر ، في هذه الحرب رزول سيطرة فرنسا السياسية - وروا والسرق ، وثلى عرش

الإمبراطور ، وكان من أولى - بها سيطرة نابليون الثالث صديق سماعيل الذي كان يعتمد

عليه في مهمات الأمور - ومن ثم أخذ السغود الفرنسي يتضاءل في مصر ، عليا الطريق للسغود

لإيجيپتي

ولم يكن مهمهم إلا الإزراء عن حساب بلاد ١٨٠٥

هنا ما يقويه قاضي زوزون عادل مثقف - طور الأمور في مصر . وذلك هي الحقيقة التي

نعاهد ٣ في كونه . ولكن خليو سماعيل لم يعطل إلى تلك الحقائق

وهذا سعاد لفرق حجب بين عهده على وسماعيل - لمعهد على كسب نفس من تبدل

الأفروية ، وسائل البهجة وشهرة والتقدم - ويصير عبدة عهده أزرار ووه - ١٨٠٥ . وراكه في

الوقت بعصه بغير مدخل لأوروبيين حكومات وجنابيات في شئون بلاد - ولا يعطيل إليهم

وبذلك نشب في عهده سلسلة من تدخل السغود الأوروبي ، سواد من أوجهه سياسة أو من

دراجه بديبه والاقصدة - وبكثيكت دليلا على بعد نظره وحكمته أنه لم يقبل إقناع مشروع

قناة السويس ، رغم إلحاح الماليين والسياسيين الأحادس عليه ، وكذلك لم يقبل أن يعهد إلى

الاقراض من ديون ماله لأحية . كل ذلك لكي يصفون البلاد من خطر التدخل

الأجنبي

لكن سماعيل ، لزعته الأفروية ، لم تحس حساما لهذا التدخل ، ولعله كان يتوهم

حسن بية السول الأفروية نحوه ونحو مصر ، في أن الأهم مستطاعا عليه حتى أدرك خطاه في

آخر عهده ، إذ رأى الدول والحليات الأوروبية ، التي طلائلا تودد إليها ، وممكن لها من مرفق

البلاد ، تصطرها إلى بيع أملاكه وأملاك عائلته وهذه لثوبه ، ورأى السغود الأوروبي يمثل

سلطه ، فحاول عشا أن يعاونه لوبصع له حد ، ولكن هذا السغود كان قد طفق واستغسل .

فلم يستطع له دفعا ، وانتهى الأمر بأن اقتلعه بزيادة الدول الأوروبية عن الأريكة لمصرية

والآن يكلم عن سياسة سماعيل نحو الدولتين اللتين تناقضا على السغود وسلطه في مصر .

وهي فرنسا وإنجلترا

فرنسا

كانت السورب لأول من حكم سماعيل هي الفترة التي أخذ بها نحو أحيى تعلقه

في البلاد - مائلا وتشدد في عقب حد سغود في أوامر عهده ب مسيره مائه وسعده

سعدو بآبوه

وكان لفرنسا مادي لأمر سغود أدنى كبير على سماعيل ، وعده يرجع أولا ، إلى ثريته

(٥) مصر ولورديا غنمى صلتا فان على ج ١٨٦٩ .

ول سنة ١٨٧٠ عهد الخديو إلى شركة إنجليزية تدهي شركة جرجس إبعاد مشروع توسيع ميناء الإسكندرية والبقاء بأعمال الإصلاح فيه مقابل عدة ملايين من الجنيهات واستمرت إنجلترا فرصة ريتشارد إسماعيل المال لكي تزيد في وولته . ونجحت هذه البنية واضحة في شرائها أسهم مصر في قناة السويس سنة ١٨٧٥ ، فإن هذه الصفقة كانت أول صرية صويتها إنجلترا إلى صرح الاستقلال المصري .  
وفي سنة ١٨٧٧ أوعزت إلى الخديو أن يعين غردون باشا حاكمًا عامًا (حاكمًا عامًا) للسودان ، وهو منصب من أكبر مناصب الدولة وأعظمها خطرًا ، وذلك أول مرة في تاريخ مصر أسند فيها هذا المنصب السامي إلى أجنبي .  
هذه الحوادث لم تقع عبثًا ، بل هي مظاهر لامتداد النفوذ الإنجليزي في بلاد الخديو منذ سنة ١٨٧٠ .

وقد توثقت العلاقات الودية في هذه الحقبة من الزمن بين الخديو وإنجلترا ، وتعددت مظاهرها ، فعقدت إنجلترا ومصر في ١٨ مايو سنة ١٨٧٣ معاهدة لتسهيل تبادل البريد وعقدتا في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ معاهدة للتعاون على إبطال الرقيق .  
ويظهر لك مبلغ حرص إسماعيل على كسب رضا إنجلترا ، ونحو عافاتها ، أنه لما جرد سنة ١٨٧٥ حملة إلى شواطئ الصومال الواقعة على المحيط الهندي بسط نفوذ مصر في شرق أفريقيا والوصول من هذه الجهة إلى أملاكها في خط الاستواء ، استأمت إنجلترا من هذه الحملة ، وأرسلت إلى إسماعيل تنمئص على إتمامها ، فبادر الخديو إلى الاستجابة لاحتجاجها ، واسترجع الحملة إلى مصر استبداء لعلاقات الود بينها .  
وفي ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ عقد ويناها معاهدة اعترفت فيها إنجلترا سلطنة مصر في بلاد الصومال الشمالية . فكانت هذه المعاهدة مظهرًا من مظاهر العلاقات الودية بين مصر وإنجلترا .

على أن هذا الود لم يمنع إنجلترا من أن تصمم الشرم لمصر ، وتعمل على إخضاعها للرقابة الأجنبية . ولما اشتد الخلاف بين الخديو والبرلمان سمعت سمعها في خضوع ونجحت في صيغتها سنة ١٨٧٩ . فكان هذا حتم . بسببه . الذي اتبعه إسماعيل حياته .

## إنجلترا

لا يخفى أن انحصار ألمانيا في الحرب السبعينية كان له تأثير سيء في المسألة المصرية . لأن إضعاف نفوذ فرنسا قد مهد لإنجلترا السبل لتكون صاحبة لصوت الأعلى في هذه المسألة . ومكسب من الانفراد بالتدخل في شؤون مصر ، حتى انتهى إلى الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ . فلا يخفى عليك أنه كان ثمة تنافس بين الدولتين على كسب النفوذ في مصر ، وقد اشتد هذا التنافس من عهد إنشاء قناة السويس ، وكان التمدد بين قوتين يعمل دون سيطرة إحداهما على مصير البلاد ، ولكن صوت فرنسا في المسألة المصرية أخذ يصوت من نهاية سنة ١٨٧٠ ، فاعتزمت إنجلترا هذه الفرصة لإتمام لإرادتها في وادي النيل ، اعتبر ذلك فيما وقع حين قامت الحوادث العراقية سنة ١٨٨١ ، واعتزمت إنجلترا احتلال مصر ، فقد كان هذا المشروع مهددًا بالإحراق لو اشتركت فرنسا معها في العمل . ولكن فرنسا تركت إنجلترا تحتل البلاد وحدها ، وهذا يرجع إلى أسباب عدة لا محل لبحثها الآن ، وستكلم عنها في موضعها ، ولكن لا شك أن من بين هذه الأسباب ضعف فرنسا بعد هزيمتها في الحرب السبعينية ، ونفوذها من الخطر الذي يهددها من ناحية ألمانيا .

ولوقبعت فرنسا على قوتها وعزدها قبل الحرب السبعينية فكان من نتائجها هي وإنجلترا في المسألة المصرية ما يكفل لمصر التخلص من مطامع الدولتين ، ولكن التوازن بينهما قد اختل بعد هزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ ، فاحتدت كفة إنجلترا ترجيح في شؤون مصر ، وأخذ إسماعيل من ناحيته يتصرف عن فرنسا لم أصابها من الضعف ، ووجهه بيمره لثقله إنجلترا ، ويتوعد إليها على أن إنجلترا منذ افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ بدأت فعلا في العمل على تثبيت مركزها في مصر تمهيدًا لاحتلالها ، وأنطقت في الوقت نفسه تطالع إلى السودان ، وتمدد أصابعها إليه تمهيدًا لفصله عن مصر ، بذلك على ذلك سلسلة من الأعمال ترمي إلى تحقيق تلك المطامع . فلما أوعزت إلى الخديو إسماعيل أن يعين السير صمويل بيكر الرحالة الإنجليزي الشهير حاكمًا لمديرية خط الاستواء ، ولما انتهت مدته عملت على أن تحلف في هذا المنصب الإنجليزي آخر وهو الكولونيل غردون (باشا) ، وسعت لتحويله سلطة كبرى لرقابة عليه في لندن كم المصري لعام كما سيجيء بيانه .

## الغضن الرابع

### قناة السويس

ر. منة قناة السويس من أول مسائل لسانه في وجهته إسماعيل في أول عهد حكمه . وكانت أقطار الأوروبيين متعده في ما يؤمن إليه مصر القناة بعد وفاة سعيد الذي عرف عنه أنه منذ المشروع وقوامه ، فلما مات قلق المسير قريتان دليسين على مشروعه ، وتحت أن يكون نصيب الإنفاق ، ولكن إسماعيل باشا يادري أول اجتماع له بوكلاء الدول وألقى إليهم بعزمه على تأييد المشروع

قناة السويس يرجع إتمامها إلى تعصب إسماعيل ورعايته ، لأن سعيد باشا لم يكذب يقول المشروع في خطواته الأولى ، حتى عاجلته الحية ، فلولا اتجاه إرادة إسماعيل إلى تعصب المشروع وإتمامه ، لكان مصيره المحيوط لا محالة ، ولمجز المسير دليسين عن المضي فيه ، ولعل إسماعيل لم يكن أراد مله أن يكسب رضا الأوروبيين من أعمار المشروع ، وبنات إتمامهم وثاءهم ، ويستحق في نظرهم لقب « فاتح القناة » ، فعصده المشروع بكل قوته ، واحتصل تبعه إتمامه ، كما احتل سعيد تبعه الهندية فيه والتصميم على إتمامه .

### سعى إسماعيل في تخفيف شروط الامتياز

على أنه من الحق أن نقرر أن إسماعيل باشا قد حالت في مصلحة المزاي إلى نائبا الشركة في عقد الامتياز ، على جهده في تخفيفها ، وكان من هذه الوجهة أكثر مراعاة لمصلحة مصر من غيره

وبما يؤثر أنه قال يوماً . « إلى أريد أن تكون القناة لمصر ، لأن تكون مصر للقناة » وقيل أنه فكر يوماً في أن يقول بعصه تنفيذ المشروع . ولو حقق هذه الفكرة لجعل القناة حقيقة ملكاً لمصر ، ولكنه لم يفعل ، واكتفى بالاعتراض على أوجه أربعة من شروط الامتياز وسعى في إبطالها وهي

١ - تمهد الحكومة بتقديم العمال الذين يحتاج إليهم الشركة لعاية عشرين ألفاً مستمراً<sup>(١)</sup> ، وزعمت الشركة أن لها مطالبة الحكومة بتعويض في حال تفصيرها أو عجزها عن تقديم هذا العدد .

٢ - ملكية الشركة لثروة المياه العذبة التي كلفت عتقها إنشاءها واستغلال رعى الأتبان للملكة للأفراد على جانبها مقابل أجر تقتضيه منهم حسب تقديرها .

٣ - ملكية الشركة لجميع الأراضي التي نرى أنها في حاجة إليها لحر القناة وإنشاء الرعة المزبة ، وإعمالها على النوام من دفع الأموال الأميرية عليها ، وملكيتها لجميع الأراضي التي تستصلحها وتزرعها ، وإعمالها من دفع أموالها مدة عشر سنوات .

٤ - إضطرار الحكومة إلى ترع ملكية الأتبان للملكة للأفراد إذا احتاجت إليها الشركة لاستغلال آبارها .

وقد فاض إسماعيل الشركة لإلقاء هذه الشروط ، واعتمد في مقاضاته على وزيره نوبار باشا ، وقدم حجة وأسايد قوية تأييداً لطلباته ، وكانت حجة في إلغاء الشرط الأول رغبته في إلغاء السخرة ، لأن هذا الشرط هو إقرار فعلي لتسخير العمال والفلاحين في العمل لفتح القناة ، وهذا ما لا يتفق ومبادئ الإنسانية .

وحجته بالنسبة للشرط الثاني والثالث أن قوانين الدولة المأنيعة الخاصة بالملكية العقارية والتي كانت متبعة في مصر وقتئذ ولا تجيز التنازل للأجانب عن ملكية الأراضي والعقارات

وكانت أولى خطواته في تخفيف الشروط أن أبرم اتفاقاً مع الشركة في ١٨ مارس سنة ١٨٦٣<sup>(٢)</sup> يقضى بأن تتولى الحكومة إنشاء الرعة في القسم المست. بين النيل ووادي العطميلات ، ووصلها بالجره الذي أنشأته الشركة من رعة الوادي إلى القناة ، وقد صرحت هذه الرعة من منحها إلى مصبها بالرعة الإسماعيلية ، وغرض التقدير من هذا الاتفاق تجنب المنازعات الخاصة بملك الشركة للرعة . وانتزعها ملكية الأفراد من الأتبان التي يقتضيها إشاؤها ، وكان عمله في هذا قيس الحكمة والسداد

ووجه إسماعيل وزيره باشا إلى الأستانة ، ثم إلى فرنسا ، للسعي في تخفيف شروط

(١) بلغ هذا العدد ٢٢ ألفاً في أواخر عهد سعيد ( ج ٤ ص ٣٣٤ من وثائق القناة للسيد دليس )

(٢) وثائق القناة للسيد دليس ج ٤ ص ٢٩٠

١ - وأوضح مطالبه في رسالة بعث بها نوبار إلى الشركة<sup>(١)</sup> وتلخص بها على نقص عدد العمال الذين ساء الحكومة بتقديرهم للشركة إلى ستة آلاف لأن تسخير

العدد المحدد ( ٢٠ ألفاً ) يصير سهلاً وبذلاً

٢ - ردة أجورهم ، وجعلها فريضة لكل عامل في اليوم . لكن يعرض الفلاح ما يجسره من ترك بلد وأرضه وما يبدله من الجهد للعمل في حفر القناة

٣ - إلغاء امتياز ملكية الشركة للأراضي ، وفي مقابل ذلك تأخذ الحكومة المصرية على عهدها إتمام الرعة العذبة ، وأن تعوض الشركة قيمة العقارات التي بدلها في القسم الذي أنشأته بها

وقد عارضت الشركة في هذه المطالب ، بحجة أن إتفاقي عدد العمال من عشرين ألفاً إلى ستة آلاف يعطل إتمام المشروع ، ويطلق مدة العمل من ثلاث سنوات إلى عشر ، مما يكيد الشركة خسائر جسيمة ، وأن تمنحها بالأراضي القابلة للاستصلاح ، ولرعة من رأس الوادي إلى القناة ، من المسائل الجوهرية ، التي لا تنازل عنها .

### تحكم نابليون الثالث

وقد اشتد الجدل حول مطالب إسماعيل ، وعبت الصحف والندوات السياسية والمالية في فرنسا للدفاع عن شروط العقد ، والمعارضة في إيطاليا ، وارتضى بالخير أصحراً تحكم الإمبراطور نابليون الثالث إمبراطور فرنسا ، للفصل في النزاع ، فكان هو المحكم والحكم ، لما كان معروفاً عنه من تأييده للشركة ، وحفظه على السور فرديتان دليس ، ويرجع هذا العطف إلى أن المشروع في ذاته عظيم النفع لفرنسا ، وإلى أن دليس يمت إلى الإمبراطورة أوجيبى بصلة قرابة بعيدة

### الحكم في النزاع

أصدر نابليون الثالث حكمه في ٦ يولي سنة ١٨٦٤ وهو يقضى بما يأتي

١ - إبطال حق الشركة مطالبة الحكومة بتقديم العمال المصريين ، وإلزام الحكومة في مقابل ذلك بتعويض مالي تقدمه للشركة ومقداره ٣٨,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

(٣) بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨٦٣ - وثائق القناة للسيد دليس ج ٤ ص ٢٥٠

١٠ - الشركة بمحكومة هي كل حق في ثروة المياه العذبة ، والتزام الحكومة بإغنائها  
 مع منعها الشركة من الانتفاع بها ، وإلزام الحكومة بمقابل هذا التنازل بأن تدفع لشركة  
 تعويض قدره ١٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك  
 ٣ - حصل الأراضي المنوكة للشركة واللازمة للمشروع ٢٤,٠٠٠ هكتاراً تقريباً (١) منها  
 ١٠,٢٦٤ هكتاراً على جانبي القناة البحرية وملحقاتها ، و ٩,٦٠٠ هكتار بمرعى عذبة ،  
 وثلاثة آلاف هكتار مياه الشركة  
 ٤ - إعادة الأراضي الأخرى التي انتصح عدم لزومها للمشروع ومساحتها ٩٠,٠٠٠  
 هكتار ، مقابل تعويض تدفعه الحكومة وقدره ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (٢) .

#### فلسفة التعويضات

فكان مجموع ما أُلزمت به الحكومة من التعويضات للشركة طبقاً لحكم الإمبراطور نابليون  
 الثالث ٨٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (٣,٣٩٠,٠٠٠ جنيه) ، وبينما كما يأتي بالجنبيات :

جنيه	
١,٥٢٠,٠٠٠	مقابل إعطاء الحكومة من تقديم العمال المصريين لخدمة القناة
٦٤٠,٠٠٠	مقابل تنازل الشركة عن حق إنشاء القرعة العذبة
١,٢٠٠,٠٠٠	مقابل تنازل الشركة عن دعواها في ملكية الأراضي
٣,٣٩٠,٠٠٠	مجموع التعويضات

وإذا علمت أن رأس مال الشركة هو ثمانية ملايين جنيه ، أمكن أن نقدر مداهمة  
 التعويضات التي حكم على مصر بأدائها ، وأنها تبلغ على وجه التقريب نصف رأس مال  
 شركة

ويمتد هذا الحكم من الأحكام المطارة في التاريخ ، لأنه يبي على أنساب لا يسميها عدل  
 ولا منطق ، فقد أُلزم الإمبراطور نابليون الثالث الحكومة المصرية بتعويض عن مداهمة

الأولى عداها . فقدم العمال مصريين . وفي هذه التعويض على أنها مبرمة صلا

١ : حكم مصر في ١٨٠٠ م . ٢ : حكم من قديم

٣ : دليل ويدر . ٤ : وثيقة لخدمة المسودد مع ٢ م ١٧٦

بتقديم هؤلاء العمال لشركة ، وأن إغلائها بهذا الالتزام سيضطر الشركة إلى جلب عمال من  
 أوروبا ، فتدفع لهم فروقاً في الأجرة ، وإلى استحضار آلات تنقى من الأيدي العاملة ،  
 وتكلفتها هقات طائلة ، وأن الحكومة المصرية مسئولة عن هذه الفروق والتعويضات ، وقد قدرها  
 بهذا المبلغ الضخم ( ١,٥٢٠,٠٠٠ جنيه )

ولا مراد في أن هذا السبب ظاهر فيه التسف والمهوى ، لأنه من التأمل في شروط الامتياز  
 يتبين أنها لا تتضمن : التزاماً من الحكومة بتقديم أي عدد من العمال ، بل كل ما ورد في  
 العقدان أربعة أشخاص العمال يكونون من المصريين ( مادة ٢ ) ، وأن الحكومة تعهدت بذلك  
 مساعدتها للشركة ( مادة ٢٢ ) ، وليس في العقد : التزام ، بالمعنى القانوني يؤدي إلى الحكم  
 بتعويضات فيها إذا لم تسخر الحكومة الممد الذي ينبغي الشركة من العمال ، بل كان على  
 الشركة أن ترغب العمال في العمل بالأجور التي تعرضها عليهم ، أما جعل العمل إجبارياً  
 بواسطة سلطة الحكومة ، فأمر لم يلتزم به الحكومة أصلاً في عقد الامتياز .

المثال : تنازل الشركة للحكومة عن إتمام ثروة المياه العذبة ، وعن الجزء الذي أنشأته  
 فيها ، وقد رتب الحكم على هذا التنازل إلزام الحكومة بتعويض الشركة مقابل النفقات التي  
 بذلتها في الجزء الذي أنشأته وحرماتها من الأرباح التي كانت تتلقاها من استغلال الثروة بعد  
 تمامها ، وقدر هذا التعويض بمبلغ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك ( ٦٤٠,٠٠٠ جنيه ) ، وكانت  
 العدة تقضى بالالتزام الحكومة إلا بما أنفقته الشركة فعلاً على الجزء الذي أنشأته ، ما دامت  
 قد تنازلت عنه للحكومة ، وهذا ما كان إسماعيل باشا مستعداً لأدائه ، ومقداره باعتزاف  
 الشركة ٧,٥٠٠,٠٠٠ فرنك ( ٣٠٠,٠٠٠ جنيه ) ولكن التمييز والمهوى جعلوا نابليون الثالث  
 يكبل لئال جزاءاً لشركة

المثال : تنازل الشركة عن ملكية الأراضي التي تبين من الحكم عدم لزومها لإنفاذ  
 المشروع . وقد قدرت في الحكم بـ ٦٠,٠٠٠ هكتار ، وهذا أيضاً ظهر العرض والتعير  
 للشركة . لأن هذه الأراضي هي جهات صحراوية جرداء ، لم تكن الشركة قد استصلحتها  
 بعد ، وانتصح أن يعاد المشروع لا يقتضيها ، وبالرغم من ذلك قدر نابليون الثالث ثمنها على  
 اعتبار ما سيؤول إليه أمرها في المستقبل ؟ فجعل لكل هكتار ( قدرتين تقريباً ) خمسمائة فرنك  
 ( ٢٠ جنياً ) ، وحكم على مصر بأن تدفع للشركة في هذا الباب وحده ثلثين مليون فرنك  
 ( ١٠,٢٠٠,٠٠٠ جنيه ) ، وهكذا قضت عدالة نابليون الثالث أن تدفع مصر هذا



بأنه ليقاء ملكها في حوزتها ، وهذا من أقرب ما يجمع في معنى الظلم والجور والحلابة . أن مصر خرجت من هذا التحكيم بصيغة المضيونة . وصحت الشركة حكمه لإبصار مصر فوراً أميناً كمال لما إتمام المشروع على حساب مصر ، فلا عرو أن يسمه المسيو فرديناند . — بأنه « السند الأساسي للشركة ووثيقة الكفالة والإطمئنان لها »<sup>(٦٦)</sup> ، وكذلك كانت مراحل المشروع منذ البدء فيه إلى ما بعد إتمامه شؤماً ووبالاً على البلاد .

وعنى من البيان أن الحكمة كانت تقضى بالأب يورط الخديو إسماعيل في مثل هذا التحكيم ، الذي جر على مصر هذه الخسائر الخسيسة ، ولو أنه استمسك بشروطه ولم يقبل تحكيمياً لما استطاعت الشركة أن تحط بخطوة في العمل ، إذ كان كل شيء معلقاً على الأيدي الطامعة المصرية ، ولولا تلك الأيدي النشيطة القوية ، لوقف المشروع وقضى عليه بالحبوط ، دون أن تحرك مصر ساكناً ، ولكن شاء جدد مصر العائر أن يركن إسماعيل إلى العدالة الأوروبية ، فوقع على يدها ما رأيت من الظلم والاعتصاف .

#### اتفاق ٣٠ يناير سنة ١٨٦٦

وعقد إسماعيل والشركة إتفاقاً في ٣٠ يناير سنة ١٨٦٦ لتسوية النزاع بينها مع مراعاة حكم نابليون الثالث ، وهذا الاتفاق يقضى بما يأتي .

- ١ - تحديد مواعيد الأقساط المقدرة لأداء قيمة التويضات المحكوم بها للشركة
- ٢ - استئصال الأراضي المخصصة للشركة بصلة ملحقات القناة المدة .
- ٣ - التنازل للحكومة عن ترعة المياه العذبة مع الأراضي والمباني والأعمال الفنية التابعة لها ، على أن تدفع لها الحكومة ثمن هذه المباني
- ٤ - مبيع أراضي محتشيش الوادي<sup>(٦٧)</sup> للحكومة بشن كهره عشرة ملايين فرنك ( ٤٠٠ ألف جنيه )

- ٥ - حق الحكومة في احتلال أي جهة في الأراضي المحتيرة شراً للقناة وأي موقع حرجي
- ٦ - سداع عن البلاد على شرط ألا يكون ذلك الاحتلال عائقاً للملاحة

<sup>(٦٦)</sup> - السند الأساسي للشركة

<sup>(٦٧)</sup> - أراضي محتشيش الوادي ( ١٧٠٠ فرنك )

٦ - شغل الحكومة ما تراه من تلك الأراضي مجاز تنشئها لمصلحتها كالميند والشركات والمجاري وغيرها ، على شرط أن تراضي كل ما تقضى به ضرورة الانتفاع بالقناة ، وأن تدفع للشركة المبالغ التي تكون قد صرفتها على تلك الأمكنة .  
تم إبرام في ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ إتفاقاً كاملاً مع الشركة بتعويض الشروط بوا دة في عقد لاسار الأصل مع التعديلات بظرفة عيه<sup>(٦٨)</sup>

#### تصديق السلطان - واتفاق ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩

وفي ١٩ مارس سنة ١٨٦٦ صدر فرمان السلطان التصديق على اتفاق ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦<sup>(٦٩)</sup>

وعقد إسماعيل والشركة اتفاقاً آخر في ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩ ، ألتى فيه الشرط الخاص بإعطاء مستودعات الشركة من الخارج من الرسوم الجمركية ، وأعطاهها مقابل ذلك تمويضا قدره عشرون مليون فرنك ، وتنازلت الشركة للحكومة عن بعض المباني والمستشفيات مقابل عشرة ملايين فرنك<sup>(٧٠)</sup>

#### قهاء العمل وافتتاح القناة

( نوفمبر سنة ١٨٦٩ )

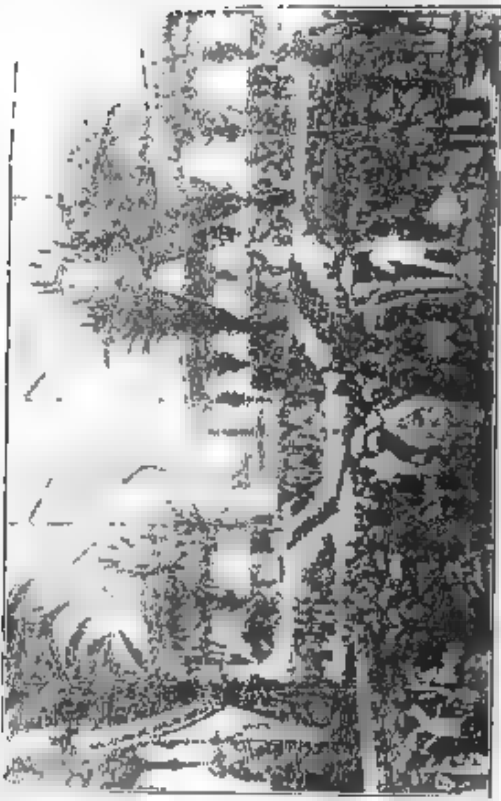
وانتهى العمل في حفر القناة واتصلت مياه البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر في نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، فكان العمل قد استمر عشر سنوات ، وبلغ طول القناة ١٦٤ كيلومتراً ، وأُنشئت على شاطئها مدينة بور سعيد ومدينة الاسماعيلية ، وافتتحت القناة للملاحة يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ .

وأقام إسماعيل لمناسبة افتتاح القناة تلك المظاهرات النخبة التي لم يعرف التاريخ لحصلا يدانيها في الإسراف والتبذير

ويكفيك دليلاً على مبلغ ذلك الإسراف أن تعرف نفقات المظاهرات ، فقد بلغت على أصح تقدير ١,٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، ولا توجد حكومة رشيدة تكلف خزائنها هذا المبلغ الضخم

(٦٨) - واتفاق ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩

(٦٩) - كتاب إيريك ثومبسون للسيد شارل دو روكس ج ١ ص ٥٠١



حفلة افتتاح قناة السويس ببيديسيد

يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩

وقد أقيمت في هذه الحفلة ثلاث مناسبات ، خصصت للحفلة الكبرى للزوار والأفراد وكبار الدبلوماسيين ، والثانية لرجال الدين الإسلاميين ، والثالثة لرجال الأكاديمية ، وبخاصة في طلبة الكبرى . احتفى إسماعيل أبوسيف أميرالطيرة القرويين . فقدموا جروب إمبراطور النمسا ومالك البحر الأمير فرديريك ويلهلم ملك مملكة بروسيا . الأمير هنرى ثير ملك موناكو الأندلس . الأمير هنرى بلونت سفير إنجلترا بالاستانة وعطلة هيلدى بلونت . الأمير مورا الأمير محمد توفيق باشا ملك المملىد . الأمير هو طه . الخزانة لمتحف سفير روسيا في الاستانة ومقام لمتانيف الأمير طوسون باشا ابن محمد سعيد باشا . قريف باشا وقدر المناطبة ورئيس المجلس الخصوصى العالي و مجلس الوزراء . فريلر باشا وقدر الدكتورية . شامس باشا وقدر الحرية والبحرية . رئيس باشا عازمطار المينور للسوي فرديناند ملهيس . الأمير عبد القادر الجزائري الأمير دويست والكوت أنفرايس من وزراء النمسا . البارون بروكش سفير النمسا في الاستانة

البحر الحج

وبعد ألقى الشيخ إبراهيم قسما في هذه الاحتفال كلمة تبرك باللغة العربية . ثم تلاه مارسيلود د بوم ، وأعطى باليون الثالث الذي جاءه نصيبها من فرنسا لخصور الاحصال والحق حفلة تبرك باللغة الفرنسية



دخول البواخر للقناة للزوار والأفراد قناة السويس

في مسيحة ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

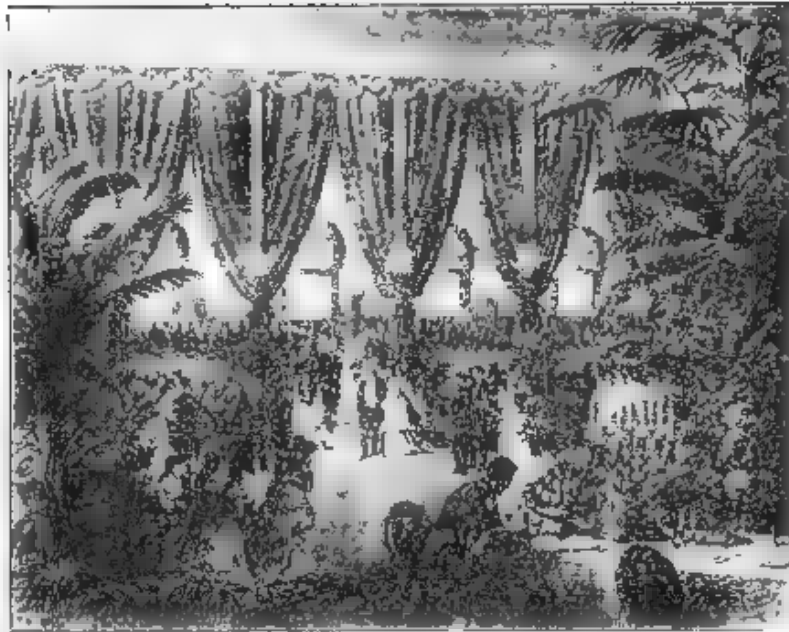
يبدأنا بافتتاح القناة للسلاحة

ونرى في مقبرة البواخر السفينة ( ليجل ) L'Angle قبل الإمبراطورة أوجس



#### احدى الحلقات الفخمة التي أقيمت ابتهاجا بافتتاح قناة السويس

ليلة العشاء التي أقيمت لتحتفي بإتمام الخديو إسماعيل في قصره بجمعية الإسماعيلية ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، وقد مدحت الموائد في هذه الحفلة لألاف الضيوف ، ولدى لي حضور لهذه المناسبة الإمبراطورة أوجيى إمبراطورة النمسا ، وهي معها فرانسوا جوزيف إمبراطور النمسا ، وعن يمينها الأمير فريدريك ويلهم ولي عهد بروسيا . وإلى يمين الإمبراطور فرانسوا جوزيف عتيلة القيصر اليوت سفور النمسا . ثم ليمبرال اجتاليف مصر الروسية في الأستانة ، وإلى يمين ولي عهد بروسيا عتيلة سفور الروسية . ثم الأمير هيرى اليوت سفور النمسا بالأستانة ، وأمامهم الخديو إسماعيل ، وإلى يمينه أمير هولندا ، للأمير حيد ، وإلى يمينه أمير هولندا ، ثم مقدم دي يوار ، ثم السفير فريدريك دالميس .



#### (البالو) أو حفلة الرقص التي أقامها الخديو إسماعيل في قصره بالإسماعيلية ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ابتهاجا بافتتاح قناة السويس

(التبعا هذه الصورة والصورة السابقة من كتاب افتتاح قناة السويس

inauguration de Canal de Suez كسير نيكول Nicole وهذا الكتاب وضع مصمما

لوصف حلقات القناة والصورة التي في يمينه بر Raou

جميع في سجلات لا طائل لها في الوقت الذي استهدفت فيه الحكومة والبلاد لأشد ضروب  
حقيق لمند

### عناصر مصر المالية في إنشاء القناة

بمدر مؤلف « تاريخ مصر الحديث » - حشرته مصر في إنشاء القناة ، من ثمن أسهمها في  
الشركة . وما بدله لها من التوزيعات ، وما دفعت في إنشاء ترعة الإسماعيلية ، واسترداد  
أطيان الوادي . ومبيعات سجلات القناة بجميع ١٦٨٠٠٠٠٠ جنيه<sup>(١١)</sup> .  
وهذا التقدير هو أقرب الإحصاءات للواقع ، وهو قريب من البيان الذي قدمته الحكومة  
لمجلس شورى النواب بجلسته ٢٠ رجب سنة ١٢٩٣ هـ عن ديون الحكومة وإيراداتها  
ومصروفاتها . فقد جاء فيه أن مجموع ما دفعته في قناة السويس ١٦٠٧٥٠١١٩ جنيه  
مصرى ، وهذا الإحصاء يقل عن إحصاء المستر إدوين دي ليون Edwin de Leon  
فصل الولايات المتحدة العام في مصر على عهد إسماعيل ، فإنه قدره بمبلغ ١٧.٤٢٣.١٧٨  
جنيه إنجليزي<sup>(١٢)</sup>

ومن هذه المقاربة يتضح أن إحصاء مؤلف تاريخ مصر فلكي هو الرقم للوسط الذي يصح  
الاعتماد عليه ، وستجده هنا في أن نضع مفردات لهذا الإحصاء طبقاً للبيانات التي أوردناها  
حسبه

قيمة أسهم مصر في القناة	٣.٤٢٦.٠٠٠
قيمة التوزيعات المحكوم بها للشركة	٣.٣٦٠.٠٠٠
ثمن أراضي تفتيش الوادي	٠.٤١٠.٠٠٠
تمويض مدفوع للشركة بمقتضى اتفاق ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩	١.٢٠٠.٠٠٠
تفقات الترخية العينية	١.٢٠٠.٠٠٠
تفقات سجلات القناة	١.٤٠٠.٠٠٠
	١٠.٩٨٦.٠٠٠
فوائد وسمرة ومعدات التحكم وما إلى ذلك	٥.٨١٤.٠٠٠
مجموع الحسابات	١٦.٨٠٠.٠٠٠

(١١) تاريخ مصر الحديث من ١٣٦٠ . ولم يذكر المؤلف مديون هذه الإحصاء  
١٣٠٠ في كتابه ( مصر الحديثة ) The Khedive Egypt طبع سنة ١٨٧٧ من ١١٧

ولا نحسن أن في رقم الموائد وما إليها مبالغة ، فإن المستر إدوين دي ليون بقدرها في  
إحصاءه بمبلغ ٦,٦٦٣,٠٠٠ جنيه ( من ٤١٧ من كتابه )  
وإذا علمت أن تفقات إنشاء القناة بأكملها طمعت بحسب إحصاءات الشركة  
٤٥١,٦٥٦,٦٦٠ فرنك ، أي نحو ١٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، أدركت أن مصر احتلت وحدها  
معظم هذه التفقات ، وإذا بحثنا عما نال مصر من بدل هذه الجبال الحسنة التي كانت من  
أسباب ارتياكها المالي ، كان الخواب أنها لم تنل من القناة أية فائدة . بل عادت عليها بالويل  
والخسران ، إذ كانت مقدمة الاحتلال الإنجليزي ، وفي ذلك يقول مرحوم محمد بك فريد  
« يمكننا القول بأنه لولا تقود مصر وفلاح مصر الذي ما زال يجر على الاشتغال قهراً بأحرة  
رعيدة لما أمكن دليس أن يتم هذا المشروع الذي كان سبباً جاحقاً في من الاحتلال  
الأجنبي ، وما ستره عن وأولادنا إن لم تساعدنا المقادير »<sup>(١٣)</sup>

### بيع أسهم مصر في القناة

كان لمصر من أسهم شركة القناة ١٧٦,٦٠٢<sup>(١٤)</sup> سهماً ، وهو مقدار عظيم يكاد يساوي  
نصف أسهم الشركة ، لأن مجموع الأسهم ٤٠٠ ألف سهم .  
وقد اكسب فيها سعيد باشا واشترها بمبلغ ٣,٤٢٦,٠٠٠ جنيه ، ولا ريب أن امتلاك  
هذا المقدار من الأسهم كان من شأنه أن يجعل لمصر شيئاً من الهيمنة على الشركة وإدارتها ،  
ويجولها حق التدخل في شئونها ، كما أنها مورد أرباح وميرة تعود على الخزانة المصرية بأضع  
الآلاف ، وخاصة بعد تقدم أعمال الشركة وارتفاع أسهمها بدرجة فالت كل تقدير  
ولكن إسماعيل أي لا أن يجرم مصر هذه الثروة الجسيمة . في سنة ١٨٧٥ أخذ  
معي من المال ينصب بين يديه ، بعد القروض الباهظة التي استند به . والأعيان الحسنة التي  
ناهت بها الخزانة ، فحكر في بيع أسهم مصر في القناة وعرضه علناً للبيع  
وقد بدأ يعرضها على فرنسا ، فترددت في الأمر ، ولكن الحكومة الإنجليزية ما لبثت أن  
علمت بالمسألة حتى بادرت بشرائها ، لأنها وجدت في هذه صفقة مريحة سانحة بوضع يدها  
على القناة

(١٣) تاريخ الثورة المصرية من ٣١٧ لمرحوم محمد بك فريد

(١٤) حددتها في الأصل ١٧٧٦٤٢ ، باعتها مصر الحكومة من قبل ١٠٤٠ سهماً بصادر البال ١٧٦٦٠٢

فاشرت هذه الأسهم بضع خمس أربعة ملايين من الجنيهات الإنجليزية ، وبهذه الصفة  
صاع بتحويل على مصر لميرة التي بقيت لها من مشروع بناء

## خصائصه فادحة

وعدت قيمة هذه الأسهم (في سنة ١٩٢٩) ٧٢ مليون جنيه ، وبحثت فيها الخزانة ،  
لبريطانية (إلى أواخر سنة ١٩٢٩) ٣٨,٦٠٠,٠٠٠ جنيه ، وبمجموع ذلك يف ومائة مليون  
جنيه و عشرة ملايين من الجنيهات ، أى أن خسارة مصر من هذه الناحية بلغت إلى تلك  
الدرجة

$$\text{Ans: } 1 + 7 + 4 + 9 + 16 = 37 \quad \text{or} \quad 1 + 16 + 7 + 9 = 43$$

وثمة حسارة أخرى أصابت مصر إذ تآزلت عن ١٥ في المائة من أرباح القناة التي كانت تزول لها بمقتضى عقد الامتياز ، تآزلت من هذه الحصة بسبب قروض إسكندرية مقابل ٢٢ مليون فرنك أي ٨٨٠.٠٠٠ جنيه ، وقد بلغت قيمة هذا النصيب الآن ( سنة ١٩٣٢ ) نحو ٢٠ مليون جنيه ، وهو يقل إيراداً لا يقل عن ٨٦٩.٠٠٠ جنيه في السنة . وهذه الأرقام تدلّك على مبلغ ما أصاب مصر في الصفقتين من الممران المين .

• • •

البحر الأبيض المتوسط



لغة السويس وتواريخها الهامة

٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ فتح سعيد  
باش امتياز القناة في السويس وليس  
٥ يناير سنة ١٨٥٦ : شروط  
الامتياز  
٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ : ابتداء  
العمل في حفر القناة .  
٦ يوليو سنة ١٨٦٤ : حكم  
الإمبراطور نابليون الثالث .  
١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ : افتتاح  
القناة لسماحة  
٢٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ : بيع أسهم  
مصر في القناة إلى إنجلترا .  
٧ أبريل سنة ١٩١٠ . رفض  
الجمعية العمومية المصرية محمد  
الامتياز  
١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٨ : انتهاء  
الامتياز وعودة القناة إلى مصر

## الفصل الخامس

### السودان في عهد إسماعيل

من آثار الخديو إسماعيل التي عند ذكره في تاريخ مصر القومي أنه وجه عنايته وحمته إلى إتمام فتح السودان ، والوصول إلى حدود مصر الطبيعية . وعلوم ، أن هذه الحدود تشمل ودي النيل وبحافته ، من بحر لأقصى المتوسط شمالاً ، إلى مابح النيل والأقبوس هدى جنوباً ، ومن البحر الأحمر شرقاً إلى صحراء ( لوب ) غرباً . ولقد أكمل إسماعيل من هذه الناحية لعمل أبيه محمد علي ، توسع بطول السودان ، وبسط الحكم المصري في أملاكه ، ومدّ رواق الحضارة والعمران على ريوحه

### توسيع نطاق السودان

بيننا في كتابه د مصر محمد علي ، ( ص ١٩٢ الطبعة الأولى ) مدى فخر مصر في السودان على عهد محمد علي ، وذكرنا أن حدود السودان وصلت شرقاً إلى البحر الأحمر ، وضمت إقليم النكا ( كلال ) الواقع شرق نهر عطبرة . ووصلت من جهة الحشة إلى القصارف والقلايات ، ودخلت سواكن ومصوع في نطاقها ، وبلغت الحملات والتجاريده جنوباً إلى جزيرة ( جونكر ) تجاه عندكرو الواقعة على النيل الأبيض

فلندكر الآن الفتح المصرية في الأقطار السودانية على عهد إسماعيل ، وغلاصها أن مصر فتحت مديرية فاشوكة ، وضمت محافظتي مصوع وسواكن - أيّاً إلى أملاكها ، وفتحت إقليم خط الاستواء وعلكة ( أوبورو ) وبسطت سيطرتها على مملكة ( أوغندا ) وفتحت إقليم بحر الغزال ، ثم سلطنة دارفور ، واتسعت أملاك مصر بين الحبشة والبحر الأحمر حتى ستهيت ، وبلاد اليوغوس . وامتدت سيطرتها إلى سواحل البحر الأحمر حتى بورغاز باب المندب ، وضمت محافظتي ربيع وبريرة الواقعتين على خليج عدن ، فيما يلي بورغاز باب المندب ، وفتحت سيطرتها الواقعة في الجنوب الشرقي من الحبشة ، ودخلت سواحل الصومال

س. به في أملاك مصر حتى رأس جردفون (جردفوى) على المحيط الهندي ، ثم إلى رأس (حافون) وبذلك كله انصحت رقعة الفتوح المصرية ، فوصلت جنوباً إلى بحيرة أبيات وبحيرة مكنوريا . وشرقاً إلى البحر الأحمر وخليج عدن ، وغرباً إلى حدود (وادي) وسندكر فيما بين هذه الفتوح لتعصلاً .

### فتح فاشودة

( سنة ١٨٦٥ )

في سنة ١٨٦٥ اجتاحت الجيوش المصرية فاشودة احتلالاً وحشياً ، وذلك على عهد جعفر صادق باشا حاكم السودان ، وانجملت الحكومة بها نقطة حرية دائمة لمنع تجارة الرقيق فسُلت الطريق أمام النحاسين الذين كانوا يجلبون الأرقاء بطريق النيل من إقليم بحر الغزال خط الاستواء ، وصارت فاشودة عاصمة المديرية المسماة باسمها .

ولعاشودة أهمية كبرى ، نالها من موقعها الجغرافي والحراري ، فلها عند افتتاح النيل الأعلى ، موقعها على ملتقى الطرق المختلفة الواصلة من الخرطوم والحشة إلى جنوبي السودان ، وعلى مقربة من ملتقى روافد النيل كبر سوباوط وبحر الغزال والنيل الأبيض وبحر الزراف ، وهي نقطة الاتصال بين السودان وجهات خط الاستواء .. ومن يملكها يضمن الفوز في شمال السودان وفي الجهات الجنوبية منه إلى البحيرات الاستوائية ، فلا يهمل أن يكون لها مكانة كبيرة من الوجهتين السياسية والاقتصادية

ولا يخفى أن فاشودة هذه هي التي قامت بشأنها تلك الأزمة السياسية المشهورة بين إنجلترا وفرنسا ومصر سنة ١٨٩٨ ، حين احتلتها كتيبة من الحدود الفرنسية بقيادة الكولونيل Marchand . فاحتجبت الحكومة الإنجليزية على هذا الاحتلال ، وارتفعت على أنها من الأراضي المصرية . ثم انتهى النزاع باستباحة الفرنسيين منها وبقائها من أراضي مصر ، وقد اكتسبت شهرة دائمة بسبب هذا النزاع الذي دار حولها .

وقد غير الإنجليز اسمها ، وسماها الآن (كودوك) ، وغيروا اسم مديرية فاشودة ، فجعلوها مديرية (النيل الأعلى) ، وذلك لكي ينجوا من الأدهان لاسم فاشودة وما يثيره من ذكرى

الحلف السياسي الذي قام بشأنها سنة ١٨٩٨ . والذي كانت حجة انجلترا به أن هذا اليد من أملاك مصر فليذكر المصريون على الدوام اسم (فاشودة) . فإنه من الأعلام التاريخية التي تسجل في وجه المعاصرين حق مصر الخالد في السودان

### ضم سواكن ومصروع

فلما في الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية (عصر محمد علي) من ١٩٣ إن سواكن ومصروع دخلتا في حدود السودان المصري على عهد محمد علي ، لأنه إدركى ضرورتها للسودان ، وأنها منفعة على البحر الأحمر ، وخاصة لإقليم التاكا (كسلا) ، استأجرهما من السلطان (وكانتا من أملاك السلطنة العثمانية) مقابل إيجار سنوي قدره ٢٥٠٠٠ جنيه ، وبذلك دخلتا في ظل الحكم المصري .

على أن إسماعيل رأى إلحاقها بصفة نهائية إلى أملاك مصر ، فاستصدر في سنة ١٨٦٥ فرماناً من السلطان بإحالة قائمقامي سواكن ومصروع إلى عهده ، وجعلها فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ الذي تكلمنا عنه (ص ٧٩) من ملحقات مصر ، وصارت كل منها محافظة قائمة بذاتها . فمحافظة سواكن تمتد على البحر الأحمر من رأس علة إلى رأس قنار (واسع الخريطة للمتحقق بهذا القصر) ، ومحافظة مصروع امتدت من رأس قنار حيث تنهى محافظة سواكن إلى حلة (رهيلة) عند بوغاز باب المندب

وقد عبرت مصروع وسواكن في ظل الحكم المصري ، ذلك أن مدينة مصروع كانت قائمة على جزيرة بالبحر ، فوصل بينها وبين اليابسة بحمر طوله ١٨٠٠ متر وعرضه عشرة أمتار ، وتم إنشاؤه سنة ١٨٧٢ ، صيرت المدينة واقعة . وبقي فيها ديوان المحافظة ، وآخر للجبرك ، ومساكن للموظفين ، وشيدت بها قلعة منيعة . وأُنشئت ترعة صغيرة لتوصيل مياه العدة إلى سواكن ، وهذه الترعة تشد الماء من خزان أقيم لجمع مياه الأمطار في سطح جبل قريب من المدينة (١٥)

وظلت المحافظتان مكملاً لمصر إلى شوب الثورة لمهدية ، فلما اضطرت إنجلترا للحدود توفيق

إلى الفرار بإحلاء السودان سنة ١٨٨٨ ، وصار في نظر الدول الاستعمارية مياً مفصلاً ، انشرت إيطاليا هذه الفرصة بتواطئها مع الإنجليز ، واحتلت محافظة مصر سنة ١٨٨٥ ، وما زالت تحتلها إلى اليوم ، ( ١٩٣٢ ) وتسمى هي وملاحقتها مستعمرة ( الأثرية ) أما سواكن فقد جعلت بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ الباطلة محافظة تابعة للحكومة السودان

### فتح إقليم خط الاستواء والوصول إلى منابع النيل

أسلمنا القول أن الحملات والتجاريد المصرية التي قادها البكاشي سليم بك قبضان في عهد محمد علي بلغت جزيرة جونكر لجاء فذكر ( راجع مصر محمد علي ص ١٩٠ ) ، ولكن هذا الفتح لم يكن إلا وقتياً ، بمعنى أنه لم يقرن بوضع حامية عسكرية دائمة في تلك الجهات تترسلطة الحكومة فيها ، فاعتزم إسماعيل أن يسط نفوذ مصر بصفة دائمة في تلك الأصقاع . وما يليها جوفاً حتى منابع النيل ، ولكنه لم يجد حذو جده في أن يعهد بهذه المهمة القومية إلى ضابط الجيش المصري . بل عهد بها إلى جماعة من الإنجليز ، وهذه مواطن ضعف في سياسته أدى إلى عواقب وخيمة سذكرها فيما يلي :

### مهمة السير سمويل بيكر Samuel Baker

فناط بالسير سمويل بيكر الرحالة الإنجليزي المشهور الزحف إلى الجهات الجنوبية لغاية منابع النيل وضمها إلى أملاك مصر .

### رحلته في عهد سعيد باشا

بدأت رحلات السير سمويل بيكر في السودان على عهد سعيد باشا ، فقد قصد من تلقاء نفسه إلى تلك الأقطار ، لاكتشاف منابع النيل الأبيض ، وكان الرحالة ابن سيدي Speke وحرانت Grant قد سبقاه إلى تحقيق هذا الغرض ، عوفين من قبل الجمعية الجغرافية الإنجليزية ، فعادوا بطريق رجبار ، واكتشفا بحيرة ( اكروي ) ومنبع النيل فيها . وكان ذلك في ٢٨ يولييه سنة ١٨٦٢ ، وسماها باسم الملكة فكتوريا ، طلكة انجلترا في ذلك الحين . وصارت تعرف من ذلك الحين باسم بحيرة ( فكتوريا ) .

أما السير بيكر فآثر أن يسلك في اكتشافه طريق الخرطوم ، وصعد جوفاً في النيل فبلغ في ٢ فبراير سنة ١٨٦٣ عندكرو التي وصلت إليها حملات البكاشي سليم بك قبضان في عهد محمد علي سنة ١٨٤٦ ، وأخذ يتأهب لمطالبة سيده ، وإذا بالرحالة ابن سيدي وحرانت قد التقيا به ، وأبلغاه اكتشاف بحيرة فكتوريا ، وأنبا إليه أن هنالك بحيرة أخرى أحيرهما بها الأهلون ، لم يتم اكتشافها بعد ، فطاع سيده حتى اكتشفها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ ، وسماها بحيرة ( ألبرت ) باسم الأمير ألبرت زوج ملكة إنجلترا

ثم عاد إلى عندكرو ، وصار سباً إلى الخرطوم فبقيها في ٣ مايو سنة ١٨٦٥ . وعاد من هناك إلى بريرة فسواكن ، وأقنع إلى إنجلترا ، وقد صحبته امرأته النبية ، في هذه الرحلة الطويلة ، وقاسمته مخاطرها ومتاعها ، وكان لها الفصل الكبير في نجاحه في مهمته التي رغبته إلى مستوى كبار المكتشفين ، ولا غرو فإن اسمه يقرن دائماً باكتشاف بحيرة ألبرت إحدى منابع النيل الكبرى .

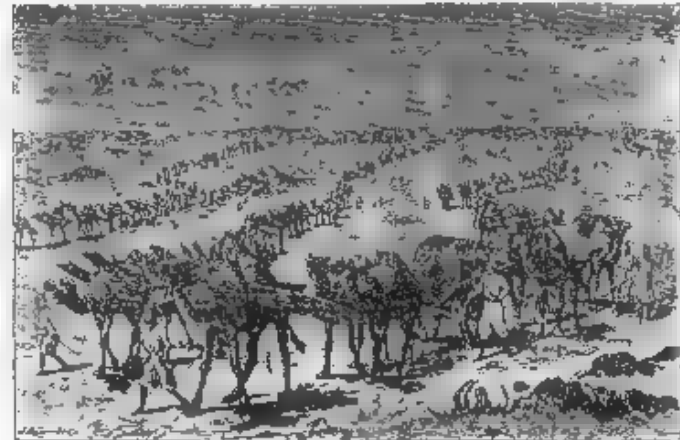
### مهمته في عهد إسماعيل

( ١٨٧١ - ١٨٧٣ )

انقضت خمس سنوات تقريباً على رحلة سمويل بيكر الأولى ، ثم جاء مصر سنة ١٨٦٩ بصاحب الأمير إدوارد وفي عهد انجلترا لحضور حفلات التتاحت قذة السويس . فرغب الأمير إلى الحديو إسماعيل أن يعهد إليه بمطاردة الاتجار بالرقيق في السودان نيابة عن الحكومة المصرية ، فلم يتردد إسماعيل في قبول الطلب ، إذ كان يبغي التودد إلى الحكومة الإنجليزية لم يكن الغرض من هذه المهمة خدمة الإنسانية ، بل كانت الحكومة الإنجليزية ترمي إلى تهديد السيل لتحقيق أطماعها الاستعمارية في وادي النيل ، وبأن ذلك أن حطراً بعد إنفاذ مشروع قناة السويس احطت تنطبع إلى احتلال مصر ، ورمق ملاكها في السودان ، وتعمل على استطلاع أحواله ، والتدخل في شؤنه ، لكي تحلف مصر ومأ ما فيه . . . . . ساهبا لسير سمويل بيكر ثم لكونه مل عرود من بعده ، إلا انهم هذه هذه المستعمرة . . . . . كان الحديو إسماعيل بعد انظر . . . . . ما كان عنه من لدكاه . . . . . حتى أن يسط



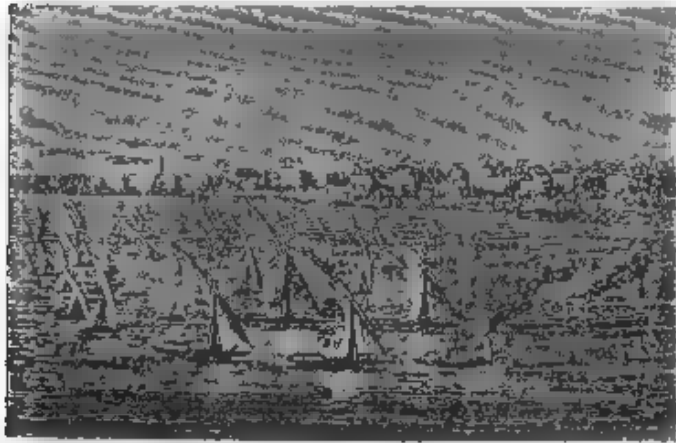
عدد مد في السودان على ندى سكر وعردون وأصرايب ، من دعاه لاسمير لإيجيرى  
 لأن هؤلاء لا يتكلمون أن يخلصوا لمصر ، بل هم يعملون على خلع السياسة الإنجليزية  
 كانت ولا تزال ترمى إلى إقصاء النفوذ المصري عن السودان  
 قبل إسماعيل إبن ما عرضه عليه ول عهد إنجلترا . وأصدر مرسوماً إلى السير صمويل بيكر  
 عهد إليه فيه بسط نفوذ مصر في الأصقاع الكائنة جنوبي الخرطوم ، وتنظيمها ومشر التجارة  
 . ومصادرة لأحد بارمين وإنشاء المحطات الخيرية فيها ، وجعله قائداً لرحلة جردوها هذا  
 بعرض مرممه من ١٧٠٠ مدال ، وأنعم عليه برتبة فريق لصار يعرف بيكر باشا ، وسجله  
 حاكماً على مديرية خط الاستواء لمدة أربع سنوات ، سددى من أول أبريل سنة ١٨٦٩ براتب  
 قدره ١٠,٠٠٠ جنيه في السنة



على جرد الواد . يبينه على ظهور الإبل من مصر إلى السودان في صحراء التوبه أواخر سنة ١٨٦٩ استعداداً  
 لفتح إقليم خط الاستواء

وقد صحبته في هذه الرحلة زوجته النبيلة كما صحبته في رحلته الأولى ، ورافقته في  
 الرحلات الجيدة التي قطعها . وشهدت الوقائع التي عاشها ، فكانت له مع بعض المصادق  
 لأمين . وامتدح بيكر صفاتها في كتابه ( الإسماعيلية ) الذي ألفه لذكر هذه الرحلة ، وأنشاد

ته من اليهود في معاهدة المرحى والمرحى ، وما كانت تطفئ في النفوس من روح صر  
 سخافة والإقدام ، وما أسدته من حس التمييز لنجاح مهمته ، فكانت مضرب الأمثال في  
 تؤديه لزوجه من جنيل الخدمات ، ومشاركتها إياه في المهام الجسام  
 جهزت الحكومة الخديوية معدات الحملة ، وأقرب المسفر معظم مهابتها من القاهرة إلى  
 خرطوم . واقتضى نقلها مناهب جمة ، إذ لم يكن في استطاعة اليانتر اجتياز الشلالات ،  
 منقلت أجزائها معككة على ظهور الإبل في صحراء التوبه ، وكذلك نقلت المهابت الثقيلة هذه  
 جسة ، أما بيكر باشا فقد سار محر من السويس إلى سواكن ومنها إلى بربرة على ظهور الإبل  
 فصنع مسافة بينها في أربعة عشر يوماً ، واستقل من بربرة بدعوة بيليه مع ٣٠ خرطوم



الاسمير . على الدن حرد . خرطوم يوم ٨ يوليو سنة ١٨٧٠ فتح إقليم خط الاستواء وكان مؤلفاً من ثلاثين  
 سفينة شراعية وبانتر

وصل سكر من خرطوم ، في عهد حاكمية بيكر مظهر باشا ، ثم قام منها يوم  
 ٨ فبراير سنة ١٨٧٠ في رحلة نقلها ثلاثون سفينة ياخرتان قاصداً جهات خط الاستواء ،  
 فرسا بالقرب من ملثي مير السوطان بانيل (جنوبي فاشودة) وبني هناك محطة سداد



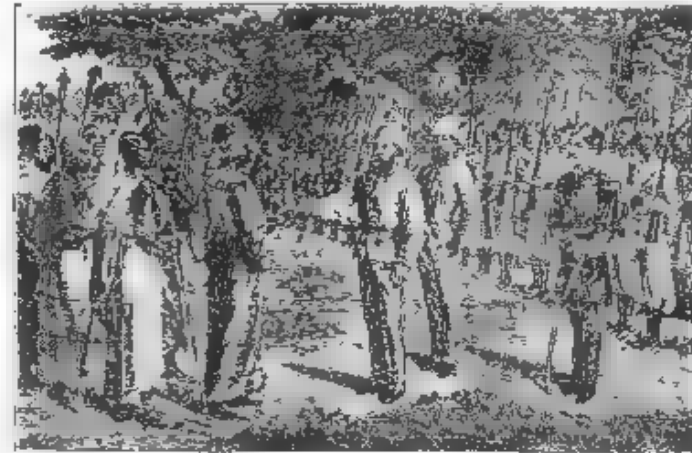
وحصروا في عدة بلاد بأعلى النيل ، منها ( الإبراهيمية ) على بحر الجبل ( عرابيات ) وقد سماها بهذا الاسم تذكراً لإبراهيم باشا أبي الحديوي إسماعيل ، وأنشأ حصوناً أخرى في ( فاتيكو ) ثم في ( هيرة ) الواقعة على نيل فيكوريا

### فتح مملكة أويورو

( سنة ١٨٧٢ - ١٨٧٣ )

وتقدمت الحملة في رحلتها ، فتحت مملكة « أويورو » الواقعة لبحيرة أثريت شرقاً واحتلت عاصمتها « ماسدي » أبريل سنة ١٨٧٢ ، وكان بها ملك يدعى ( كاريقه ) ، فظهر خضوعه لسلطة الحكومة المصرية وأعلن بيكر باشا باسم الحديوي دخول هذه المنطقة في أملاك مصر ( ١٤ مايو سنة ١٨٧٢ ) ، وبقي في ماسدي داراً للحكومة المصرية بالقرب من دار كاريقه ، وشيد حصناً لإقامة الحامية المصرية .

على أن كاريقه ما لبث أن ظهرت خيائته ، فانقض على الحامية المصرية ، وقامت



وعاملاً « ويور » بصاحبه بيكر باشا وحموده لمصرية مصطفة لاستقباله بجياده فقامت  
عبد القادر بك حطى سنة ١٨٧٢

الحرب بينها ، وانتهى القتال بمزيجته وماره  
ثم انسحبت الحامية المصرية من ماسدي إلى شاطئ نيل فيكوريا لتأوى في مكان  
مبين  
وأعلن بيكر باشا خلع الملك كاريقه ، وولى مكانه ملكاً آخر من لأسره لحاكمية يدعى  
( ريونجا ) ، كان يزعم كاريقه على عرش أنيورو منذ وفاة الملك السابق فضل حد  
التصليب بالإخلاص والابتهاج ، وبقي على ولائه لحديوي مصر ، وجرى حملة على كاريقه عليه  
على أمره

### ولاء ملك أوهنة لمصر

وقد ولد على بيكر باشا رسل من الملك ( امنيس ) ملك أرغندة المطورة لمملكة أنيورو ،  
والواقعة شمال بحيرة فيكوريا وغرباً ، وعرضوا إخلاص ملكهم لحديوي مصر ، فأكرم بيكر  
ولادتهم ، وبادل ملكهم الرسائل والهدايا . وبقي ( امنيس ) موالياً لمصر ، وتقم على كاريقه  
خيائته ، وهاجمه من الجيوب جزاء انتقامه ، وعرض لواء امنيس لمصر انتحت الطريق بين  
أعلى النيل وزنجبار على شاطئ المحيط الهندي .

وعاد بيكر إلى الإسماعيلية ( غندكرو ) في أبريل سنة ١٨٧٣ إذ انتهت مدة خدمته ،  
صاحرها ، واستطاع في قيادة الجند وإدارة المديرية وموقف بك أحد ضباط الجيش المصري ،  
ورجع إلى الخرطوم ، ومنها إلى مصر عن طريق سواكن والبحر الأحمر ، وقابل الحديوي بالقاهرة  
( أغسطس سنة ١٨٧٣ ) فأنتم عليه باليشان العالي ، وأسم على القانع مقام عبد القادر بك  
حطى برتبة الميرلاي ، والملازم محمد أفندي برتبة الصاغ مكافأة لهم على خدماتهم في بسط  
سلطة مصر في منطقة خط الاستواء

وقد بلغت نفقات هذه الحملة ٨٠٠ ٠٠٠ جنيه ، تحملتها خزنة مصر في وقت اشتد بها  
الصيق المال فكان هذا المبلغ من تصحيبات مصر في سبيل مشر لواء الحصار والتقدم في ربيع  
السود

والميرلاي عبد القادر بك هو من أركان حرب بيكر باشا ، وهو ضابط كعبه شجاع ، كان  
له فضل كبير في نجاح الحملة ، وقد امتدحه بيكر في مواطن كثيرة . وأنشاد بصماته في كتابه

(الإسماعيلية) ، وأثنى على شجاعته وإخلاصه<sup>(٢١)</sup> ، ونرى رحمه في العجز التي قلناها عن هذا الكتاب

وعبد القادر بك هو الذي صار فيما بعد عبد القادر باشا حاكم السودان سنة ١٨٨٢<sup>(٢٢)</sup> ، وله المؤلفات المشهورة في بلد نمت عن سلطة مصر في السودان ، كما سيحيط بيانه في موضعه

وكان يعاون السير بيكر في مهمته جعفر مظهر باشا حاكم السودان حينذاك ، (لماية سنة ١٨٧١) ، حل أن جعفر باشا رأى بشاغب نظره أن إسعاد هذه المهمة إلى أجسي خطراً على مصالح مصر ، وكتب بذلك تقريراً أرسله إلى احدثو إسماعيل بسببه فيه إلى ذلك الخطر ، وأشار بإسعاد هذه المهمة إلى ضباط أركان الحرب من الجيش المصري ، ولكن إسماعيل لم يلتفت إلى هذا الرأي الحكيم ، ولم يميل به ، واستمر يحسن الظن برواد الاستعمار

### تعيين الكولونل فردون (بانا) مديراً لخط الاستواء

(١٨٧٤ - ١٨٧٦)

لم يكفد يمضي قليل من الزمن على انتهاء خدمة السير صمويل بيكر ، وخطو منصب مدير خط الاستواء ، حتى خطفه الإنجليزي آخر ، وهو الكولونل فردون الذي صار فيما بعد (فردون باشا)

ومن الغرابة بمكان أن يعاقب على هذا المنصب الخطير الإنجليزيان لما مقام معلوم في نظر الجمهور البريطاني والحكومة الإنجليزية ، ولم يكن ذلك من قبيل المصادفات ، بل إن أصبح السباسة الإنجليزية كان لما دخل في هذا التعيين فكما أن الحكومة الإنجليزية هي التي أوعزت إلى احدثو إسماعيل بوساطة ولي عهد إنجلترا أن يستند هذا المنصب إلى السير بيكر - فإنها هي أيضاً التي سمحت له في إسناده إلى الكولونل فردون سنة ١٨٧٤

فالسباسة الإنجليزية كانت تعد خطتها من تفهيد للتدخل في شئون السودان ، وحينئذ بداهة دى بده منطق خط الاستواء ، لأنها المنطة التي حملتها المرحلة الأولى لبرنامجها

(٢١) الإسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ٩٨ و ٩٩

(٢٢) كركشي المركز الدول لمصر السودان ص ٢٦٦



صمويل بيكر باشا مدير خط الاستواء في عهد إسماعيل وسوك أركان حربه وهم القائمقام عبد القادر حاكم السودان و هيجنبورث Higgelborth . م الملازم بيكر

مضاعف من مبادئ السود من جهة الحبوب - كما أنها مصدر حياة مصر  
ومن من صدقات أن يقع اختيارها على الكولونيل غردون بالذات - فإنه الرجل الذي  
كان قلبه يفيض وطنية وإحلاماً لبلاد ، فلا جرم أن يبذل كل ما لديه من تصحية في سبيل  
التوسع البريطاني ، وقد دلت خاتمة الميزة على أنه كان أكبر ضحية لقدمتها بحسب تصحع يدها  
على السودان بعد شيوع الثورة المهدية

ويدت على تدخل السياسة الإنجليزية في تعيينها أقمت الحديري بأن يعمل له من السلطة أكثر مما كان للسير صمويل بيكر باشا ، فقد كان هذا خاصاً بحكماد عموم السودان ، لكن غردون عين حاكماً لإقليم خط الاستواء ، على أن يكون مستقلاً في عمله ، وقصر الحديري سلطة حكماد السودان على الجزء الشمالي لغاية فاشودة ، وجعل الأقاليم الاستوائية التي تمتد من صوبي فاشودة<sup>(٢٧)</sup> إلى خط الاستواء تحت سلطة غردون ، وفي هذا من إملاق يده في الجزء الجنوبي من السودان وإصناف سلطة احكامهم العام المصري ما لا ينبغي عن القابل ، كل هذا يسمى السياسة الإنجليزية وتديرها

جاء الكولونيل فردون إلى مصر سنة ١٨٧٤ ، وقابل الخديوي وكلفه الرحلة إلى السودان لتولى منصبه فيها ، وكان حاكم السودان وقتئذ (إسماعيل باشا أيوب) ، فأرسل له الخديوي أوامره في هذا الصدد ، وأمره بتتبعها والمحاورة بفردون عند قدومه ، وإيجابته إلى كل ما يطلبه ، فأظهر للعمل بهذه الأوامر على ما فيها من غشامة .

وأنتم الخديو على الكونينيل غردون سنة ١٨٧٥ بركة العريق ، فصار يعرف بغردون باشا ، وصارت رقبته العسكرية مساوية لرتبة حاكم السودان ، مع أن منصبه الرسمي لم يؤد عن كونه ( مدير حط الاستواء )

توسيع نطاق الحكم المصري في مديرية عوطة الاستواء

مضى اليك من غردون إلى السودان على طريق البحر الأحمر وسواكس ، ونايلع الخرطوم  
عند حمارة . حسن من صحابة في مقر معقلته ، فمحرركم لثمنه حراً على ظهر

(۱۳۳) و موضع حدود قلعه بنابرین فاشور و وسطه لامشراه و بگویند غریب باشد: حجاب حد آسمان باشد

١ - حر لخصته وصحبه من الخرطوم ابراهيم اهدى هوى ، أحمد صا ط حشر مصرى  
 لى صدرها بعد اللوا ابراهيم باشا هوى - وشهد وقائع السودان من سنة ٨٧٤ هـ وشوب  
 ٢ - مهدي - وشهد معظم وقائع الثورة إلى سقوط الخرطوم ومقتل عردون سنة ١٨٨٥ هـ ،  
 وحضر سترجاع السودان سنة ١٨٩٨ هـ وله في ذلك كله كتبه المشهور ( السودان بين يلى  
 عردون وكتشرفه )

وصلت الحملة إلى غاشوة ، بعد مسيرة أيام في التّـ ، فاستقبلها مديرها بالحفاوة  
اللائقة ، وشهد مردود وإبراهيم أفندي غوري ، « ما وصلت إليه البلاد وقتل من الأتراك  
والتقدم والحضرة بمنابة الحكومة » (١٤) .

وتأملت الحلة سريها حتى وصلت إلى محطة سويط ، وهي البكائنة على ملتقى ممر سويط  
بالبلد ، ثم مارست جنوباً حتى بلغت الإسماعيلية ( غندكرو ) حيث يقم رموف بك ، لدى  
استخفافه السير صوبيل بيكر الى الحكم وقبده احمد بخديرية خط الاستواء ، فقابل عردون  
بالخفاوة والتكريم ، وأطلعه على أحوال البلاد وشؤونها ، وقد أبقاه عردون قليلا ، ثم ما لبث  
أن أقامه من عمله وأمره بالعودة إلى مصر .

وقد رأى فردون أن منح الإسماعيلية ليس صحيحاً ، فغفل مركز الحكيمية إلى (اللاهو) ،  
فصارت من ذلك العهد عاصمة مديرية نخل الاستواء .

وبعد أن نولى شؤون الحكومة في تلك الجهات تابع السير جنوباً حتى بلغ بحيرة ( ألبرت ) ، واستولى على عشرة عراكب من سفن الأهلين ، استخدمها لاكتشاف شواطئ البحيرة ، واستقدم من الخرطوم العدد الكافي من اليوتكر النيلية ومن آلات الترسنة المصرية بالخرطوم وعالها ، وأشأ بالدقلاى شمال بحيرة ألبرت ( ترسانة ) لتنظيم الملاحة في أعالي النيل وفي البحيرة . واستطاع عال الترسانة أن يهكوا أجزاء بعض اليواخر ، ويُرْكبوها ثانية في البحيرة . ولتم تركيب أول باخرة ، استغلها الكولونيل غردون باشا وحاشيته وإبراهيم وري ( باشا ) ، فاروا بها في خليج البحيرة ، مكات معه أول مرة وأنت فيها بحيرة ألبرت السعى للبحارية ، وقد كان منظر الباهرة موضع دهشة الأهلين ، قال إبراهيم وري ( باشا ) في هذا الصدد

« كان الأهل يفترون على شواطئ البحيرة كلما اقتربوا منها صوتاً عجيباً مسميئاً من وربة الزبور. إذ لم يكنوا قد رأوا السم البحارية من قبل ، وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا

(TL) السر دالہ ہیں یہی مردوں کنٹرول ج ۱ ص ۵

سجده وحروب في كتفه نقله مع جماعته إلى البحيرة.

وهكذا كان الفتح المصري يحمل معه أسباب الحضارة والعمارة

وقد أنشأ الكولونيل غردون باش عدة نقاط عسكرية حصينة على شاطئ النيل ، وحصن النقاط

بأنشائها بيكر باشا من قبل ، لها أنشأ نقطة (سواط) على ملتقى ميرسواط .

و (النصر) على ميرسواط ، و (شاميه) و (بور) و (البلاد) و (لابوري) و (مرحاف)

و (الدفلاي) على النيل الأبيض (عمر اسيل) . و (مكركة) جنوب عمر الفراء

و (مروى) على نيل فيكتوريا ، و (مقافو) الواقعة على مصب نيل فيكتوريا في بحيرة ألبرت

(نظر مواقع هذه البلاد على الخريطة الملاحقة بهذا الفصل من ١٢٥)

وقد تلقى اخود المصريون في هذه الحملات البعثة الطاعية لمصبه لبعث المسافات وصعوبة

المواصلات ورداءة الطقس ، وكانت الأمطار تهطل عليهم ليل مراكناؤاة القرب ، واستسلموا

للمخاطر والمذبات الحمة ، واحتلوا كل هذا الماء بصبر وثبات وشجاعة تسجل لهم في

أنصع صفحات تاريخنا القومى .

### بسط حامية مصر على ملكة أوغنده

(سنة ١٨٧٤)

بسطت مصر حمايتها على ملكة أوغنده سنة ١٨٧٤ ، حل به الكولونيل شاي لويج بك

Chaille Long bay ، وهو ضابط أمريكي ، دخل في خدمة الجيش المصري سنة

١٨٧٠ ، وعين سنة ١٨٧٤ رئيساً لأركان حرب غردون باشا حين ولايته على مديرية خط

الاستواء ، وأنطلق التية لمصر ، وخدمها بتراحة وأمانة أثناء مقامه في السودان ، ودافع بعد

ذلك بقلمه ولسانه عن حقوق مصر الخالدة في كتب قيمة ، تعد من أهم المراجع في تاريخ

السودان الحديث ، منها : كتاب (مصر ومديرياتها المفقودة) ، و (الأنبياء الثلاثة غردون

والهندي وحران) ، و (أفريقية الوسطى) ، هذا ما نشره في الحملات الكبرى دفاعاً عن مصر

واستكثاراً لمطامع الإنجليز في وادي النيل

ذكر شاي لويج بك في كتابه (مصر ومديرياتها المفقودة) أنه هو الذي انقذه غردون إلى

عاصمة الملك (امبسي) ملك أوغنده ، وأنه أدى مهمته ، ووصل إلى عاصمة أوغنده .



خريطة ملونة يده عبد الأمير وأسطح الخريطة على طريق القرون ثالثة - -  
أرضه حيث عقد مع ملكها سنة ١٨٧٤ للمساعدة على إحصاءات حامية مصر على ملكه

وعقد مع ملكها سنة ١٨٧٤ ، معاهدة مختصصا قبل وضع مملكته تحت حوزة مصر ، وقد رس ساعده إلى الحديدي إسماعيل ، وهذا أبلغ الدول أن مصر ضمت إليها جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت <sup>(٢٦)</sup> ، وقال ( ص ٢٥ ) إن هذه المعاهدة أودعت بمحفوظات وزارة الخارجية ، ولكنها فقدت بعد ذلك ، وذكر أن أحد ضباط الجيش البريطاني أحرقها ( بعد الاحتلال ) ضمن وثائق أخرى حية .

وقال في موضع ( آخر ص ٢٦ ) إنه لما وصلت البعثة الإنجليزية إلى أوغنده في أبريل سنة ١٨٧٥ وجدت عاشية الملك امينسي ، أوست ليناى دى بلغون ( ابن ليناى باشا ) الذى أرسله عردون بعد معاهدة الحامية مندوبا عن الحكومة المصرية في بلاط الملك <sup>(٢٧)</sup> ، وذكر أن خود مصر قد امتد إلى كل الأصقاع التى تحيط ببصرة فيكتوريا ، وخاصة مملكة أوغنده ، وإن الملك امينسي كان يفخر بشعبته لسلطان مصر <sup>(٢٨)</sup>

### مذكرة شريف باشا إلى الدول عن امتلاك مصر منطقة البحيرات

وأورد في كتابه ( ص ٢٦ ) المذكرة التى أرسلها شريف باشا ( الوزير المشهور ) وزير خارجية مصر في ذلك الحين إلى الدول خاصة بضم منطقة البحيرات إلى مصر ، وخلاصتها أن عردون استولى على منطقة ( مروى ) الواقعة على نهر سومرست <sup>(٢٩)</sup> ، وأن الجيود المصرية أسسوا محطة في ( ماسندى ) عاصمة مملكة (أوبورو) ومحطة أخرى في (أورندجانى) على نهر السومرست ، بالقرب من بحيرة فيكتوريا ، وأخرى على بحيرة فيكتوريا ذاتها بالقرب من شلالات ( ريبون <sup>(٣٠)</sup> ) ، وأخرى في كل من ( مانتفرو ) و ( الدفلاى ) ، على ذلك بسطت

(٢٦) مصر ومدينتها المنقرضة ص ١٢ لكونرول شامى لويج بلد

L'Egypte et ses Provinces Perdues par Charile Long bey

(٢٧) وقد قل في عوده عن أوغنده إلى الرجاء في أغسطس سنة ١٨٧٥

خريطة طريق خط الاستواء والنقط المخطوط بمثل الطريق الذى سلكه الكونرول شامى لويج بك في سيره إلى أوغنده حيث عقد مع ملكها سنة ١٨٧٤ المعاهدة التى قبل مختصصا حياه حيز مملكته

(٢٨) مصر ومدينتها المنقرضة لكونرول شامى لويج بك ص ٢٤

(٢٩) من الاسم الذى أطلقه الرحالة لسيث على النيل بين منبعه من بحيرة فيكتوريا إلى منبعه في بحيرة ألبرت ، ويسمى أيضا نيل فيكتوريا

(٣٠) حيث يجرع النيل من بحيرة فيكتوريا

مصر مملكتها على جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت ، وسنشر عن هذه المذكورة في مصر بوثائق التاريخيه

ونشرت ( دوى مصرية ) بيان لآى عن أوغنده ، ورد تلغراف في اذنية اسبعية من ساعده عردون . - في ٢ أغسطس سنة ١٨٧٦ يتضمن أن الملك امينسي طلب من حاكم لأحس إمام في مصر حكومه ، فأرسلت إليه مائة وخمسين عسكرياً ، ورئت ثلاثين عسكرياً في بلدة ( أورندجانى ) ومثلها في بلدة ( بكشنة ) . فكانت تلك الحوادث وسخالة هذه في حوزة حكومه مصر ، وقد وصفت إلى ( مانتفرو ) في ٢٧ جادى لثانية ( سنة ١٢٩٢ ) بعد سفر سعه ٢٠ من ( روملى ) ، والبحر هناك <sup>(٣١)</sup> جيد صالح لير السفن فيه بسهولة ، وشهوطة معموره بكثرة الناس فيه ، وأراضيه صالحة للزراعة .

« وبعد ثلاثة أيام توجه إلى ( مروى ) و ( أورندجانى ) و ( امينسي ) عاصمة أوغنده ، وبمكنا الوصول إلى سائر تلك الجهات غاية الراحة التامة والسهولة » <sup>(٣٢)</sup> .

هذا ما ذكره « الوقائع المصرية » ، ومى الجريدة الرسمية للحكومة ، وفيها تأييد للحقائق التى أوردتها شامى لويج بك ، ومن كل ذلك يتبين انضمام أوغنده ومنطقة البحيرات إلى مصر في عهد الحديدي إسماعيل .

### موقف عردون

ذكر عردون في رسالته إلى أخيه أن شامى لويج بك ، أرسل إلى الحديدي إسماعيل تقريراً امتلح فيه ولاء امينسي ، فقال رضاه الحديدي وأرسل إلى لويج بك عريه جميلة هدبه للملك <sup>(٣٣)</sup>

وظاهر من حجة عردون في رسالته إلى أخيه أنه لم يكن مرتاحاً إلى إحكام مصر روابطها بأوغنده ، وسكها . فقد ذكر <sup>(٣٤)</sup> أن الملك امينسي أقسم بمين أولاده لمصر في مارس سنة ١٨٧٦ ،

١٢٧

٣١ ، وقد . حده عدد ٦٧٤ نصار في ٢٤ نيسان سنة ١٢٩٢ . مصر ص ١٨٧٦

(٣٢) - كده من عردون في حده ص ١٤٢

٣٣ - كده من عردون في حده ص ٦٦

وأنه ( أي غردون ) كان يعني بقاء ملك أوغنده مستقلاً ، ولكنه هو الذي دعا الخاتبة المصرية التي كان غردون مترماً جعلها في (أورندجان) إلى الاستقرار في عاصمة أوغنده (دوباجا) <sup>(٣٦)</sup> ، وقد استقرت بها فعلاً في أغسطس سنة ١٨٧٦ <sup>(٣٧)</sup> .

وعنى عن البيان أن غردون لم يكن يعني من استقلال أوغنده دفناً من مصلحتها . بل كان ما ينبغي أن تكون بعيدة عن التبعية المصرية ، حتى تصبح بعد قسمة ساقطة لاجلتر . وقد سبب فعلاً حيايب عنها بعد فصل السودان ، وهكذا يتبين لك أن غردون ، يكن حص لنية لمصر مثل شالي لويج بك ، بل كان يخدم السياسة الإنجليزية أثناء تقلده منصب الحكم في مديرية حد لاسواء . وكذلك عند ولايته حاكماً عاماً للسودان سنة ١٨٧٧ كما سحى .

### اكتشاف بحيرة (إبراهيم)

( سنة ١٨٧٤ )

اكتشف الكولونيل شالي بك لويج ، سنة ١٨٧٤ ، بحيرة (إبراهيم) إحدى البحيرات التي ينبع منها النيل ، وهي الواقعة شمال بحيرة فيكتوريا ، وقد سماها بحيرة (إبراهيم) باسم إبراهيم باشا أبي الخديو إسماعيل ، وكانت تسمى من قبل بحيرة (كيوجا) ، وقد غلب عليهم الاسم الأصلي في مصورات الجغرافيه (الأطالس) الحديثة وكتبها ، لأن معظم الجغرافيين من الأفرح نابون أن يطلقوا اسماً عربياً مصرّاً على منابع النيل ، أما البحيرات الأخرى فسموها عليها أسماء أوروبية وسموها بحيرة (فيكتوريا) وبحيرة (ألبرت) ، وبحيرة (جورج) وبحيرة (إدوارد) ، أما بحيرة (إبراهيم) فـ ٢٠٥ يروق فهم تسميتها بمثل هذا الاسم المصري فيكون اسمها القديم (كيوجا) ، وهذا لعمري ليس من الحق ولا من الإنصاف في شيء .

ومن واجب مهندس مصر وأسادة الجغرافيا والتاريخ أن يعمروا عن هذه البحيرة باسم (بحيرة إبراهيم) وينحدوه علماً لما في مباحثهم ودروسهم ومؤلفاتهم وأطالسهم حتى يرسخ هذا الاسم في أذهان البشر والمشهور ، وفي وثائق الحكومة وخرائطها ، ويذبح بين الناس في

(٣٦) وتسمى أيضاً اميس على اسم الملك

(٣٧) سائل غردون . راجعه من ١٧٦

مصر وشي في أور . كما دعب اسمه بحيرة (مكورو) وما يليه و . ثم عدده (برهم) حتى بالإدعاء من لأعلام (الخيرة) التي أصب على حذرت (اسوته الأخرى) . فإن اكتشاف هذه البحيرة تم على يد صايط من صباط الجيش المصري . باسم مصر - ولجسات مصر . في عهد إسماعيل بن إبراهيم . وبجوده رعايته ، ومكشفتها قد انتشر لها هذا الاسم تحقيقاً لرغبة الخديو إسماعيل ذاته ، فواجب الوفاء والمطلق يقضى باحترام هذه التسمية واتباعها (انظر الخريطة من ١٢٥)

وقد ذكرها العلامة جورج شونفرت Schweinfurth في خريطة التي وضعها بيان خط سير أرنت ليان دي نظون من الرحايف إلى بحيرة فيكتوريا سنة ١٨٧٥ ، وسماها باسمها صحيح (بحيرة إبراهيم) . وكتب بجانبها العبارة الآتية (اكتشفها لويج بك في أغسطس سنة ١٨٧٤) ، وتجد هذه الخريطة ملحقة بالعدد الأول من السنة الأولى مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية (نوفمبر سنة ١٨٧٥ - فبراير سنة ١٨٧٦) ، وسماها غردون في خريطة (بحيرة كيوجا أو بحيرة إبراهيم) ، وهي تشمل كيوجا وبحيرة كوانيا المتصلة بها .

وللكولونيل شالي لويج بك رسالة مسهية في مجلة الجمعية الجغرافية (مجموعة ٣ عدد ٧ سبتمبر سنة ١٨٩١ من ٥٤٠) اعترض فيها على إفعال اسم بحيرة إبراهيم ، وذكر وثائق عامة عن اكتشافه وحدماته لمصر في مديرية خط الاستواء

وفي الحق أن الكولونيل شالي لويج بك يجب أن يقدر اسمه باسمه . مكتشياً منابع النيل ، فالرحالتان (اميك) و (جرات) اكتشافاً بحيرة فيكتوريا و منبع النيل منها ، والير (صمويل بيكر) اكتشاف بحيرة ألبرت ، و (شالي لويج بك) اكتشاف بحيرة إبراهيم ، وعمرى النيل من أورندجان إلى مرون ثم إلى غوريه

وقد ذكر في كتابه « مصر ومدرياتها المفردة » من ١٤٨ أنه بعد أن اكتشف بحيرة (إبراهيم) قصد إلى (ماندى) عاصمه (أوبورو) ، فألقى ملكها القديم (كاريفه) يناصب الحكومة المنداء . وأن كاريفه هذا هاجمه في قرية من ٦٠٠ مقاتل . فانسحب لويج بك إلى (غوريه) الواقعة على يمين فيكتوريا

وذكر غردون باشا <sup>(٣٨)</sup> أن كاريفه أحس (ماندى) في يناير سنة ١٨٧٦ وأن المواصلات

أعيدت إلى هذه العاصمة

(٣٨) في رسالة إلى امته من ١٦٥ - ١٧٦



### استعفاء غردون من منصبه

( سنة ١٨٧٦ )

يقى الكولونيل غردون مديراً لعموم خط الاستواء إلى أن استعفى من منصبه سنة ١٨٧٦ ، وعاد إلى القاهرة . وسما إلى إنجلترا ، ولعله رحل إليها ليطالع حكومته على أحوال المنطقة التي تولى حكمها ، وليطعن تمليلاتها الجديدة فيما تأمره به ، لأنه لم يلبث في إنجلترا ثلاث سنوات إلا قليلاً ، حتى تدخلت الحكومة الإنجليزية لدى الخديو لتعيينه في منصب أكبر من منصبه القديم ، إذ جعله حاكمًا عموم السودان . فصارت أقاليم السودان تحت مطلق سلطته كما سيجيء بيانه

### مدير مديرية خط الاستواء

عندما خادر غردون باشا منصبه الأول سنة ١٨٧٦ استخلفه ن خط الاستواء وكيله الكولونيل « بروت » Prout ، وهو ضابط أمريكي التحق بخدمة الجيش المصري وخدم تحت لواء غردون ، وفي عهد حاكمية غردون باشا للسودان جعل إبراهيم بك قورى مديراً لخط الاستواء ، ثم فصله وعين مكانه الدكتور إدوار شنتزر Edward Schntzer وهو طبيب ألماني صاحب غردون في السودان واعتنق الإسلام ، وعرف بأمين بك ، وأخلص لمصر ، فبقى بقوى الحكم في خط الاستواء إلى شوب الثورة المهدية ، ولم تستطع قوات المهدي أن تستول على هذه المديرية وظل أمين بك يحكمها باسم الحكومة الخديوية ، وسجل عاصمتها من الملاذو إلى ودلاى جوباً ليكون بعيداً عن غزوات المهديين ، وبقى في مركزه حتى اضطرت الحكومة المصرية بضغط الإنجليز إلى إخلاء السودان ، وأنتم عليه الخديو توفيق بركة الباشوية جزاء إخلاصه لمصر ، فصار يعرف بأمين باشا ، وأرسل إليه حيدر باشا رئيس مجلس الوزراء وقتئذ يعلمه قرار الإخلاء عن السودان وتركه وشأنه ، فأثر إلقاءه في منصبه ، فخلصاً لمصر وحكومتها ، مستنداً على ولاء الصفاط والجنود المصريين والسودانيين الذين تحت إمته ، ولكن الإنجليز أبوا عليهم البقاء ، فأرسلوا الرحالة استانلى محمداً « إنقاذ أمين باشا » . والواقع لإجلائه عن مديرية

خط الاستواء وانقصاء على سلطة مصر فيها . فاصبره استانلى سنة ١٨٨٩ إلى إخلاء عنها ، وبانتصاحت أمر . من مديرية خط الاستواء تقلص ظل السلطة المصرية عن هذا الإقليم ، وانتهرت إنجلترا فرصة « حشلت أوعندة وجعلتها تحت حاجتها » ( سنة ١٨٩٣ ) وأخذت بها الحركة الحزبية من مديرية خط الاستواء .

ولما تم استرجاع السودان ١٨٩٨ أكرحت مصر على توقيع اتفاقية سنة ١٨٩٩ الملاحظة التي جعلت إدارة السودان مشتركة بين مصر وإنجلترا ، وعدلت حدوده طبقاً لأهواء الإنجليز . فبعد أن كانت حدود السودان المصرية تنهى عند بحيرة نيكتوريا صارت بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ تنهى عند ( ميجلا ) شمال غندكرو ، والآن تنهى عند ( نيوبل ) - الإبراهيمية - وبذلك اختصبت إنجلترا معظم مديرية خط الاستواء القديم ، وغسرت مصر تلك المديرية الشاسعة بعد أن بذلت في سبيل فتحها وتعميرها ما بذلت من الجهود والأموال ، والفضحايا والرجال

### منع الاتجار بالرقيق

كان الاتجار بالرقيق مبرحاً من عهد محمد علي ، ولكن هذا المنع لم يكن إلا اسمياً ، وبقيت تجارة الرقيق في السودان قائمة إلى عهد سعيد باشا ، يعين الحكومة ويصرها ، وبنايد موظفيها ، وكان يتولاهما تجار أترياء لهم بيوت تجارية كبيرة تنجر في حاصلات السودان وفي الرقيق ، وتربح من كل ذلك الأرباح الطائلة ، وكان تجار الرقيق لما هم من التمرد والسطوة والمال يقيمون في مختلف الجهات معاقلة حصنة اتخذوها مراكز للتجارة واصطياد الرقيق . فلما نبأ إسماعيل عرش مصر اعزم أن ينضم إلى حركة العاملين على تحرير الأرقاء في أنحاء العالم ، وأن يكسب ثناء الإنسابة في مقاومة تجارة الرقيق ، وبذل جهوداً كبيرة في هذا السيل

في سنة ١٨٦٣ أرسل إلى موسى باشا حمدي حاكم السودان وقتئذ يأمره بتعقب تجار الرقيق وحربهم . فصدع الحاكم بالأمر وصبط سبعين سفينة مشحونة بالأرقاء بين « كاكاه » و « فاشوده » وأطلق سراحهم . وأعادهم إلى بلادهم ، واعتقل لشجار الذين حاربهم . ولم يرجع عنهم إلا بعد أن أعطوه اليهود ولوائقي ألا يعودوا إلى النحاسة وكان لاحتلال فاشوده سنة ١٨٦٥ أثر كبير في سد طريق البيل في وجه تجار الرقيق الذين

٤٠٠٠ بقصور الأرقاء في جهات بحر نهر وخط الاستواء ويشتملهم في السر وأصدر  
إسماعيل أمره بتحرير كل عبد أو جارية يثبت على سيدهما أنه أمه معاملتها  
وفي عهد حكامة جعفر مظهر باشا وإسماعيل أيوب باشا بذلت الحكومة جهوداً موفقة  
في محاربة عماره رقيق ، وقد عهد الخديوي أيضاً إلى السيد سمبول بذكر ثم إلى غردون باشا من  
بعده العمل على تحقيق هذه النعمة كما تقدم بان ذلك تفصيلاً

في الحق أن الخديوي إسماعيل قام بعمل عظيم ، وأسدى إلى الإنسانية خدمة جليلة في منع  
مدح التجارة المسقوتة

لكن من الحق أن نقول أيضاً أن عمده كان في حاجة إلى شيء من الحكمة والبرية فإن  
تجارة الرقيق كان يقوم بها أناس أتوا في السودان ، لهم من أعيان البلاد أنصار وتآلف معهم  
طبقه كبيرة من الأهليين .

كانت هذه التجارة مصدر ثروتهم ، فصلا عن أن الأيدي العاملة في الزراعة ورعى الماشية  
وغير ذلك كان معظمها من الرقيق ، وقد ألفت أعيان السودان والطبقة المتوسطة من أهله  
استخدام الأرقاء كأتباع لهم وموالي ، وظلموا حياتهم على هذا الأساس ، فعلمت الحكومة  
بتحرير الأرقاء دفعة واحدة كانت مجازلة لا تحسد حوائها ، هذا إلى أن الخديوي قد جعل على  
رئاسة مقاومة الاتجار بالرقيق جماعة من الأجانب ، فاستثار وجودهم عواطف الأهليين الدينية .  
وكرهتهم للحكومة ، فاجتمعت هذه العوامل وكانت من أسباب قيام الثورة المهدية .  
فالأمر إذاً كان في حاجة إلى التأمل والحكمة ، اعتبر ذلك في أن الحكومة الإنجليزية حينها  
قررت إبطال الرقيق في أملاكها خصصت عدة ملايين من الجنيئات لتعويض موالى الأرقاء  
المهددين

فكان من الواجب على إسماعيل باشا أن يأخذ في مشروعه بالمواد وبعد النظر ، وحسن  
السياسة ، لكنه لم يفعل ، واعتزم مقاومة تجارة الرقيق ومنع الاسترقاق فحسب فاستهافت  
الحكومة لعداء طبقة كبيرة من أعيان السودان وتجارها ، مما ظهر أثره في نجاح دعوة المهدي  
وأائل عهد نوري باشا إذ انضم إلى الثورة تجار الرقيق في السودان

وفي هذا الصدد يقول المسيو « داريل » Daryl في مقدمة « رسائل غردون إلى أخته »  
ما يأتي : « عهد الخديوي إسماعيل إلى الكونت غردون مطاردة تجار الرقيق في السودان ، ولكن  
المجهودات السنية التي بذلها ذلك الصابط الإنجليزي لم يكن لها من نتيجة عملية سوى إثارة

الطبقة التي كانت مصر تعتمد عليها في السود .

وقد أبرم إسماعيل في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ معاهدة مع الحكومة الإنجليزية<sup>(٣٧)</sup> للتعاون  
على منع الاتجار برقيق . حيث نصت بنودها على تسليم الإنجليز من الاتيين عن سيادة مصر  
ومصالحها . إذ أباح لهم الرقابة على السفن الحاملة براءة للمصرية وتفتيشها وبسطها بمحطة  
بساطها بخارج رقيق فكانت معاهدة لا خير فيها . ولا ظننه منها نضر

### ظهور الزبير باشا رحمت<sup>(٣٨)</sup>

كان الزبير أكبر تجار السودان ، وخاصة في تجارة الرقيق ، وله نفوذ واسع وسلطان كبير في  
إقليم بحر النهر .

وقد ثبت حرب بينه وبين أحمد ملوك بحر النهر انتهت بيزيعة هذا الملك . فامتلك الزبير  
بلادها ، واتخذ عاصمته مقراً له ، وسمّاها ( ديم الزبير ) ، فصار فيها ملكاً ، ودانت له جهات  
بحر النهر ، وتقارط الناس إليه للانتظام في خدمته ، فجمع لنفسه جيشاً قوياً لتأييد سلطته ،  
واقتران الرقيق ، وفتح طريق التجارة من بحر النهر إلى كردفان

وفي سنة ١٨٩٩ جاء بحر النهر رجل يدعى ( البلال ) قادماً من الخرطوم ومعه نفر من  
الحد لاحتلال هذا الإقليم باسم الحكومة الحديوية ، ومعه فرسان بتسميته مديراً لبحر النهر ،  
ولكن الزبير جمع جيشه ، وكس أتباعه للبلال فقتلوا ، ثم غشى الزبير عاقبة عدائه الحكومة  
المصرية ، ففتح إلى مسلحها ، وأظهر ولائه لها وعترف بسلطة الحديوي

واتسع سلطانه ، ففتح بلاد ( شكا ) الواقعة بين بحر النهر ودارفور . ووضع بين يدي  
الحكومة الحديوية الأقاليم التي دانت له لتنصب لها الحكام . وجعل تقدمته لها دليلاً على  
ولائه . وقد أخلص عملاً مصر وبقي على ولائه طول حياته

(٣٧) مجموعة لمعاملات دي مارياس سلسلة جديدة ج ١ ص ١٥٩

De Mariens Nouv Recueil gen des Traites 1 p. 493

ولمجد نصها الرقي في قانس جلد ٢ ص ٢٢٨ طبع سنة ١٩٠١

(٣٨) اصطفاها ما ذكرناه من الزبير من رغبة حياته بقلعه الشير في كلاب السودان لنحوه بعد شطرح ج ١ ص ١٧

وما ذكره يراحم باشا في كتابه ج ١ ص ١٣٦

شكره الخديو على إخلاصه ، وأنتم عليه بركة بك ، وعهد إليه بحكم البلاد التي فتحها  
 دسم الحكومة الخديوية ، وهي بحر القزال وشكا قصار مديراً لبحر القزال ، وجعلت مدينة  
 شكا عاصمة للمديرية

### فتح سلطنة دارفور

( سنة ١٨٧٤ )

رغب الزبير باشا إلى حاكم السودان إسماعيل باشا أيوب ، فتح دارفور ، وكانت إلى  
 ذلك العصر ملكة مستقلة ، ولما أرسلها القرمات الصادقة محمد علي حسن أملاك مصر  
 ( انظر عصر محمد علي ص ٣٤٧ ) إلا أنها بقيت مستقلة فعلا عن الدولة المصرية إلى ذلك  
 الحين ، وكان عليها ملك يسمى السلطان إبراهيم بنو الزبير ويحمل على إيجلاء عن « شكا »  
 فأيدت الحكومة مشروع الزبير ، وعهد الخديو إلى إسماعيل باشا أيوب فتح دارفور بمشاركة مع  
 الزبير بك .

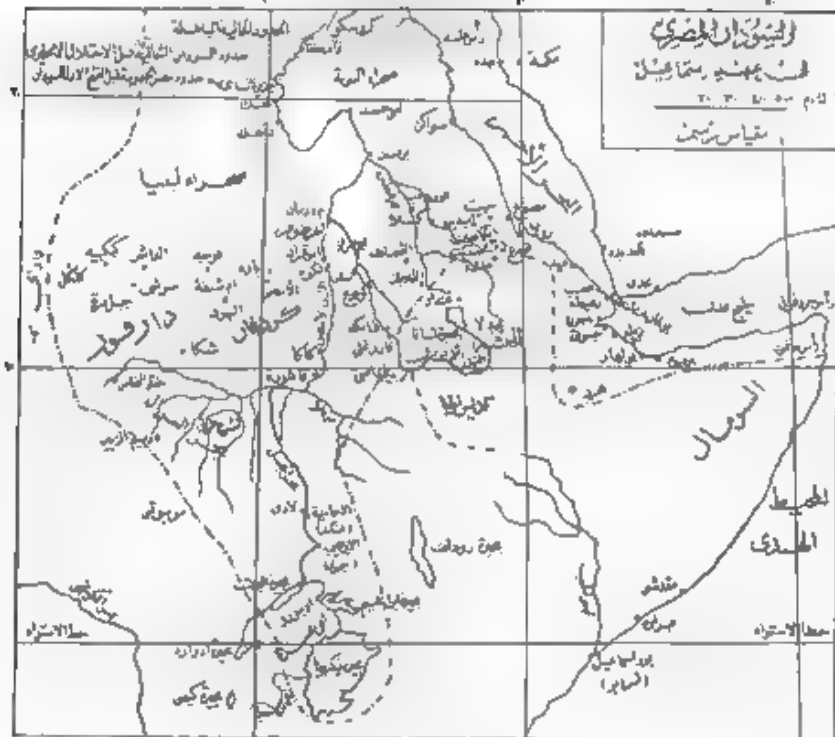
### معركة منواشي

( ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٧٤ )

فجهر جيشاً في كرفان ، وعهد إلى الزبير بك حشد جيشه في بحر القزال كرم يحاط بدارفور  
 من الشرق ومن الجنوب ،

صار الزبير من الجنوب ، وتلاقى مع قوات سلطان دارفور ، وكانت تتألف من نحو  
 عشرين ألف مقاتل فهدمها الزبير غير مرة ، واشتبك الجيشان في « منواشي » حيث نشبت  
 بينها في ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٧٤ معركة لاصلة ، انتهت بانتصار الزبير انتصاراً ميبهاً ، وقتل  
 السلطان إبراهيم ونشبت حيشه ، فدابت البلاد للحكم المصري ، ودخل الزبير مدينة الفاشر  
 عاصمة دارفور

ثم جاء إسماعيل باشا أيوب على رأس الفرقة الراحقة من الشرق ، فدخل المدينة في  
 ١٦ نوفمبر سنة ١٨٧٤ ( ٢٧ رمضان سنة ١٢٩١ ) . وانتهت الحرب بضم سلطنة دارفور إلى  
 أملاك مصر



الحدود الحالية لسلطنة دارفور

في عهد إسماعيل

وأرسل الحكمدار بشر الخديو بأخبار الفتح . فأصبح هذا النصر المبين ، وأنتم على إسماعيل باشا أيوب حاكم السودان برتبة الفريق ، وعلى الزبير برتبة اللواء . فصار يعرف بالرب . ثم رجع إلى الحكمدار فبلغ أفراد الجيش الذي تولى هذا الفتح ثناءه ولحماته ، لما أبوه في فتح دورهم . فخطب الحكمدار هذه الرسالة جمع الجيش في العاشر ، وثلا عليهم ببلوغ إسماعيل وحسنه شكري مهيب ، وأطلقت المنافع ابتهاجاً وإجلالاً<sup>٥٩</sup> .

وبفتح دارفور زاد عدد سكان الدولة المصرية نحو ثلاثة ملايين نسمة .

وأقام إسماعيل باشا أيوب حصناً مهيماً في القاهرة ، وبني داراً للحكومة ، ومثلاً للحاكم . وثكنة للجند ، ووطد دعائم الأمن والطمانية ، وأقام في المدينة سوقاً حاضرة للتجارة على أن الزبير باشا شكاً من قذاحة الضرائب التي فرضها إسماعيل باشا أيوب على الأهالي ، فاستاء الحكمدار من هذه الشكوى ، ورفح الأمر إلى الخديو ، فوكل يأمير الزبير باشا بعدم التعرض للحكماء في إدارة البلاد ، فطلب الزبير من الخديو أن يجيء إلى مصر ليعرض عليه حقيقة الحال ، ويغضى إليه بأرائه في تنظيم الإقليم ، فأجاب الخديو إلى طلبه وأذن له بالحضور ، فصار إلى مصر ، واستقبل ابنه سليمان في قيادة جنده .

ولما جاء مصر أكرم الخديو ولادته ، ولكنه لم يأذن له بالعودة إلى السودان ، فأدرك أن المواد من إيقاله أن يكون رجلاً لولائه للحكومة ، فأذن ببقاء الإقامة في مصر مشمولاً بمطاف الحكومة وإكرامها

### هم زيلع وبريرة

( سنة ١٨٧٥ )

١ ريلع ، و٢ بريرة : من بلاد الصومال الشمالية الواقعة على خليج عدن ، ذكرهما ياقوت في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٦ وج ٤ ص ٤٢٥ .  
وأهم مدنها ثغور ريلع ، و٣ بريرة ، و٤ يوه . . . وتعد الأولى ميناء سلطنة حرر عن خليج عدن ، وملحق بتاجر هذه البلاد من ن وس القيل والجريد وريش النعاه والصنع العربي والمرو وغير ذلك . وهذه الثغور عامة أمة بحرية ، لأن من يملكها يسيطر على الملاحة في

<sup>٥٩</sup> من ربيع مصر - العدد ٥٨٥ الصادر في ٣ ديسمبر سنة ١٨٧٥

### خليج عدن في ساحل البحر الأحمر

ومن بلاد ريلع بلدة ( جريت ) التي بناها أجداد ( الجريت ) مؤرخ المصري المشهور . بعد رحل جده السابع ( الشيخ عبد الرحمن ) إلى مصر في أوائل القرن العاشر للهجرة . واستعرت أسرة إسماعيل مصر من ذلك العهد .

كانت ريلع وبريرة من أملاك تركيا ، فاجتمع للواء ( الحفيدة ) باليمن ، لفكر حديد إسماعيل في ضمها إلى أملاك مصر حينما اعتزم فتح سلطنة ( حرر ) لأن ريلع هي ميناء حرر كما قلنا . فمضى إلى ذلك لدى الحكومة النمساوية ، وجميع في مساهمة ، إذ صدر له فرمان من السلطان في أول يولييه سنة ١٨٧٥ ( ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ ) بالتنازل له عن ( ريلع ) وملحقاتها ، وذلك مقابل زيادة في الجنية السوية قدرها ١٥٠٠٠ جنة عثمان<sup>٦٠</sup> ( ١٣٣٦٥ جنة مصرية ) ، ويدخل في منصفات ريلع ثغور « بريرة » و « بريرة » و ( تاجورة ) .

وقد جعل الخديو من هذه البلاد محافظتين عرفتا بمحافظة « ريلع » ، ومحافظة « بريرة » . وأرسل الخانيات المصرية إلى الثغرين المذكورين ، فباتت ريلع كتيبة من حيد بقيادة محمد رموف باشا الذي مر ذكره في الكلام عن مديرية غط الاستواء ، وجعل رموف باشا محافظاً لريلع . والأميرال وعنوان باشا محافظاً لبريرة ، وكان هذا الأميرال يقوم السبئية الحربية المصرية التي أقلت الخانية إلى ليبيا المذكور .

وحمل الأمير أبو بكر إبراهيم أمير ريلع السابق وكيلها لمحافظة وملحقاتها ، وأنتم عليه بالرتبة الثانية<sup>٦١</sup> ثم رقى إلى منصب المحافظ<sup>٦٢</sup> .

وعين الحكماء لسكروين والملكيون في المحافظتين ، وعنوانهما هما : فأقاموا بها عدة مبان للحكومة وللجوارك والكنائس العسكرية ، وأنشأوا مسجداً في « بريرة » وصهرجا حرم لياة العدة بها . ومدوا أنابيب الماء فيها ، وأنشئت مكاتب للبريد في كلا الثغرين ، قال غردون باشا في رسالته ص ٢٧ ، إن مستأنت التي كُلفت في بريرة كلفت مصر سبعة آلاف جنيه . وبهم ريلع وبريرة امتدت سلطة مصر من سواحل البحر الأحمر إلى سواحل خليج عدن .

(٦٠) الوقائع المصرية العدد ٩١٥ (١٥ يولييه سنة ١٨٧٥)

(٦١) و (٦٢) الوقائع المصرية العدد ٦٦٨ - ١٧ أكتوبر سنة ١٨٧٥ . والعدد ٦٦١ - ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥

مصر. فبره، ثم وصلت إلى رأس جردفون (جردفوى) على المحيط الهندي وقد بنيت محطتان زيلع وبره ملكاً لمصر. إلى أن اغتصبها الإنجليز بعد شوب الثورة المصرية. ذكرها الحكومة المصرية على الخلاء عن السودان، وسجل القرار هاتين المحصنين. فأجبت الحكومة المصرية في مايو سنة ١٨٨٥، وأجبت الإنجليز من ذلك لمحسب وما ردت محتوياتها إلى اليوم (١٩٣٢)، ولكنه احتلال غير شرعى. لأن مصر لم تسأل عن حقوقها في تلك البلاد، ولم تهر الاحتلال الإنجليزي بها

### فتح هر

(سنة ١٨٧٥)

تقع سلطنة (هر) شرق الحبشة وهرى زيلع، وهي إمارة إسلامية مستقلة، يبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة، وأرضها زراعية، تجود فيها زراعة البن والقصب والدره والفول والعدس والموز والفاكهة والقصب، وتزرع فيها أيضاً القطن وهو أقل مرتبة من القطن المصري، وتنتج منه أقمشة متينة، وأهم حاصلاتها اللبن الذي لا يقل جودة عن اللبن البنى وتبادل هر التاجر مع الخارج، تصدر البن والصنع وورش النديم والزعفران والمر والزبد والجلود على اختلاف أنواعها، وتسرد الأقمشة والفسرجات والنحاس والزجاج وما إلى ذلك

وعاصمتها مدينة هره الواقعة على بعد ٢٣٢ ميلاً من زيلع وهي من المدن الباهرة، يسكنها ٣٥ ألف نسمة، وهم على جانب من الحضارة، ذكر عنهم اللواء محمد مختار باشا أن لتعليم منتشر بينهم، وفيهم المشراء والأدباء، وأن جميع الصغار فيهم يتعلمون القراءة والكتابة والرياضيات والفقه على مذهب الإمام الشافعى، وأن عادة تحدد الزوجات معدومة بين أهلها. والطلاق سدر بينهم، قال: إنه قضى في المدينة ستة كاملة (من أواخر سنة ١٨٧٥ إلى ١٨٧٦) لم يشهد فيها حادثة خلاق واحدة<sup>(١)</sup>، وكان على هر قبل لفتح المصري أمير يدعى محمد عبد الشكور، سار في حكمه سيرة ظلم، وإرهاب، فقام منه الأهليون اغتصافه ومروا أن يبال منه

١٣ ظهر حيث اللواء محمد مختار باشا من هر. تلاء الجمعية الجغرافية بمصر ٢ فبراير سنة ١٨٧٧ وبشر مجلة الجمعية بمصر ١ عدد ٣ من ٣٥١ و٣٦٦



خريطة مدينة هر سنة ١٨٧٦

مصر من خريطة العالم وصيها محمد مختار باشا وأحمد باشا في سنة ١٨٧٥ من صياحه كان  
خرب عيسى المصري لخدمة هر. وجد بالخريطة تعداد  
١- سون المدينة ٢- ميدان ٣- و٤- و٥- و٦- و٧- مساحة ٨- و٩- سون المدينة ١٠- باب البلاد ١١- باب  
مدينة، ١٢- باب طالك ١٣- باب النصر ١٤- باب الفرج ١٥- باب راحة  
١٦- و١٧- و١٨- و١٩- ٢٠- حدائق ٢١- مدعى ٢٢- من هر.

واعترف إسماعيل فتح هذه السلطنة لما غرقها من الأهمية . ولأنها تعد من البلاد المكنة  
سودان . فأحدث الجنود المصرية للرابطة في زيلج تستغل أحوالها وتعرف طرق الوصول  
٣٠ وبعد أن فرما ذلك وحشد فرقة من الجيش المصري بقيادة محمد رموف باشا في سبتمبر  
سنة ١٨٧٥ قاصده حرر ، عاصمه الامارة . ورافق الحملة بعض صباط أركان الحرب  
بقيادة سكباشي محمد مختار بك ، وهو الذي صار فيما بعد اللواء محمد مختار باشا صاحب  
الكتاب القيم « التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ المصرية بالنسب (الاربعه) ولفظية » .  
وله المحاضرات القيمة في الجمعية الجغرافية

لم تلق الفرقة في رحبها مقاومة تذكر ، اللهم إلا ما كان من بعض قبائل الحلا إدا حصرها  
رحبها ، واصطدموا بالحملة في معركة ، دامت إحداهما سبع ساعات وانتهت بتسلم  
القبائل<sup>(١١)</sup> ، واستأذنت الحملة سيرها إلى أن وصلت إلى مدينة حرر . وبتحتها في ١١ أكتوبر  
سنة ١٨٧٥ ووضعت العلم المصري على أيرانيا وفوق قصر أميرها ، وبذلك خضعت تلك السلطنة  
إلى أملاك مصر<sup>(١٢)</sup> .

ثم ظهرت بوادر الانقراض بين بعض قبائل الحلا التي كانت لها الصلوة والسطوة في عهد  
الأمير محمد عبد الشكور ، فطلب رموف باشا مدداً من الجند على سبيل الاحتياط ، فجهده  
المدد من السويس إلى زيلج على ظهر الباخرة (المروسة) ، ووصل الجند إلى حرر فأدعت  
القبائل ، واستتب الأمن في أنحاء البلاد ، وانتظمت الإدارة فيها

وجلس رموف باشا حاكماً (حاكماً عاماً) لحرر ، وعين أميرها السابق محمد عبد الشكور  
محافظاً لمدينتها<sup>(١٣)</sup> وأعلن الأهاليون إلى الحكم المصري

لكن رموف باشا لم يلبث أن تنكر لأمير حرر وقطعه ، بعد أن كان ينو عليه في تقاريره إلى  
الحكومة ويمتدح ولاءه ، ولم يعرف السبب الذي دعاه إلى قطعه . ولكن الآراء متضقة على أن  
لعله كان حليلاً لا مبرر له ، ويقول غردون باشا في رسالته<sup>(١٤)</sup> إن هذا العمل لم يكن له

(١١) حرر في ظل حكم المصري للاستاد بوليتشكي Panditschke حنة خنية الحفر في مجموعته رقم ٢٤٢٠ عدد ١٠  
(١٢) مارس سنة ١٨٨٧ حر ٥٧٥ وفسير بوليتشكي هذا هو عاد يسمى جاد هذه البلاد في هذه حنة وشهد الحكم المصري

(١٣) الوثائق المصرية المند ١٢٣١ ، ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥

(١٤) الوثائق المصرية المند ١٢٣١ ، ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥

(١٥) رسائل غردون إلى أخيه في ٢٧٤

مصر ، وأن ابن الأمير ذهب إلى مصر لشكر الحكمدار إلى الخديو فمصعب إسماعيل علما  
العمل ، لكنه لم يفعل شيئاً

وقد رسم اصباط المصريون الذين شهدوا فتح حرر خريطة تلك البلاد . ومن هؤلاء  
صباط محمد مختار بك (باشا) وعبد الله حوري بك (باشا) ، وحفظوا المام والمواقع بين  
زيلج وحرر وأجهات الحدود

وفي عهد الحكم المصري بنيت دار للحكومة ، وأقيم مسجد جديد ، وشيدت أربع  
ثكنات لإقامة الجنود ، وعدة منازل للموظفين ، ولم يسفر أحد من الأهالي في إقامة هذه  
مبنى ، بل تولى الحدود لمصريون إقامتها

وبقي رموف باشا يتولى الحكم إلى أن أقامه غردون باشا حين عين حاكماً عاماً للسودان  
وأعادته إلى مصر ، وعهد بالحكم إلى رضوان باشا محافظ بربره ، ثم خلفه سنة ١٨٨٠ محمد  
نادي باشا ، فعنى بضبط الأمن وتحصين المدينة . وبقي يتولى الحكم إلى أن شبت الثورة المرابية  
في مصر ، ثم الثورة المهدية في السودان ، فلم يصطرب حيل النظام بين الجند في حرر ، وفي  
سنة ١٨٨٢ حين حل رضا باشا ، خلفاً لنادي باشا ، وظل الحكم المصري مستقراً في تلك  
البلاد ، إلى أن أكرهت إنجلترا حكومة مصر على إخلاء السودان وملحقاته ، فأرسلت تدعو  
القوات المصرية إلى إخلاء حرر ، فصعدت بالأمر واستجبت منها سنة ١٨٨٥ ، وكان  
حدها حين الإخلاء ٣٤١١ جندي ، يصحبهم ١٦٠ من الموظفين ورجال البوليس والعمال  
و ٥٠٠ من النساء والأطفال من عائلات الجند والموظفين ، فكان مصير المصريين الذين  
انسحبوا من حرر ٨٥٧١ قصصوا إلى زيلج ، وأقلعت بهم البواخر إلى مصر .

طوى العلم المصري من تلك البلاد ، بعد أن ظل يحرق على ربوعها عشر سنوات متوالية ،  
كان في خلالها رمزاً للنظام والحصارة ، فقد استتب بها الأمن ، وانتظمت الإدارة وشطت  
الزراعة والتجارة ، وعود المصريون الأهالي بعض الزراعات والفواكه المصرية كالعنب  
والخوخ والفلور والنبسود . وقصب السكر والبطاطس والخضر وما إلى ذلك . وازدادت عدد  
متر في التي تفسل المتاجر من داخل البلاد إلى السواحل . فبما كان عددها سبعين قاطعة على  
عهد الأتراك السابق . بنيت اربعمائة قاطعة كل سنة في عهد الحكم المصري<sup>(١٥)</sup>

ولما جلا المصريون عن حرر تسلط سلطنة الحكم فيها أمير من سلالة الأمراء الذين كانوا

بحكمها قبل فتح مصرى . ثم أغار عليها ملك الحبشة وأخذها حوة وصحبها إلى أنفلاكه ،  
و - تابعة لها إلى اليوم ( ١٩٣٧ )

### حملة الصومال

( سنة ١٨٧٥ )

اعتزم الخديو إسماعيل فتح بقية بلاد الصومال<sup>(٥٩)</sup> ، فعهد هذا العمل سنة ١٨٧٥  
حملة ، مقصدها فتح بقية شواطئ الصومال . والوصول إلى مصب نهر جوبا  
( الحب )<sup>(٥٠)</sup> .

ثم فتح الطريق من هناك إلى منطقة البحيرات ، لكي تصل مصر أملاكها في هذه  
المنطقة ، من طريق البحر الأحمر والمحيط الهندي ، فضلاً عن الطريق الذي يتبع جمرى النيل .  
ففي الوقت الذي أخذ فيه حملة حرر ، جهر حملة الصومال بقيادة الأميرالاي ماركيلوب باشا  
مدير الموانئ والمناورات المصرية ، وتولى قيادة جود البر في هذه الحملة الأميرالاي شامى لويج  
بك ، ذلك الضابط الشهيم الذي تكلما عنه آنفاً ، وكان غردون باشا إذذاك حاكماً لخط  
الاستواء ، فعهد إليه إسماعيل الاتصال بالحملة .

أقلعت العمارة المصرية من السويس ، نقل الجنود المصريين ، في فبراير سنة ١٨٧٥ ،  
واجتازت البحر الأحمر ، ثم بوغاز باب المندب ، فخليج عدن ، ورسمت في ميناء بربره ،  
ربما تسريح وتلحيد أهيها ، وتشكل معادنها ، ثم أقلعت ثانية ، واجهت إلى المحيط  
الهندي ، فوصلت إلى رأس ( حافون ) جوبى رأس جردفون ( جردفوى ) ، وركز قائد الحملة  
العلم المصري هناك ، ودعا رؤساء القبائل إلى الدخول في طاعة الحكومة المصرية ، فلبوا  
الطلب طامعين ، ثم أقلعت العمارة نحو مصب حباب المحيط الهندي ، حتى وصلت إلى بلدة  
( براوه ) الواقعة شرق نهر الجوبا ( الحب ) ، فأذعنت القبائل هناك للحكم المصري ، وترك  
بها ماركيلوب باشا حامية من الجنود . وعين عليها محافظاً ، ثم اتجه إلى بلدة قسايو<sup>(٥١)</sup> ،

(٥٩) تطلق بلاد الصومال على الجهاد الواقعة في الثلث الذي تنسب إليه إفريقيا بين خليج عدن والمحيط الهندي

(٥٠) نهر يبع جنوب الحبشة ويصب في الأندلس الهندي شمال إنجلترا .

(٥١) جنوب خط الاستواء . وقد سميت في الخريطة التي وضعها غباط أنكان حرب الجيش للمصري ، بور إسماعيل .

الواقعة على مصب الحب فتعصبه ، وسارت القوارب تحمل الجنود في نهر الجوبا نحو ١٥٠  
ميلاً ، ولكن الملاحاة تعددت فيه ، فرحسوا إلى بلدة قسايو بور إسماعيل ، وتأنيت الحملة  
حربه للسير غرباً ، فاصده بحيرة بيكتوبيا . وفقاً للخطة المرسومة لنام من قبل ، ولكنها أبطلت  
في الزحف من قسايو ، ويقول شامى لويج بك إن من أسباب إخفاقها إغصاء غردون عن  
الاتصال بها رغم الأمر الصادر له من الخديو إسماعيل

وينسب لويج بك هذا الإغصاء إلى احتياج وصول تعليمات من الحكومة الإنجليزية إلى  
غردون فوجب عليه عدم التعاون مع هذه الحملة<sup>(٥٢)</sup> ، وهذا يدنس على خدم إخلاص  
غردون لمصر ، وعدم ولائه للحكومة المصرية ، وقد اعترف غردون في رسالته أنه بالرغم من  
تكليف الخديو ماركيلوب باشا وشامى لويج بك انتظاره عن نهر الجوبا ، فإن انتظاره سيكون  
على غير جنوى<sup>(٥٣)</sup> ، فكانه كان معزراً على إهمال العمل بأوامر الخديو

وكانت هذه الحملة قد أزعجت الإنجليز ، فعابرت إسماعيل في الكف عنها ، ورسل وزير  
خارجية إنجلترا إلى الخديو مذكرة بهذا المعنى ، فخشى عواقب للمشاكل بينه وبين الحكومة  
الإنجليزية ، وكان في الوقت نفسه يجهز الحملة على الحبشة ، فاستدعى ماركيلوب باشا ،  
وانسحبت الحملة من الجوبا في يناير سنة ١٨٧٦ ، وعادت إلى مصر<sup>(٥٤)</sup>

وهكذا أخفقت تلك الحملة ، ولم تصل إلى تحقيق غايتها ، وهي بسط نفوذ مصر على  
شواطئ المحيط الهندي ، ومنها إلى منابع النيل ، وذهب الجهود التي بذلت فيها سدى ،  
ويرجع إحقاقها كما ترى إلى تدخل السياسة الإنجليزية ، ومعارضتها الخديو في الاستمرار فيها ،  
وكان إسماعيل قد استغرق في المديون ، وشعر حاجته إلى إرضاء الإنجليز ومصلحتهم فاضطر تحت  
تأثير هذه الحاجة إلى الإذعان للتدخل الإنجليزي ، وانسحب عن الحملة .

### اعتراف إنجلترا بسلطة مصر في الصومال

على أن الحكومة الإنجليزية اعترفت بامتلاك مصر بلاد الصومال الشمالية الواقعة على خليج  
عدن . ذلك أنها عقلت وإياد معاهدة في ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧<sup>(٥٥)</sup> ، اعترفت فيها لمصر

(٥٢) كتاب مصر ومديرياتها للفيودا ، الدكتور ويل شامى لويج بك من ١٦٤

(٥٣) شامى لويج بك من ١٦٤

(٥٤) مصر ومديرياتها للفيودا الدكتور ويل لويج بك من ١٥٤

(٥٥) مطبوعة في المجلس الإداري والمصنف - قهلب وجلاء ( النسخة الفرنسية ) ج ٢ من ٤٩٠

بامتلاكها سواحل بلاد مصر - لغاية رأس جردفون - جردفوى - ثم رأس - سخون - الواقع جنوبيه على المحيط الهندي

وقد وقع على المعاهدة كل من شريف بانبا وزير خارجية مصر بالنيابة عن الحكومة المصرية ، والسفير « فيبيل » قنصل إنجلترا العام بالنيابة عن الحكومة الإنجليزية .  
أقرت الحكومة الإنجليزية في هذه المعاهدة سلطة الحكومة المصرية في سواحل الصومال وقيلت مصر أن تبقى « بريرة » و « يوطار » تفرغى حريين ، وألا تعطى فيها أى امتياز أو احتكار لأحد ما ، ولا تأذن بإجراء أى عمل يعطل حركة التجارة فيها ، وألا تأخذ رسوماً عن الواردات أكثر من خمسة في المائة ، ولا تزيد الرسوم الجمركية عن واحد في المائة في موانئ « تاجورة » و « زيلع » وسائر سواحل بلاد الصومال التابعة لها ، وأن تعامل مصر رعايا إنجلترا وسفنها في تلك الجهات معاملة دولة متحيزة ، وتعهد الخديوي ألا يعطى أى قطعة من هذه البلاد إلى أية دولة أخرى « د ٢ »

ودعشت مصر للحكومة الإنجليزية تعيين مأمورى قنصليات في جميع الثغور والبلاد الكائنة على سواحل البلاد المذكورة ، على أنه لا يجوز لها تعيين مأمورى قنصليات من أهل البلاد أو من أهل البلاد المتاخمة لها

فى هذه المعاهدة إقرار من إنجلترا بسلطة مصر فى بلاد الصومال الشمالية ، ومن نهكم القدر أن القوة فى أقرت بذلك سنة ١٨٧٧ وأنذرت على مصر عهداً ألا تتناول لدولة أخرى من جزء من تلك البلاد ، هى ذاتها فى اختصاصها بعد أن أكرمت مصر على إعلاء السودان ، فرضت بعدها على زيلع وريره ملحقاتها وأعطتها من أسلاب مصر ، كما أعطت فرنسا تاجورة وملحقاتها ، وإيطاليا رأس جردفون - جردفوى .

### التراع بين مصر والحشة

للتراع بين مصر والحشة في عهد إسماعيل صفقة طويلة ، خلاصتها أن الملاق بين ابلدين لم تكن ودية طيبة مدة حكمه . بل كان يشوبها الجفاء والحقد ، ثم الحرب والصدام .

ويرجع الخلاف إلى أن إسماعيل بعد أن ظهر بهم محافظون سواكن ومصرح سالياً إلى

مصر ، اعزم أن يصل بين مصوع وكسله خط حديدي ، يمر بسبيت<sup>(١)</sup> . ويسهل سبل المواصلات بين السودان والبحر الأحمر . ويوسط رواق العراق في شرق السودان . وكان بعد بلاد الرقعة بين البلدين وخاصة مدينة « سبيت » أرضاً مصرية عند الفتح الأول . في عهد محمد علي .

ولكن النجاشي « تيودورس » ملك الحشة عارض الخديوي ذلك ، وادعى أن سبيت أرض حشية ، موقع الخلاف بينهما

### الحرب بين الإنجليز والحشة

( سنة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ )

وظهر أثر هذا الجفاء في موقف الخديوي تجاه الحشة حين قام الخلاف بينها وبين الإنجليز سنة ١٨٦٧ . فقد اعتقل الملك « تيودورس » بعض التجار الإنجليز ومنهم المستر كامرون قنصل إنجلترا ، فنصبت الحكومة الإنجليزية من هذا العمل لعداوى ، وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين . فرفض النجاشي إعطاء طلبها ، واشتد الخلاف بين الدولتين ، فالتجأ الخديوي إلى جانب الإنجليز وأرسل إلى النجاشي كتاباً<sup>(٢)</sup> ، من إنشاء عبد الله باشا فكرى ، يطلب إليه فيه أن يحسم الخلاف بإطلاق سراح المعتقلين وإرسالهم إلى مصوع ، وحذره عواقب إصراره على اعتقائهم ، وتهدده بنشوب الحرب بينه وبين الإنجليز . وبأنه في هذه الحالة لا يمانع الإنجليز في اجتياز الأراضي المصرية لمهاجمته

فأصر النجاشي على الرصد ، فجددت إنجلترا على الحشة سنة ١٨٦٧ حملة عسكرية بقيادة اللورد نابيير Napier . وسبى الخديوي هذه الحرب فأمد الإنجليز فيها بالمعونة والتأييد . وأمر عبد القادر باشا الطوبخى بمحاصنة مصوع وتشدد معاونة لجيش الإنجليز في نزوله إلى . ووصح الأسطول المصرى تحت تصرف الإنجليز لينقل نهباتهم ومؤناتهم من السويس إلى مصوع

<sup>(١)</sup> سبيت مصوع . وتسمى أيضاً كرك - Kerk . ووردت بهذا الاسم في نظم مصورات الجغرافية . وهي حصنة الم . نوحوس .

<sup>(٢)</sup> بتاريخ جهدي الأخر سنة ١٢٨٤ (سبتمبر ١٨٦٧)



و تحت هذه الحرب بعور الإنجليز واحتلهم مدينة همدان و شيان أدس أياها ، وقتل  
سجنى تيودورس سنة ١٨٦٨ : ثم عاد الإنجليز إلى بلادهم .  
و تحت الحبيشة إلى الملك « يوحنا » الذى كان يماويه الإنجليز ضد ملك تيودورس  
والملك يوحنا هو من أعظم ملوك الحبيشة شأنا ، وأشدهم بأسا ، وكان عهده وقت الحرب بين  
مصر والحبيشة كى سيجى بيانه .

فما خلف يوحنا الملك تيودورس على عرش الحبيشة اختتم الحبيب فرصة انصرافه إلى محاربة  
قبائل الجلال ، لتحقيق غرضه الأول وتوسيع أملاك مصر من ناحية الحبيشة .

#### منزجر باشا Munzinger pasha

وقد استحدث على تحقيق هذا الغرض المسير منزجر قنصل فرنسا في مصر  
ومنزجر هذا به شأن كبير في تاريخ العلاقات بين مصر والحبيشة في عهد إسماعيل ، وهو  
رجل سويسرى الجنس ، جاء مصر ، ثم جاب أنحاء السودان والحبيشة ، وأقام في مصر منذ  
سنة ١٨٦٠ ، وتزوج بعبدة حبشية من أهالى لبوغوس ، ثم شغل منصب قنصل فرنسا في  
ذلك الثغر ، وحاول الإنجليز في حربه مع الحبيشة بما له من القدرة بأحوال البلاد ولعبها  
ومالكي (٥٨)

وفي سنة ١٨٧٠ عينه الخديو محافظا لمصر ، ثم أمد إليه قبا بعد منصباً أعلى ، إذ جعله  
محافظاً لسواحل البحر الأحمر ومديراً لشرق السودان ، وأقيم عليه برتبة البكوية ، ثم  
الباشوية ، فصار يعرف بمنزجر باشا ، وعين أراكيل بك نوبار من أقرباء حراب باشا محافظا  
لمصر تحت إمرته ( وهو خير أراكيل بك الذى نكلنا عنه ص ٤٥ ) .

ومنزجر باشا هو الذى زين للخديو إسماعيل فكرة فتح الحبيشة ، وألقى في روحه أنه لعل  
ملكه في هذه الجهات قد سير غورها ، وعرف أسرارها ، وأقنع أن فتح الحبيشة لا يكلف مصر  
عنا كبيراً ، لما كانت عليه من الضعف والفرس والافتقار .

فأعجب إسماعيل بالفكرة ، وشرع في تحقيقها ، وعهد إلى منزجر دافه فتح إقليم  
( لبوغوس ) وعاصمته سبيت

(٥٨) من ترجمة منزجر باشا . بقلم لسيو دورنت في مجلة الجمعية الجغرافية ، العدد الأول من السنة الأولى ، نوفمبر  
١٨٧٥ . فبراير سنة ١٨٧٦ ) ص ١٢١

#### فتح سبيت وهم إقليم البوغوس

منزجر باشا من مصر في قوة من ألف وخمسمائة مقاتل ، وقصد إلى سبيت ومنها  
بمصر

ووسع يده من هذه الناحية ، فتم على يده فتح بلاد البوغوس ، وصحبها إلى مصر ،  
واشترى مقبضة ( بيت ) الواقعة بين مصر والحاميين من حاكمها الذى كان خلاب مع  
النجاشي . وشملت منطقة منزجر سواكن ومصرع وبلاد بوغوس ، والتاكا ، والقصديف ،  
والقلايات . ونسب . ويرك ، أى السودان الشرق في أقصى حدوده .

وقد فقم الملك يوحنا من مصر هذا التوسع ، وازدادت العلاقات بين البلدين توتراً ،  
وكادت الحرب تشتب بينها ، لولا اشتغال الخديو بفتح هرر والحملات على الصومال

#### حرب الحبيشة

( سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ )

في الحرب عظمى التى حاصرت مصر في عهد إسماعيل ، ولحقه الكأداء في اصطدامه ب  
فتوح مصرى حرمين بين ومدحانه ، ومن أى ناحية نظر إليها نجد أن مصر لم يكن في حاجة  
إليها . ولا مصححة لها في حوزها ، وإنما ساق إليها التزق ، وسوء التدبير ، فأنتهت بأمرته  
واحسرن

رأى ما تقدمه بيانه . أن مصر قد ضمت الجهات الواقعة بين الحبيشة والبحر الأحمر  
وفتحت ( سبيت ) وبلاد ( البوغوس ) الواقعة شمالها . و ( هرر ) المخاور لها من الجنوب  
شمال . فأحاصرت من الشمال والشرق والجنوب . فضلاً عن مجاورتها لها من الغرب منذ عهد  
محمد علي

لهذه الروح . يمكن مصر أن تثبت سلطانها وتدعم نفوذها فيها ، وبذلك تبقى الحبيشة  
مستعدة . حيا للوصول إلى البحر الأحمر ، ولكن إسماعيل حذره منه بفتح  
الحبيشة . واكتسب من طريقه ، دون أن يفكر صعوبة هذه المهمة وعواقبها الوخيمة  
لاحشة كما يعرفه . حتى حيروها وسبوا غورها . بلاد حلبة لا يسهل على دولة أجسه .

حتىه. وُيَحتَاز جيانا الوعة ومناورها الجرداء ، فصلا على أن حرباً لا تغيب مصر بحال من لأحرل ، بل تخلف لها من المناكل وتكيدتها من الحاسر والفضايا ما هي في حق من . يحاصر إسماعيل بيته في فتح الحشة ، ويكن سياست إزاعها كست تتم عن هذه العاية . قد تحرش بها ، وعمل على إثارة الحرب معها . على غير جدوى ، ووقع القتال على غير استعداد من مصر ، فحدث الهزيمة بالجيش المصري ، وأصابته أسائر القاذحة ، وكبدت الحرب الخزانة المصرية لأموال الطائلة ، في وقت ارتبكت فيه أحوالها ، واشتد بها الضيق . فكانت حرب الحشة حقاً من كل ناحية .

عزم إسماعيل تجريد حملتيه في وقت واحد على بلاد الحشة ، الأولى تهاجمها شمالاً من طريق مصوع ، والأخرى جنوباً من طريق ميناء « تاجوره » الواقعة على خليج عدن ، وعهد عداة الأولى إلى الكولونل أرنديروب بك<sup>(٩١)</sup> Accadropp . ولتأية إلى مترنجير باشا .

### حملة أرنديروب بك

( سنة ١٨٧٥ )

زعمت الحملة الأولى من مصوع ، وكانت مؤلفة من ٣٢٠٠ مقاتل<sup>(٩٢)</sup> مرودين بطاريتين من المدافع ، واقتضت حدود الحشة ، واستولت على الجاهلي « الواقعة جنوبي سبيت ، دون أن تلقى مقاومة تذكر ، وتقدمت قاصدة « جوندت » ولما علم الملك يوحنا برحمها حشد جموعه ، وأخذ جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل ، سار ، قاصداً مصادمة الجيش المصري . وأرسل أرنديروب بك رسالة إلى الملك يوحنا يطلب إليه بها جعل خير الحاش حداً فاصلاً بين الحشة ومصر ، فلم يعبأ بالرسالة ، وسحب الرسولين اللذين أولفهما إليه أرنديروب بك ، فتقدم الجيش المصري ليسبق الأعداء إلى الهجوم .

(٩١) هو من صباط أركان الحرب . أصله تركي . ثم جاء مصر وتعرف إلى الخيال اسود باشا . وليس أركان الحرب . فذهب إليه الحملة في الجيش المصري قبل ثم دون حملة الحشة كما ذكر في سبائك الكلام .

(٩٢) إحصاء الجيش سوزا : Suzzara مصر ١٨٧٥ في مصر على عهد إسماعيل في تقريره للجيش عن حرب الحشة ، ولد بشر حد الثماني في مجلة مصر Revue d'Egypte مسمو جيلدهو على حد مارس وأبريل ومايو سنة ١٨٩٦ من ٦٦٦ و ٦٧٣ و ٦٧٧

### حملة جوندت

( نوفمبر ١٨٧٥ )

اشتد الحشاش في جوندت يوم ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ . وكان حشاش الحشة « كبر سدد » وأشد حراسة من الجيش المصري ، فحصى وعلين القتال . وانهت معركة سرعه حشاش المصري . وقتل معظم رجاله ، ولم ينج منهم إلا امر اليسر . وكان من بين القتل أرنديروب بك وإراكيل بك نوبار محافظ مصوع . وارتدت للول الحملة مبرمة إلى مصر .

### حملة مترنجير باشا

أد الحملة الأخرى فقد نولها مترنجير باشا ، فأمر من مصوع على رأس ثلاثة بلوكات من الحدود المصرية والسودانية ، ونزل في « تاجوره » بيشكل منها معدات الحملة من الإبل ، وترك معظم الجند في تاجوره حتى يتم إعداد الحملة ، وأقطع هو في قوة صغيرة من الحد بصحبة الرأس « بورو » الذي كان على خلاف مع الملك يوحنا ، ونزل في رأس « جيلاجمو » الذي يبعد عن تاجوره غرباً خمسة عشرة ميلاً ، وقصد إلى بحيرة « أوسا » Aoussa الواقعة في الجنوب الشرق من الحشة ، ووصل إليها يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ، بعد مسيرة مبرمة أيام .

### مقتل مترنجير باشا

( نوفمبر سنة ١٨٧٥ )

قابل مترنجير باشا في طريقه إلى بحيرة « أوسا » ابن الشيخ محمد الحدة أمير ذلك الإقليم ، فظاهر له بالولاء للحكومة المصرية . ولكنه كان يصر له السوء . فاطمأن إليه مترنجير . واتبعه مرشداً وصيراً . وسارت الحملة إلى أن عسكرت بالقرب من شاطئ البحيرة ، فيها كان الجود باشا ( ليلة ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ) هجم عبيد رجال القبائل غيلة بقيادة الشيخ محمد الحدة . وأعملوا فيهم السيف ، وقتلوا جميع نكا دريما ، وشنت الواقعة في جميع الظلام

أخبرت حملة من سوس تشنها بوجر الشركي حربية ولحق الحرية المصرية ، وبرت  
في ميكة (مصنوع) وأبعد جيش يرحل على حدة

### هزيمة لا قورخ

(٧ مارس سنة ١٨٧٦)

زعم المصريون في دار سنن مرسى مصرى من رصونوا تحولات الأعداء.  
وبموانعهم قوص جيش في رصته إلى بلدة «دبرخ»<sup>(١٦٦)</sup> التي تمتد على مصراع نحو ٥٥  
ميلا. فعسكر فيها. وأخذتقم فيها لاستحكامات حتى حصناً بها ثم حصنين في أول السهل  
الواصل إليها من (قدحور)  
وقد أعد المذنب بوجر جيشاً كبيراً بلغ نحو أربعين ألف مقاتل ، وسار لمهاجمة المصريين في  
«فاخرا» وكانت تحتها قوة من الجيش المصري. ونفسها استحكامات مبيتة لم يتوكل  
الأحاش على مهاجمتها

فقدوا مهجمة مركز طيش المصري في (قورخ) ، وشنت بها يوم ٧ مارس سنة  
١٨٧٦ معركة كبيرة ، بهت بمرتكب جيش المصري وشنت عليه ، وحمل معظم رجاله ، ولم  
ينسكن القائد منهم والأمير حسن باشا وأركان حربها من الحجة إلا بعد أن عذبوا الموت ،  
وكاد الأحاش يتكلم بهم ، ونسروا من المصريين نحو ٢٥٠ أسير  
وبعد حصار الأحاش في هذه الزاوية حصار فادح لا تقبل في عددتها عن خسائر المصريين ،  
وكمهم فازوا بحصار مصر

### عقده الصلح

وكان ضمن المصري محمد رشاد رفعت رئيس لفرع الدركى بديران المحيطة ، وقد  
رافق الحملة صحة السردار ، فأخذ يسمى في عقد الصلح مع الملك بوسحا ، على أن تنسحب

(١٦٦) جاء اسمه مثلك في دواخ المصرية عدد ٦٤٩ وقد كتبه مستقيم المؤلفين يكتبها «كرك» وهذا الوضع «قورخ» وراثة

مقل الفرنسي Goura

نور. ب. ندم المصريون صدمهم لها ، فأرتفع سم الأحاش وقلوا ممرهم وروحه ومعظم  
حده ، وردت طول الحملة في أسوأ حال إلى «دبرخ» ، بقيادة الكياشي محمد الذي  
عزرت ، وكان عدد الباقين منهم ١٥٠ مقاتل

### الحملة الكبيرة بقيادة راتب باشا

(سنة ١٨٧٦)

وصلى الله عليه وسلم إلى مصر ، هربوا بالفرج وذهبته وترزأب لها هبة جيش  
المصري ، وعلمت استعمل هذه المراتم - وحشي عومها بصوية وانسيابية ، فأراد أن يربل  
تأثيرها بتخريد جيش حراز على جيشه بسبل لإفاده إلى لجنت مصر ، ولحق أن لوقف  
كان عصبياً ، لأن حركة مصر ندم الحطة تسعد جيش في وب كانت تكسبها المتاعيم  
الأوروبية ، ولكن الحديوم بأحد في فوه منه البداية بالآباء وحسن الاسعداد وتقدير لوقوف  
من كل وجوهه ، فها حدة أمير المراتم لأولى ، معجب بأعداد حصة متسرة ، مؤلفة من نحو  
حصة عشر ألف مقاتل ، ذهب معدنها على مها سائرة حشاً إلى الغربية والحسرن ، وأهم  
عيب في رأيها «مقارعا إلى كده» القيادة وحسن النظام

فقد عهد «خديو لواءا لمسدو راتب» وهو صاحب جد من الكهنة وحسن التدبير  
وحصل على رتبة أركان حرب «خبر ل لورج باشا Loring من القوي» الأثريكين في  
«جيش المصري» ولم يكن النشهم سالد نبي «مقاتل الدم وحش» وكان الحرب ، فقد الجيش  
أهم عوامل النجاح - وهي وحدة القيادة وكتائبها  
والمصنعة - «طريقة الأمم» حسب الشاهد «خديو» وكما قد عرفت من «أ. ب. أ.

درس من ليدلا من «تصور» خريبه ، ولم يكن به من كدهه وخبرة ما جعل منه قائد يعتمد  
عليه في مثل هذه الحرب

وقد تطرّع في القسم الملقى للحملة بعض كبار أضاء مصر في ذلك العصر ، كالدكتور محمد  
عقل باشا «البلبل» الذي لقي مصرعه فيها<sup>(١٦٧)</sup> والدكتور محمد رشاد

(١٦٧) جمع زوجته في كتابها «مصر محمد علي» ص ٢٢٢ (من «الطبعة الأولى»)

حدود المصرية من أرض الحبشة ، ويرد الملك الأسرى إلى مصر ، ويصح طريق التجارة بين مصر وحبش

مستندت مصرية وقعت بك عن عقد الصلح وبقيت سنيت في أملاك مصر<sup>(١٦٦)</sup> ، وعاد هوبنالي لأسرى إلى مصر ، وأبحرت قلوب الحملة إلى السويس ، وبلغت خسائر مصر من رجال في الحملات التي جردتها على الحبشة ٨,٥٠٠ قتل

### نتائج حرب الحبشة

نكثت مصر في هذه الحرب التزم خسائر فادحة في الرجال والمال ، وتصدعت هيئتها لأصحابها من المطامير المتوالي ، وكلفت الخزانة المصرية نحو ثلاثة ملايين من الجنيئات<sup>(١٦٧)</sup> ، في وقت كانت فيه بالديون الجسيمة ، ونماى أشد ضروب الارتباك المالي .

وليس يخفى أن هذه الحرب وقعت في الوقت الذي تحفزت فيه الدول الاستعمارية ، وخاصة إنجلترا ، للتدخل في شؤون مصر المالية والسياسية ، فانهزام الجيش المصري ، في تلك الحرب ، قد ضاعف آمال إنجلترا في التطلع إلى احتلال مصر ، ذلك أنها كانت تحسب حساباً كبيراً لقوة الجيش المصري ، منذ تبينت مكائده وسبلاته في المعارك التي خاضها تحت لواء إبراهيم باشا ، ولكن هزيمته في الحرب الحبشية كشفت عن ضعفه ، وهن القومى القارية أطنابها في نظامه ، ففقد المهابة التي كانت له من قبل .

فالحرب الحبشية كانت تجربة مؤلمة ، أظهرت ضعف قوة مصر الحربية ، ولم يكن من سبيل إلى عديد هذه الحقبة في وقت أشرمت فيه حكومة علي الصبر والعسر لمن ، في أواخر عهد إسماعيل . وليس ثمة شك في أن هذه النتيجة كان من شأنها أن تغرى إنجلترا بحسين أطرافها في مصر ، فلا جرم أن تضاعف مداخلها في وضع يدها على البلاد ، وما زالت تدأب على تلك الخطة مدى خمس سنوات حتى وقعت الحوادث العراقية التي انتهت بالاحتلال الإنجليزي

(١٦٦) - ح. ب. إيطاليا بعد حلا مصر للسودان واحتلالها شرقا من مصر

(١٦٧) - ح. ب. مصر - موزر فصل الخامس في مصر على عهد إسماعيل في تقريره السنوي ١٨٧٧ للسنة

### حكمدارو السودان في عهد إسماعيل

انتهينا من بيان الحوادث الهامة في السودان على عهد الخديو إسماعيل ، والآن نذكر مدة عامة من حكمداري السودان على البحر للذي اتبعناه في كلامنا عن عهد محمد علي باشا (عصر محمد علي من ١٧٧ من الطبعة الأولى)

### موسى باشا حمدي

كان على السودان حين تولى إسماعيل الحكم (موسى باشا حمدي) ذو الأحوال الجيدة والمآثر الحسنة ، وقد سر الخديو من أماله ، وأنعم عليه برتبة العريق ، فذهب إلى مصر في يوليو سنة ١٨٦٣ ليؤدي واجب الشكر ، وأطلع الخديو على أسوال البلاد التي يحكمها ، فلق من إسماعيل باشا عطقاً كبيراً ، ثم عاد إلى مقر عمله بالخرطوم .

وعنى بزيادة عدد الجند فوصل عددهم في عهده إلى ثلاثين ألفاً من الجنود النظاميين والباشيوزق ، وسار في حكمه حجة ودراية ، وفق حكمداراً للسودان إلى أن توفى سنة ١٨٦٥ بالخرطوم ، ودعى بها .

### جعفر صادق باشا

(١٨٦٥ - ١٨٦٦)

ثم خلفه جعفر صادق باشا . وفي عهده فتح الجنود المم يون فاشوده سنة ١٨٦٥ كما تقدم البيان

### إنقاذ ثورة كسلا

وفي عهده أيضاً أقمعت ثورة شت بين الجنود السودانيين المراططين في (كسلا) وعدتهم نحو أربعة آلاف حمدي

ظهرت هذه الثورة في أواخر عهد موسى باشا حمدي ، وخرج أسبانيا إلى سوه إ. . . . .  
الحكام ، وتأخير دفع رواتب الجند ثمانية عشر شهراً ، فأرأوا وعصوا الأوامر وتمردوا على

وسنهد . وقتو بعض الصباط ، وسبوا أموال الأعيان ، وغربوا بعض القرى ، فأخذهم الحكومة بحيلة تارة ، وبالعنف والقسوة تارة أخرى ، ولما بلغ عدوهم إسماعيل بياً هذه الثورة معه ، أمره هجوماً كبيراً ، وبعت بحمر صادق باشا حاكماً على السودان ، وأرسل أوامره إلى السلطات المحلية بإمداد قوات الحكومة في كمال الإخاء الفتنه

وقد كان الفصل في إخمادها لضابط موصلي كبير يسمى ( آدم بك ) ، وهو من خيرة صباط جيش مصرى ، تلقى التعليم الحرفى في مصر على عهد محمد على باشا ، ورافق إبراهيم باشا في حروبه بسوريا ، واشتهر بالبسالة والإقدام ، في المهارة والكفاءة . وقد أرسل إليه الحديو خطاباً يدين على تقديره لشجاعته استحثه فيه على العمل لإخماد الفتنه وعظمه معه . « وإلى أعلم بإسافتك وحسن سياستك ، متذكنت مع المرحوم والدنا في سوريا ، فحققت آمالك بك ، وعند الثوار الثورة انحضر إلى مصر والسلام » سبتمبر سنة ١٨٦٥ (١٦٥)

أدى آدم بك مهمته بحماسة ، فخطب الثائرين بالحنس ، ووعدهم بأن يحصل لهم على حقوق من الحديو ، فأخذوا إلى الطاعة ، ثم جاء حسن باشا القائد العام للجند ، وعقد مجلساً عسكرياً للنظر في أمر العصاة ، فقرر تجريدهم من السلاح ، واعتاقهم جميعاً حتى يرد أمر الحديو في شأنهم ، فارتدت ثلثتهم من جديد ، بسبب ظفرسة بعض ضباطه بإشويق فاطلق الحند الرصاص على الثائرين فقتل كثير منهم ، واعتقل الباقون .

### جعفر مظهر باشا

( ١٨٦٦ - ١٨٧١ )

تم حصر جعفر مظهر باشا وتكبل الحكمدار ، فحقق أسباب الثورة ، وأوقع العقاب على من سلك فيها . ونهى على يده إخمادها

وأمر الحديو على آدم بك برتبة اللواء مكافأة له على ما بذله من أهمية في إخماد الثورة . وفي غضون ذلك مرض جعفر صادق باشا وعاد إلى مصر ، عين حمر مظهر باشا حاكماً للسودان ، فسار صيرة عدل وإصلاح ، وكان من غير حكام السودان . ونظم

(١٦٤) من كتاب السودان لعم بك شفيق ج ٢ ص ٤٢

إبراهيم . وأصلح دار صناعة الحرطوم ، وأنشأ بعض المدارس وفتح عدة محاكم للفصل في منعت الناس

وفي عهد عمن آدم بك الضابط السرداني المتقدم ذكره قائماً عاماً لجيش المصري بالسودان ، وأنهم عليه بالباشوية ، فصار يعرف بآدم باشا . وقد أظهر ولاء صادق لمصر والحكم المصري

وفي عهده أيضاً نشطت الحكومة المصرية في مطاردة تجار الرقيق ، ووجه صمويل بيكر ، من بعثه من الجيش المصري على إلقاء خطب الاستواء وضمه إلى أملاك مصر كما أسلفنا ، وكان مظهر باشا يناوئه في مهمته .

واشتهر مظهر باشا بالعدل والزراعة ، ولا فرق فهو أعظم ولاية السودان شأنًا ، وأحسب سمية ، وكان يقرب إليه هؤلاء السودان ويكرمهم ، ذكر عنه إبراهيم باشا فوزى أنه فارق الحرطوم وعليه دين يربى على ألف جنيه ، وهذا من أقوى الدلائل على زواجه ، وقال أن راجه لم يكن يقى بمحاجاته ، لكثرة ما كان ينفقه على الفقراء والمعوذين ، وما كان يقبضه من المآدب للطماع ودوى الفصل ، قال ولا يزال السردانيون يذكرون له هذه الحيات ، وهم مجمعون على أن أيام ولايته كانت حرة في جيبى السودان (١٦٦) .

وقد عين في سبتمبر سنة ١٨٧١ عضواً بمجلس الأحكام بمصر (١٦٧) فافصل عن منصبه في السودان ، وعين في مكانه ممتاز باشا

### ممتاز باشا

( ١٨٧١ - ١٨٧٤ )

هو من صباط مصرى في جيش مصرى ، وكان سعى السيرة . مرتكباً لشره مشكاه . له من عدو ، فأمر بالتحقيق معه ، وسجن بالحرطوم وهي التحقيق ، ومات بالسجن ، والأثر الوحيد الذى تركه أنه علم الأهلى زراعة القطن

(١٦٦) السودان ج ١ ص ٦٧

(١٦٧) الوقائع المصرية العدد ٤٤٦ الصادر في ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٧١

## إسماعيل باشا أيوب

(١٨٧٣ - ١٨٧٧)

في عهده اتسعت فتوح مصر اتساعاً عظيماً ، فتحت سلطنة دارفور عن يد الزبير باشا رحمت ، وضمت زيلع وبربره . وفتحت سلطنة هركا بيتاه في موضعه ، وله فضل كبير في بسط رواق العمران في السودان ، فقد آمن السبل ، ووطد دعائم الأمن في واديه ، وشط الزراعة والتجارة والصناعة ، وعلى يده أنشئت محطات عسكرية بين الخرطوم ودارفور إلى حدود واداي ، وبين يرب على النيل وسواكن على البحر الأحمر ، لتأمين سبل المواصلات ، مما كان له أثره في تشييط التجارة ، وهي بتوسيع زراعة القطن ونشأ مهندسين جميع الأنفس وسجوها ، وفي عهده أنشئت عدة مكاتب سرية في أهم المعاصم ، وقد برز من مصبه في أن تدخلت السياسة الإنجليزية ، وأوعزت إلى الخديبر إسماعيل بتعيين غردون باشا مكانه ، فنقل إسماعيل باشا أيوب عضواً بالمجلس الخصوصي العالي ( مجلس الوزراء ) ، وهذا التعيين وإن كان دليل الرضا عنه ، لكنه أدى إلى انفصائه عن السودان ، ثم ترقى في المناصب ، إلى أن صار وزيراً للدخلية عقب الاحتلال الإنجليزي ، وإليه سبب امتناع الحكومة عن إرسال الجدة التي عليها عبد القادر باشا حاكم السودان لإنقاذ الفتنة المهدية ، ثم استعاضاه من السودان سنة ١٨٨٣ ، مما كان سبباً في استعجال الثورة ، ونشأة المطامع الإنجليزية ، كما سببه في موصله ، وتوفي سنة ١٨٨٤ .

## غردون باشا

(١٨٧٧ - ١٨٧٩)

بقطع الكولونيل غردون عن السودان طويلاً ، فبعد أن استقر سنة ١٨٩٦ من منصبه أولاً ، وحاد إلى إنجلترا ، صحت الحكومة الإنجليزية لدى الخديبر كي يصب حاكماً عاماً لسودان ، وهكذا تدرجت السياسة الإنجليزية في تدخلها في شؤون السودان ، فبعد أن كان غردون حاكماً لحظ الاستواء ، صار لحاكم العام للأقاليم السودانية جميعها . وهذه أول مرة

وفي فيها هذا المنصب الخطير حاكم نجدي . وهو ليس حاكماً لنجدياً فحسب ، بل ينتمي إلى دولة لها في مصر مراتب استعمارية لا يخفى . ركبت تتطلع إلى مصر وتعمل على إنشاء إمبراطورية فرعية حديثة تنسب على أيدى الامبراطورية المصرية .

فبعد غردون حاكماً عاماً على السودان . هو هو كمن يمسسه الإحصرية . ودخل على مسرح ما أدركته من بلاد سياسي في بلاد إسماعيل . ولا يخفى أن هذا التعيين وقع سنة ١٨٧٧ أي بعد أن حصل خبراً بخصوص لأور يتدخل في شؤون مصر . وبدأ تدخله بعمل بشرائها أنسب معه في قناة السويس سنة ١٨٧٥ . وأهبط ذلك تدخلها والدول في شؤون مصر طالبة بإنشاء صندوق الدين ، ثم فرض الرقابة المالية على مالية الحكومة سنة ١٨٧٦ . فتعين غردون هو من آثار ارتباك مصر المالي ، ومن نتائج سياسة إسماعيل المالية ، فقد كان يظن أنه يستطيع عمل هذا التعيين كسب عطف إنجلترا ، لتعاونه في عهده ، لكنه لم يزل أي مقابل هذه النحة العظيمة . وعلى العكس ، كانت إنجلترا أشد حبه وطأة من الدول الأخرى ، وكذلك شأن السياسة الإنجليزية في مصر ، فأخذ كل ما تستطيع أخذه ، دون أن تعطي شيئاً . ويستفاد من رسائل غردون أن إسماعيل كان متردداً في إبتداء هذا المنصب الخطير إليه . ولكن غردون رفض أن يذهب إلى السودان ما لم يمين حاكماً عليه ، وكان يظن أن الخديبر لا يقبل هذا الشرط (٦٨) . ولكن ضغط السياسة الإنجليزية ، وانقاس الخديبر الجدة منها في عهده المالية ، كل ذلك مال به إلى التساهل والتسليم ، وأصدر ١٧ فبراير سنة ١٨٧٧ مرسماً لغردون باشا بالولاية على جميع أصقاع السودان بما فيها دارفور ، وبحر الغزال ، وشط الاستواء ، وهرر ، ومداخل البحر الأحمر مع مصر ، وسواكن ، وزيلع ، وبربره (٦٩) ، ونحوه في حكمه سلطة مطلقة ، عسكرية ومدنية ، وكان سلطان مصر في السودان قد بلغ وقتئذ أقصى مداه ، إذ امتد من سواحل البحر الأحمر وخليج عدن إلى قبائوس الهندى شرقاً . إن حدود واداي غرباً . والبحيرات الاستوائية جنوباً .

لم يكن غردون على كفاءة للاضطلاع بأعباء المنصب الكبير الذي تولاه ، بل كان صريح التأثير ، سهل الانقياد لمن يثق به ، كثير التصديق في آرائه ، ولم يقترن اسمه إلا بمحبيه (٧٠) بالرفيق . واحتكار الحاج ، لكنه أسرف في عمله ، ولم يأخذ الأمور بالحكمة وبعد النظر

٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥

(٦٩) كما وردت في : الوقائع المصرية ٦٩٨ و ٦٩٩ الصادرين ٢٥ فبراير و ٥ مارس سنة ١٨٧٧

و. شافي لويج بك : « إن أمر غردون باحتكار الحكومة محصول الحاج قد أثار بخار سودان على الحكومة ، وعزلاء التجار كانوا مادات السودان الحقيقيين ، فكان هذا العمل سطوي على الظلم الثورة الأولى للثورة المهديّة ، وكانت إدارته عرضي ، وبالجملة فقد تولّى حكم السودان ، والأس واليسار بسودانه ، ولما غادره سنة ١٨٧٩ ، كان بنوه تحت أعباء ميون ، والثورة تسمخص في أنشائه<sup>(٧٠)</sup> .

وقد جعل غردون اعتماداً على الموظفين الأجانب في تلك الأصقاع النائية ، فمير سناليا بك Messodaglia مديراً للقاهر (دارفور) وكان إيطالياً ، وجيوسي باشا Gessi الايطالي مديراً لبحر النزال . وغوديك روسي Rossi فصل لثانياً في الخرطوم مديراً لدارفور ، وشارل رينجولي Rigoli الفرنسي مديراً لداره ، واميلاني Emiliani مديراً لكيبكيه ، والدكتور زورجين مفتشاً للصحة ، والصابط (سلطين أحد ضباط الجيش المصري مفتشاً للآلية ، وهو الذي صار فيما بعد سلاطين باشا صاحب اللوائف المشهورة أثناء الثورة المهديّة ، وجيكر باشا المصري ، مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق ، وهلم جرا .

وكان الكولونيل (بروت) الأمريكي يتولى الحكم في مديرية خط لاسراء ، فحين يئله إبراهيم لوري (باشا) ، ثم ما لبث أن أكّاه وحقن في مكانه الدكتور شتير الألمانى الذي صرف بعد ذلك بأمين باشا .

وأعمل غردون شأن المقاطعات الامتوازية ، ولم يكن يوطيه سلطة الحكومة المصرية فيها ، مكانه كان يبنى إقصاءها عن الحكم المصرى ، تمهيداً لإدخالها في منطقة النفوذ الانجليزى وأهمل المدارس التي فتحها الولاة من قبل ، وتلوع إلى ذلك بقلة المال ، ومنع إرسال الطلبة الناجحين بمدرسة الخرطوم إلى مصر ، وعزل الموظفين مهم

وشملت القس والثورات معظم ملته ، وكان عهده تديراً بشيوب الثورة المهديّة ، وساعد على شيوب القس تشده في إبطال الرقيق ، وتقصى قوة الجيش المصرى في السودان ، كما أخذته الحكومة من صعوه من الأملاد التي أرسلتها إلى تركيا في حرب البلقان (سنة ١٨٧٧)

نارسلان بن الزبير باشا سنة ١٨٧٧ انتقاماً لآليه ، إذ كان ممنوعاً من الرجوع إلى السودان ،

(٧٠) مصر ومصرانيا للعودة ، الدكتور شافي لويج بك ص ١٨٩

وطمع في الاستقلال ببحر العزل . فأنفذ إليه غردون باشا حملة طارئة وأوقعت به ثم عاد يقاوم الحكومة ، فأند إلى غردون حملة بقادة حتى صـبـت سرقة سجين ومقتله (يولييه سنة ١٨٧٩) . وقد حزن عليه جره الزبير باشا حزناً شديداً ، لكنه بقى مولياً للحكومة المصرية

وتار قائد من فود جيش الزبير يدعى (الصياحى) ، مطارته الجود المصرية حتى أدركه ، وحوكم أمام مجلس عسكري وحكم عليه بالإعدام (مارس سنة ١٨٧٩) وتار في دارفور أمير من سلالة سلاطين يدعى هارون ولقب نفسه بالرشيد ، ووبه الأهلون سلطاناً عليهم في أوائل سنة ١٨٧٧ ، فحاربه الجود المصرية حرباً طويلة ، انبث بقتله في أوائل سنة ١٨٨٠<sup>(٧١)</sup> ، وسمى غردون في الاتفاق مع يوسف ملك الحبشة على تحديد التحويم بينه وبين مصر ، فلم يوق إلى ذلك ، وفي أواخر سنة ١٨٧٩ جاء إلى مصر ، وكان ذلك في أوائل حكم الخديوي توفيق باشا ، وقدم استعاه من منصبه ، فبعت الحكومة محمد رموف باشا حاكماً للسودان خلفاً له ، وهو آخر الولاة الذين حكموا السودان قبل الثورة المهديّة ، وفي عهده ظهرت بوادر تلك الثورة المشتومة التي قضت على نفوذ مصر في السودان ، ومهدت للحكم الانجليزى في أرجائه

### التقسيم الإدارى

دخل على التقسيم الإدارى في عهد إسماعيل تبدلات أفضى إليها في الغالب التوسع في العتج وضم بلاد جديدة إلى السودان .

فصار مؤلفاً من المديريات والمحافظة الآتية<sup>(٧٢)</sup> :

المديريات والمافظات	العاصمة
مديرية الخرطوم	الخرطوم
مديرية سنار وفازوغل	سنار
مديرية بربر	بربر

(٧١) دارفور في عهد غردون باشا لسناليا بك . مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ٣ عدد ١ ص ٦٧ (مايو سنة ١٨٨٨)

(٧٢) انظر إحصاء سيلو بك Chwila Bey كبير محتو الرى بالسودان في كتابه (النيل والسودان ومصر) ص ٩٧ .

ويعوم بك شتير في كتاب السودان ج ١ ص ٦٧

## مديريات وأهـمـمـات

مديريات	مديريات
دقنة	مديريات
كلا	مديريات كسلا أو الناكه
فاشودة	مديريات دشودة
الأيصر	مديريات كردفان
الداشر	مديريات الداشر
د	مديريات دارفور (١٩٣٧)
كبكيه	مديريات كبكيه
ديم الزير	مديريات عمر الغزال
الإسماعيلية (مذكور) ثم	مديريات خط الاستواء
اللاذو ثم ودلاي	
وكانت مقسمة إلى مأموريات لانوكا، وبيرو، ومكركه، ومتينو ودلاي، وطويره	
سواكن	محافظة سواكن
مصوع	محافظة مصوع
هر	محافظة هرة
زيليغ	محافظة زيليغ
بربره	محافظة بربره

## الجيش المصري في السودان

بلغ الجيش المصري في السودان على عهد إسماعيل نحو ٣٠ ألف مقاتل موزعين على المراكز الآتية

دقنة، ربر، الخرطوم، سنار، القلابات، الحيرة، (بالقرب من حدود الخنكة) لنصارف، كسلا، أمبيد، سيوت، سواكن، كردفان، دارفور، عمر الغزال، خط الاستواء، مصوع، هرة، زيليغ، بربره

(١٩٣٧) ذكر دكتور سيدني بك مدير دارفور في عهد فرعون باشا في حقه لتقرير لجنة الحمية البحرية المبرانية المدعوية بمجموعة ٣ عدد ١ (مارس ١٩٨٨) ص ٤٩ مع تسمية مديرية كبكيه باسم كركال ويوافق التقسيم المبراد في خريطة سيداليا بك داه من السودان تنقحه بالكتاب الأزرق الايطالي Blue Book ١٩٨٣ ج ١١ ص ٣٩





ودرع الدخان في القصارف ، وأنتج صفحا لا يقل جودة عن دخان الأناصول ، وأصعقه  
سحبون في جميع بواحي السودان<sup>(٧٧)</sup> ولما تبين ذلك ( ماش ) تحولوا للتصحر لزراعة  
حبور ( الزحاف )<sup>(٧٨)</sup>

وكثيرا تحصل في دقته ، ورد محصورا بمركب سنة ، وكان يعمل بك بربر و الخرطوم ومن

هنا يصل إلى أقاصي السودان حتى حط الاستواء-سواحلته .

### طرق المواصلات

تمثلت المواصلات بين مختلف بلدان السودان في عهد الحكم المصري ، والتي أهم  
الطرق التي كانت تسلكها القوافل أوالسفن<sup>(٧٩)</sup>

- ١- من الخرطوم إلى الأنص عاصمة كردلان - ١٢ مرحلة سير القوافل
- ٢- من الخرطوم إلى العاشر عاصمة دارفور ٣٢ مرحلة سير القوافل
- ٣- من الخرطوم إلى خندكرو ( الإصمعية ) بطريق النيل والمسافة بينها بالبر والبحر في ثمانية عشر يوما .

٤ من الخرطوم إلى قود رجب على بحر عطبرة - ست مراحل .

٥ من الخرطوم إلى دنقلة - ٨ مراحل .

٦- من الخرطوم إلى أبو حواز فالقصارف وتقطع المسافة بينهما في ثلاثة أيام بالبر والبحر ثم

خمس أخرى على ظهور الجمال

٧ من الخرطوم إلى عمود رجب مكسلا في ثمانية أيام ، ساء

٨- من القصارف إلى القلانات في أربعة أيام على ظهور الجمال

٩- من القصارف إلى ( البحيرة ) في يوم ونصف على الجمال

١٠- من القصارف إلى مكسلا في خمسة أيام بالجمال

(٧٧) النيل والسودان وعصر سبيل شيبو بك ص ١٠٩ .

(٧٨) هناك خمسة حبور في عدد مواكب من ١٨٨١ من ٣٦

(٧٩) كما ذكرها الكولونيل سوارث في تقريره بظفر بالكتاب الأولك الإنجليزي عن عصر سنة ١٨٨٣ ( ج ١٦ ص ٨ )

### أعمال السودان

بدأ في عصر محمد علي ( ص ١٨٠ وما بعدها طيبة أولى ) عمران السودان في عهد  
محمد علي ، ثم ذكرنا في الفصل الثاني-ج كتابنا الحالى ماتم على يد سعيد باشا إصلاح  
والآن نذكر أعمال عمران التي تمت في عهد إسماعيل ، هذا ما ذكرناه فيما تقدم من البيا

### استيابة الأمن

كان من أول ما هني به الحكم المصري في السودان بسط روافق الأمن ، وهو قيام عمران  
وأساس تقدم الرورعة والتجارة ، ويكنى دليلا على فصل الحكم المصري من هذه الناحية كند  
السير صمويل بيكر في هذا الصدد ، قال : « إن السائح الأوروبي يمكنه أن يجوب تلك  
الأصقاع السعيدة ، دون أن يخشى على نفسه أكثر مما يخشاه من يتتوه بعد غروب الشمس في  
حديقة عابديبارك ببلدان »

### الزراعة

وانشئت الزراعات المحلية في أنحاء السودان وخاصة في عهد إسماعيل باشا أيوب ، فقد  
عمل على توسيع مناطق ررع القطر . واستقدم لهذا الغرض كثيرا من آلات الري لتوفير المياه  
اللازمة للقطر ، وأُنشئ في هذا السبيل أموالا طائلة لشراء الآلات ونقلها عن طريق سواكن ،  
وأيضا معملان لخلع القطر في مكسلا والخرطوم<sup>(٧٩)</sup> . وكان في بيته إنشاء معمل آخر في ( بربر )  
لكه فصل عن حكميرية السودان سنة ١٨٧٦ ، وعين بذلك خردون باشا .

وانشئت زراعة القطر في السودان الشرق ، وأُنشئت أسواقا لبيع محصوله في مكسلا  
والقصارف ( أيوس ) والقلانات ، وصلو لكسلا أهمية تجارية كبيرة لكثرة مزرع القطر  
حرفا ، فضلا عن موقعها الأخرى

(٧٩) ذكرت الرقاع المصرية عدد ٤٨٨ الصادر في ١٠ مارس سنة ١٨٧٦ وأورد مطبع الأقطان بكسلا ، ويعد ذكر  
الزراعة في كتاب شيبو بك ، النيل والسودان وعصر ، ص ١٠٩

- ١١- من فوز رجب إلى مواكس في أحد عشر يوماً على ظهور الخيل
- ١٢- من مصروح إلى سييت (محصنة الوعيس) في خمسة أيام على بحر
- ١٣- من سييت إلى كسلا في سبعة أيام بالجمال
- ١٤- من غندكرو إلى الدملاي سيراً على الأقدام في تسعة أيام
- ١٥- من غندكرو إلى مبولو في ٣٤ يوماً سيراً على الأقدام
- ١٦- من غندكرو إلى فوريه في ١٨ يوماً سيراً على الأقدام
- ١٧- من غندكرو إلى لاتوكا في تسعة أيام سيراً على الأقدام
- ١٨- من غندكرو إلى مكركا في سبعة أيام سيراً على الأقدام
- ١٩- من القاشر إلى أسيوط في أربعين يوماً على ظهور الإبل

### المواصلات النيلية وفار الصناعة بالخرطوم

وأصلح عمري النيل في شلال (حكه) جتري وادي حلفا ، ونسخت الصخور والمقبات التي كانت تعترض السفن فيه ، فصار صالحاً للملاحة لنيلية ومرور السفن الشراعية والبواخر ، سهلت المواصلات بين مصر والسودان (٧٨) وأزيل جزء من السدود على النيل الأعلى (٧٩) . وأصلحت ترسانة الخرطوم التي كان إنشاؤها في عهد محمد علي ، وكثرت بها البواخر النيلية ، وبلغ عددها ١٥ باخرة وعدة دميات مصنوعة من الحديد والخشب ، وقد أرسلت هذه البواخر من مصر إلى الخرطوم بطريق النيل على الباهرة (الإسماعيلية) التي أنشدها الحكام لركوبهم إليها نقلت قطعاً مكنكة وركبت في ترسانة الخرطوم وانشئت في هذه الترسنة أربع بواخر حديثة (٨٠)

### الملاحة البحرية والقنارات

وأنشئ فئار في ميناء (بربره) من خليج حلفا لتسهيل السفن وتسهيل الملاحة . وفيها أيضاً رصيف لإيواء السفن بمصر

(٧٨) الوقائع المصرية العدد ٣٦٧

(٧٩) الوقائع المصرية العدد ٥٥٤ (٧) - ١٨٧٤

(٨٠) سيرة ملك من ١٧٩١

وعهد حيدر إسماعيل سنة ١٨٧٨ في لكونبول جريفر GRAVES والفاخ مقام محمد مختار بك (باش) - وشرطى السواند شحة مصر والواقعة على المحيط الهندي لاحتياض موقع بدءه في دار برشد سن في صرندج من المحيط وخليج عديده وقد اصطفا بهذه المهمة وحفظت من مبدء مختار بك خريطة هذه الجهة ومكان القنار وهو يقع على بعد ثمانية أميال جنوب رأس جردون (جردفوى) (١) وعلى مسافة ثمانية مائة من نصب بر صغير يجرى فيه الماء الصبب بود يعرف بوادي لشوره ولكن الفار لم ينشأ ، لإنهاء حكم إسماعيل في يونيو سنة ١٨٧٩

وتجد بالصحة الآتية خريطة رأس جردون وموقع الفار الذي كان مزمعاً إنشاؤه كما حفظها الفاع مقام محمد مختار بك

### مشروع السكة الحديدية

وعهد الخديو إسماعيل إلى جماعة من المهندسين تخطيط السكة الحديدية التي تصل السودان بمصر .

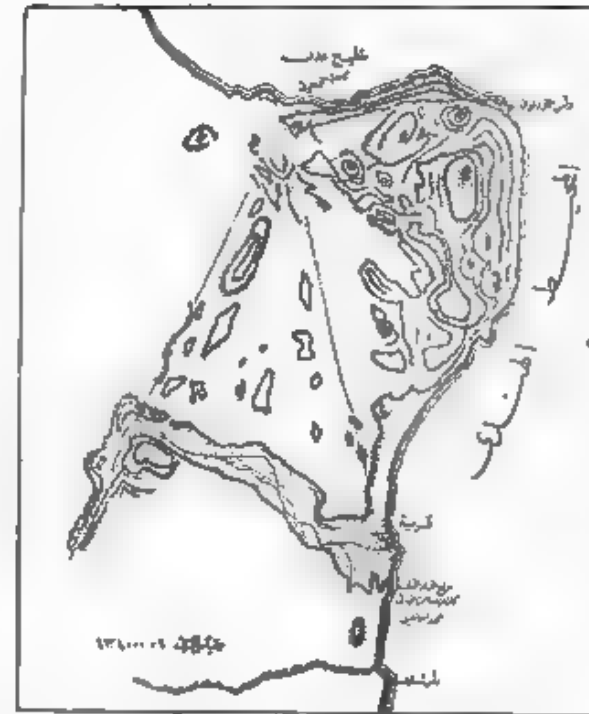
وشرع في مد الخط الحديدي على طول ايل من وادي حلفا إلى (حك) ، وأتم في ذلك نحو ٤٠٠ ألف جنيه ، ومد من الخط نحو ٥٧ كيلومتراً فقط من وادي حلفا ، ومهد الطريق على بعد ٤٧ كيلومتراً أخرى ، ثم وقف العمل سنة ١٨٧٨ بسبب ارتباك الحكومة المالية .

### المدارس

وأنشئت بعض المدارس كتدبير الأهالي وتعليمهم ، وعهد بالتدريس فيها إلى المخرجين من مدرسة الخرطوم التي أنشئت في عهد عباس الأول . وقد رأينا في (الوقائع المصرية) (٨١) وصف احتفال فخم أقامته مدرسة (بربر) لانتدالية ، مناسبة امتحان سنوى . أشد فيه نجباء التلاميذ القصائد المنظومة ، وتم الاحتفال

(٨١) نظره في الصحة المصرية بحرفه عدد ٩ (أغسطس - نوفمبر سنة ١٨٨٠ من ٢٦٩)

(٨٢) عدد ٢٦١ - ٢٦٠ ربيع سنة ١٨٧٤



رأس جردون - جردون

وكان من أملاك مصر على الجبل الذي في عهد الخديو إسماعيل ، حتى موقع القطار الذي احتزم إسماعيل باشا  
تأسيس سنة ١٨٧٧  
ومنه الخريطة مصورة من خريطة وضعها بالفرنسية اللواء محمد طاهر باشا ونشرت في مجلة الجغرافية الجغرافية  
سنة ١٨٨٠

على نظام المحطات المدرسية في عهد إسماعيل

وأشأ أمين بك ( باشا ) في اللاهوت عاصمة مديرية خط الاستواء مدرسة لتعليم أبناء الأهالي

ومستشفى ومسجد (٨٣)

(٨٣) مجلة الجمعية الجغرافية - عدد يوليو سنة ١٨٨١ من ٣٧

## التجارة

يسط الحكم المصري روافق الأمر في السودان ، فشطت حركة تجارة في بدايه . واتسع  
مطلق المواصلات التجارية بينه وبين مصر ، وانشتت فيه بيوت تجار كثر تتولى إصدار  
متاجر السودان إلى مصر وأوروبا وتجلب إلى السودان ووردات أوروبا ومصر ، وقد أثرت هذه  
اليوت ، وصار لها شأن يذكر ، وأكبرها بيت السيد أحمد العقاد ، وبيت علي أبي حموري ،  
وفرج الله الموصلي ، والحواجة عطاس ، وجيلو ، وامرواز وغيرهم . وقد مد هؤلاء حارسهم  
إلى أقاصي السودان ، وصار لكل منهم قوة مسلحة من السودانيين ، وأماكن للتجارة في  
عطف الجهات تسمى «مشارع» ، يقيمونها على شكل مربع من حروق الأشجار ، ويقم  
التاجر أو وكيله فيها بحراسة رجاله المسلحين ، ول هؤلاء الحراس مهمة أخرى ، وهي اقتناص  
الرفيق للتجار بهم في أسواق مصر ، وقد ذرت عليهم تجارة الرقيق ثروات كبيرة لما فيها من  
الأيام المظلمة ، وما يدل على اتساع غزو هذه البيوت التجارية أن (الوزير باشا) الذي صار  
له شأن كبير في السودان كان في بداية أمره وكلاء بيت علي أبي حموري .

ولما احتزم الخديو إسماعيل منع تجارة الرقيق عهد إلى ولاية السودان الاتحاق مع أصحاب  
«المشارع» على أن يتخذوا عنها للحكومة مقابل تعريصات تدفع إليهم .

وكانت هذه البيوت تتولى إصدار متاجر السودان ، كالعاج ، وريش النعام ، والحرير ،  
والصمغ ، والحبوب ، والفحم ، والمواشي ، والتمر الهندي ، والبن ، والكنحل ، وقرن  
الحريث ، وما إلى ذلك

وظلت التجارة مزدهرة في ظل الحكم المصري وبيع عدد بيوت لتجارة سموكه  
للمصريين في السودان ثلاثة آلاف بيت ، والسموكه لأوروبيين ألف بيت ، وبلغت واردات  
السودان في السنة مليونين من الجنيهات وصدراته مائة هذا التقدير (٨٤)

(٨٤) من بيان تقدمه التجار الوسيون والأجانب في مصر احتجاجاً على إغلاق السودان سنة ١٨٨١ ، وصحبه فيه ن  
حلاوة يؤدي إلى بوز مافهمه فيه (كوشري - المركز الدولي لمصر والسودان من ٦٨٦)

### البريد

عهد الخديوي إسماعيل إلى مونتشي بك مدير مصلحة البريد المصرية إنشاء مكاتب منتظمة للبريد في عواصم السودان ، فصدع بالأمر وأنشأ بها عدة مكاتب ، وأنشئت إدارة البريد في الخرطوم سنة ١٨٧٣ احتل بافتتاحها اجتماعاً فيها<sup>(١٨٥)</sup> .  
وأنشئت مكاتب منتظمة للبريد في الخرطوم ، ودققة ، وهرير ، وكسلا . وفتحت أيضاً مكاتب أخرى في سائر ، والمسلمية ، والقصارف ، وفاروق ، وكروج ، وفاشودة ، ولأبيض ، والقناشر ، وبقيت هذه المكاتب تؤدي مهمتها ، إلى أن تعطلت بعد شيوب الثورة المهدية سنة ١٨٨٣ ، وظل مكتب الخرطوم مفتوحاً إلى أن سقطت المدينة في أيدي الثوار سنة ١٨٨٥

### التلغرافات

بلغت الخطوط التلغرافية التي أنشئت في السودان نهاية سنة ١٨٧٠ ، ٢١١٠ كيلومتر ، وبلغ عدد مكاتب التلغراف في مدن السودان ٢١ مكتباً ، وذلك سنة ١٨٧٧ .  
وهاك بيان الخطوط التلغرافية والمدن التي وصلت إليها<sup>(١٨٦)</sup> .

- ١ - مصر دققة وهرير الخرطوم
- ٢ - الخرطوم - أبو مراد - الأبيض - ورجة
- ٣ - الخرطوم - نوحر - سلمية - سار - فاروق
- ٤ - سلمية - كجوه
- ٥ - نوحر - نصراف - كسلا - سبب - مصرع
- ٦ - كسلا - حرج - حرج (على مسافة) - ورجة
- ٧ - سركس - كسلا

(١٨٥) الوثائق المصرية لعدد ٥٤٨ (١١ مارس سنة ١٨٧٤)

(١٨٦) تقرير التكنولوجيا سوارث من السودان المنشور في الكتاب الأزرق الإنجليزي Blue book من مصر سنة

٨ - خصر - دوكه - جوف - خصر - القلانات

٩ - خصر - أسيرة (بالتقرب من حدود الحبشة)

وكان مركز هذه الخيول في الخرطوم وقد ظلت معه في عطف في عهد الخديوي  
مهدية .

### ميرانية السودان

ذكر حمدون باشا في رسالته ، ص ٢٨١ ، أن ميرانية السودان سنة ١٨٧٨ بلغت من الأرقام الآتية

٣٢٧,٠٠٠ جنيه دين السودان

٥٧٩,٠٠٠ جنيه إيرادات الحكومة

٦٥١,٠٠٠ جنيه مصروفاتها .

٥٧٢,٠٠٠ جنيه المحجز

### الرحلات والبعثات الخيرية

إن بسط سيادة مصر وسلطانها على وادي النيل قد مهد الطريق للاكتشافات والتحقيقات الخيرية والعلمية في أرجاء السودان ، فحفل عصر إسماعيل بالبعثات والرحلات التي أنعمها الخديوي لهذا الغرض على نفقة الحكومة المصرية . وقوامها ضباط أركان حرب الجيش المصري . وكان لهم الفضل الكبير في مددواقي الحكم المصري ، ونشر لواء الحضارة في السودان ، ولم يزل لا يتكرر في تقدم علم الخرافيا والاكتشافات ، بأنصافوا إليها من الحقائق العامة ، والبيانات المتكررة ، والخرائط والرسوم الدقيقة .  
وإنما ذكرهم بالفخر والإعجاب موجه أعمال هذه البعثات والرحلات المصرية . وما وصلت إليه من الاكتشافات الخيرية

فلو هذه البعثات حملة صمويل بيكر باشا إلى منبع النيل وقد أسلفنا الكلام عنها في سنة ١٨٧١ قامت بعثة برئاسة الأميرالاي (بوردي بك) Purdy أحد ضباط أركان حرب الأمريكان في الجيش المصري ومعه طاقمه من الضباط المصريين ، نجحوا

جهاز لواقعة بين النيل والبحر الأحمر ، من القاهرة والسويس شمالاً ، إلى قنا والقصر جنوباً ، وكتشور طرق المواصلات ومناجم المعادن واهاجر في تلك الجهات .

وفي سنة ١٨٧٣ سار الأميرالاي يوردي بك محرراً إلى موقع برنيس ( برنيق ) القديمة على البحر الأحمر ( عربي رأس بناس ) ولحقه بها الأميرالاي كولس Colston أحد الصباط الأمريكيان في الجيش المصري من طريق قنا برأ ، وتخطا الجهات المقفرة الواقعة بين برنيس و ( بربر ) على النيل وقصبا في هذه المهمة بقا وسبعة أشهر (٨٧) .

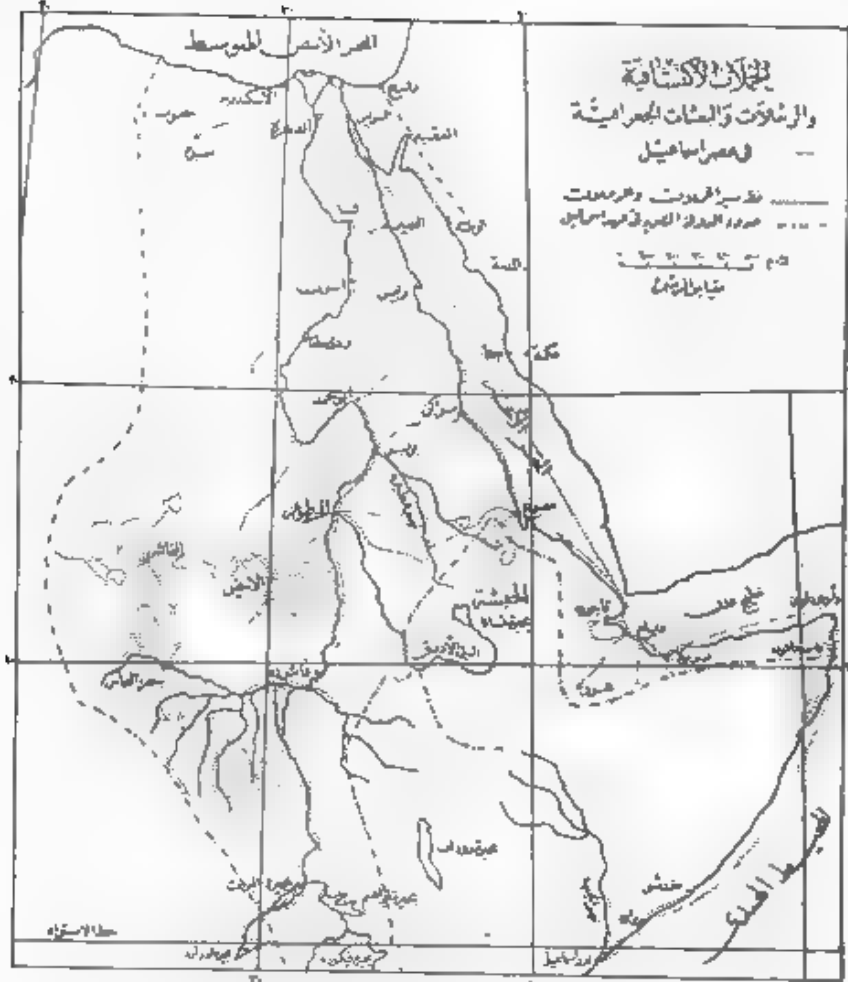
وفي سنة ١٨٧٤ اكتشف الأميرالاي شاي لوينج بك Chaille Long بحيرة إبراهيم كما يباء في موضعه ، واكتشف معظم مجرى النيل المعروف بنيل فيكتوريا ، وحقق بقعة كانت غامضة وهي أن نيل فيكتوريا يصب في بحيرة ألبرت ، وروم للطريق بين اللاموسكره جنوبى بحر الزغال

وبعد أن تم فتح دارفور سنة ١٨٧٤ أنفذ الحديو ثلاث بعثات كبرى مؤلفة من صباط أركان الحرب لاكتشاف جهات كردفان ودارفور .

البعثة الأولى برئاسة الأميرالاي يوردي بك ، ومن أعضائها القانمقم ميزون بك Maizon من الصباط الأمريكيان في الجيش المصري ، والملازمون محمود فتدي صبرى ( باشا ) ، ومحمد أفندي سامى ، وسعيد أفندي نصر ( باشا ) ، وعليلى أفندي حليم ، والدكتور محمد أفندي أمين ، ومهمتها اكتشاف جهات دارفور ، فكشفت المواقع وطرق المواصلات بين النيل و ( حفرة النطس ) بقصى حدود دارفور جنوبا بغرب (٨٨) ، وجابت أرجاء هذا الإقليم لعظم ، وكشفت من الطرق ما طوله ٦٥٠٠ ميل ، وحقت ٢٢ موقعا من المواقع الفلكية . ورسمت خريطة دقيقة لهذه البلاد .

والبعثة الثانية برئاسة الأميرالاي كلستون ، ومن أعضائها الصاغ أحمد فتدي حمدي ( باشا ) والأميرالاي بروث Prout من الصباط الأمريكيان في الجيش المصري ، والملازمون عمر أفندي رشدي ( باشا ) ، ومحمد أفندي ماهر ( باشا ) ، ويوسف أفندي

(٨٧) راجع لتقرير الأميرالاي يوردي من هذه الرحلة في مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ثمة عدد ٨ من ١٩٦ ، وتقرير الأميرالاي كولس باعثة المذكورة بمجموعة ثمة ٩ ( أغسطس سنة ١٨٨٦ ) من ٤٨٩ ، وبثت الأستاذ كور عن رحلة كولس من قنا إلى برنيس وخريطة الرحلة في مجلة الجمعية بمجموعة ٣ عدد ٧ ( سبتمبر سنة ١٨٩١ ) من ٥٢٣ .  
(٨٨) راجع بحث الأميرالاي ( القواد ) يوردي باشا عن هذه البعثة بمجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة عدد ٨ ( مايو سنة ١٨٨٠ ) من ٥ وخريطة المنطقة بهذا العدد .



ول سنة ١٨٧٧ حارب الأمير لاني مروب من (Mauit) عبيد الحرب) وانهم لاكتشف  
بعض بيدهم من صور صومال. ذكر (وصف ص ٥٠٠) أنه قد دسسه  
وقد المديرة سنة ١٨٧٧ بعثة برئاسة المستر بيرتوب لاكتشاف المعادن التي يجثمات (مطين)  
تجزئة العرب.

وحقق ضباط أركان الحرب برئاسة اليكاشي عبد الله بك هوري (باشا) حدود الحبشة  
والتي من الطريق من مصوغ وخرطوه ورشتر حريب.

وحقق حبشي مات موقع خر حراب.

وحارب الأمير لاني محمد مختار بك (باشا) بعض سودان شرقى حين كان رئيساً لأركان  
حرب السودان سنة ١٨٨٠ يصحب من ضباط أركان الحرب حليل بك هوري والأملازمان محمد  
حيدر الله وطلى خيرى، وله بحث مسهب في تخليط نو حراب - وانقصارف (أموس)،  
واقترانات، وطومات، وأليديب وطيرها من مدن السودان الشرقى<sup>(٩١)</sup>

واكتشف أمين باشا مدير خط الاستواء نهر السليكي الواصل بين بحيرة إدوارد وبحيرة  
البرت

ورسم ضباط أركان حرب الجيش المصرى سنة ١٨٧٧ خريطة لأفريقية، وهي أنق  
خرطة عرفت إلى ذلك الحين. اشترك في رسمها كل من الأمير لاني لوكث Leochetti،  
والأنتمقام محمد مختار بك (باشا) والصح عبد الله بك هوري، وعبد الرزق بك عطلى،  
والضابط عمود صبرى (باشا)، وأحمد فائق (بك)، ومصطفى كامل، وأحمد هبى،  
وحسن حارس (باش)، وحسن صلوب، وإبراهيم حليمى، وعبد حورب، وعبد خير  
الله، ويوسف صبا (باش)، وعلى حمد (باش)، وأحمد رشيد

وهذه الخريطة مودعه مصرى بمخطوطات الجمعية الجغرافية المصرية.  
ذكر لابرل ستون باش رئيس أركان حرب الجيش المصرى في عهد إسماعيل أن الجهات  
بحر حبه صعد أركان حرب وحفظوا، ورسموا مواقعها، بلغ في اتساع مداها مجموع  
سبعة آلاف وارب وألحا وخر<sup>(٩٢)</sup> حدودها القديمة. هذا يدل على عظم الاكتشافات

(٩١) مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ١ ص ٥٠٠ (يناير سنة ١٨٧٧ - فبراير سنة ١٨٧٨) ص ٥

(٩٢) مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ١ ص ١١ (مارس سنة ١٨٨١) ص ٥

(٩٣) الإطلاات المصرية في أفريقيا للبريدال ستون باشا - مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ٦ ص ٧ (يناير ١٨٨٥)

حس فدى هورى - والذكور معروفه Pfund العالم الطبيعى - وقد اكتشف  
وحدثت مندها وبدأها وطرق التوصلات فيها، ورسمت خريطة دقيقة  
من هذه سنة خلال الرحلة فيون ترسة منه، الأمر لاني بروب  
لفنى عضاء حشيت ثلاث سنوات يصعبون - مرسل ويظنون اندها وسيدعون

عبي الحبشة في سبيل الاصطلاح مهمتهم

والبطلة الثالثة: رئاسة للهنس الأمريكى مثل Michael<sup>(٩٤)</sup> يصحبه الضابط  
عبد التاج فدى قضى لاكتشاف المعادن بين النيل والبحر الأحمر، وقد كشفت هذه البحة  
مجم للذهب في (الحمامة) شمال كفا، ثم عريت بقوى البحر الأحمر وتخليج عدن،  
كمصير ومصير، وباسجوره، وريبع، وروعب في السهل، ثم عادت إلى مصير  
وكشفت الجهات الشرقية من الحشة

ورسم لرست ليان دى لمون (نيل ليان باشا) الطريق بين خندكرو ودويابا عاصمة  
لوعده، وقد قتل وهو عائد من مهمته، ومن بياناته وصح العلامة جورج شوهرت خريطة  
من تلك الجيوب

ورسم الكاشى محمد الفدى موت أحد ضباط متخير باشا خريطة الجهات الواقعة بين  
تاجوره وخيرة وأوسا باخيشة

ورسم محمد مختار بك (باش) وعبد الله بك هورى (باشا) خريطة بلاد هور، ورسم الأول  
خريطة الملية، ووضع خريطة أخرى لرأس حردقون<sup>(٩٥)</sup> (جودوى) وموقع الدمار الذى  
أصبح اجتماعا يشاهه في تلك الجهة كما نلقم بيانه

ورسم صاهار أركان حرب ددى باش جهات الواقعة بين هور وريبع  
ووضع ماكتفام عبد الرزق بك عطلى خريطة برره وملحقها

وكشفت حبه سوزا لى بعدها إسماعيل سنة ١٨٧٥ سواحل البحار الواقعة على الجريد  
صدى وحوب فدى (بار، سمعش) (سور شوى) - وهي الجهات التي قصدت إليها حملة كما  
لصفا في موصمه

(٩٤) ص ١ - عشار (من دهنس مامو وكان ملحقا باسم أركان حرب جيش المصرى بعد تقريه من هذه

مات في عك خليفة حمودى خيسون، كسيرة ١ عدد ٦ أكتوبر سنة ١٨٧٩) ص ٧ و ١٥

٩٥ (من النسخة) جودوى - من هذه العلامة حدد كر باش

والتحقيقات التي تمت على أيديهم

وقد صاغ كثير من مباحث هذه العتات ، لأن الاحتلال الإنجليزي نعد من يبدد أنهارها وحرانها وبجانبها العبة ، وذلك لكي يقطع الصلة بين جيشا القديم عهد به جيش الذي أنهه الإنجليزي بعد الاحتلال ، هل أن المباحث الباقية لأعضاء هذه العتات تحمل لصايط الجيش المصري أجل الخدمات للعلم والحضارة والعمران ، فإن الاكتشافات والعمليات الحدة المدي التي اصططلوا به جديرة بأن نعد من مفاحر تاريخنا القومي ، ومن الصفحات المشرفة في تاريخ الجيش المصري والصبايط المصريين

### الحكم المصري في السودان وشهادة الثقاة من الأجانب

ذكرنا في كتاب « عصر محمد علي » ( ص ١٨٢ من الطبعة الأولى ) أقوال الثقاة من الأجانب فيما بلغه السودان من العمران على عهد محمد علي .

والآن نذكر ما شهدوا به عن عمران السوداني على عهد خلفائه وخاصة في عصر إسماعيل

قال السير صمويل بيكر سنة ١٨٧٣ في كتابه ( الإسماعيلية ) : « أن مصر وحدها هي التي تستطيع تمدين أفريقيا القليلة بإنشاء حكومة نظامية ، وحسب أن تعد حدودها إلى خط الاستواء ، وبذلك تضمن حياة الساعين في تلك الأنظار ، واليوم قد أصبح امتداد حدودها الجنوبية إلى خط الاستواء أمراً واقعاً ، فافتحت أفريقيا الوسطى للحضارة والعمران » (٩١) .

وقال السير سوتزرا SUTZGER متصل المصا على عهد إسماعيل : « إذا علمنا ما كانت عليه الشعوب في تلك الأنظار من المسيحية ، وجب علينا أن نعد بصروعها لسلطة الخديو تدريجاً نحو التقدم ، فإن هذه الشعوب أنجلت تألف الإدارة المنظمة القائمة على قواعد لاستقرار والنظام ، ومن جهة أخرى فإن الأنظار السودانية التي كانت مغلقة قد فُتحت للتجارة والرحلات ، مما مهد السبل لتسول الحضارة إليها » (٩٢) .

وقال رودلف سلاطين ( باشا ) في كتابه ( النار والسيوف في السودان ) الذي وضعه سنة

(٩١) الإسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ٢١٢

(٩٢) تقرير سوتزرا المنشور في مجلة Revue d'Égypte للسير جاليفرود بك عهد مارس سنة ١٨٩٦ ص ١٦٩

١٨٩٥ حطب حلاصه من أمر التعايش (٩٣)

« إن السودان المصري يحكمه الآن ( سنة ١٨٩٥ ) الخليفة عبد الله التعايشي : الرئيس المستبد لدعاة المهدي ، وقد كانت السوات العشر من حكم المهديين كافية لشر المبودية في نواحيه ، ومن الحق أن نقول إن السودان ظل سيمين سنة وبها . منذ عهد محمد علي مستظلاً بالحكم المصري ، مفتوحاً للحضارة والمدنية . والمتاجر المصرية والأوروبية تزدهر في حرمه ، والدول الأجنبية توفد قناصلها إلى الخرطوم ، والسائحون على اختلاف أجناسهم يحربون خلال البلاد ، دون أن يلقوا بماتمة ، بل كانوا يلقون عطف ورعاية من ولاية الأمور . وانتظمت طرق المواصلات والتلغرافات وإدارة البريد ، فسهلت الاتصال بين أرجاء السودان القاصية ، وأدى الناس الشعائر الدينية بجله الحرية سواء في للساجد أو الكنائس ، وقامت مدارس البعثات إلى جانب مدارس الحكومة ، وعلى الرغم من تعدد القبائل التي تسكن السودان وما كان بينها من العداء ، ونحضرها للاتصال ، فإن حزم الحكومة وسلطانها كانا كافيين لتوطيد دعائم الأمن والسلام في عطف أصفاهه .

وقال في موضع آخر يصف تهذل الحلال بعد غيبة الثورة المهدية

« لقد شهدنا في السودان منظرًا محزنًا ، إذ رأينا الحضارة الجديدة التي دخلت مع الحكم المصري ، تتدهى أركانها ويتبدد صرحها بأيدي ألوان جهلاء بكادون يكونون من المسج ، فأسروا على أنقاض هذه الحضارة حكومة وضعوها نظاماً يشه في بعض أشكاله نظم الحكم المصري ، ولكنهم قضوا على ما ازدان به من العدل والتهديب ، فأقاموا في السودان صرح الظلم والاضطهاد ، ولا يكاد المرء يشهد في التاريخ الحديث بلاماً أخرى سادت فيها الحضارة للباشة زهاء نصف قرن من الزمان ، ثم انقلبت إلى حالة أقرب ما يكون إلى الممجية ، فإن الخليفة والقبائل التي تناصره ، بعد أن اغتصبوا سلطة الحكم وانزعجوها من أيدي المصريين . يحكون الآن الأهلي التمساء حكماً جائراً ، ويسوقونهم بعضاً من حديد ، ويسمونهم من الحسف والكمال ما جعلهم يتوقعون إلى التخلص من هذه الدولة ويتطلعون إلى حكمه بمحسون في ظله الراحة والسلام ، وليس أقل على مبلغ ما عاناه السودان في عهد المهديين أكثر من عاناه ما يقرب من ثلاثة أرباع أهله ، فمن اجتاحتهم الحروب والاضطرابات ، والأمراض المختلفة والتفتيل والتكبل . »

(٩٣) النار والسيوف في السودان للنسخة الفرنسية ج ٢ ص ١٨٤ وما بعده

وعلى كل موقع حر . لقد بعد العهد بحالة السودان تحت حكم إسماعيل ، إذ كانت حكومة مصر - حينئذ - ريوحه لواء الحاضرة والمدنية ، على حين كانت المقاع الخارجة من مصفاه السود نصير في حالة الانحطاط والدحر . فالسودان بعد أن رحلته حصاره في ظل حكم المصريين قد تعرفت إليه الحمجية على عهد لمهدين .

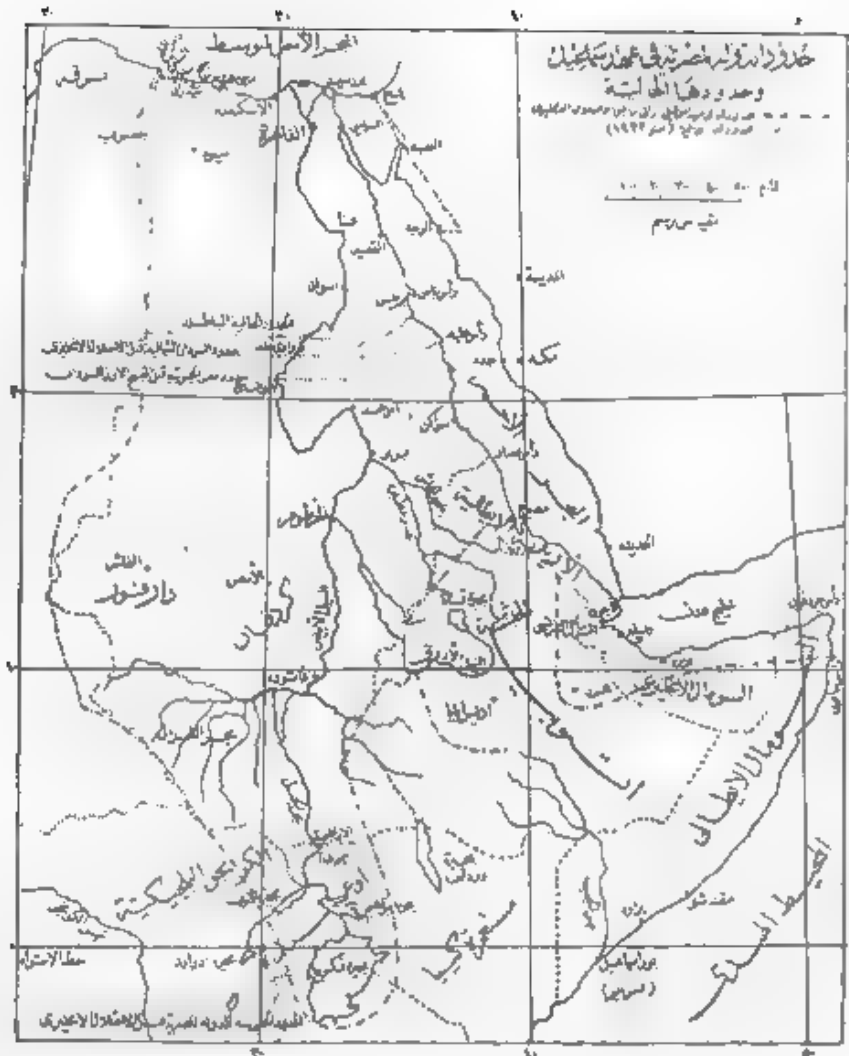
وعلى ما كان من رباط السودان مصر ، لما يجدر بنا أن نذكره ، على الدوام وتجدده عبرة وعظة لنا وقاعدة لا تبدل لسياسة في السودان

« رى رجا » عن أن أبين وجهة نظري في أهمية السودان وقيمته لمصر . وأبدي الرأي الذي ثبت في قرارة نفسي فأقول ، إن الأسباب التي دعت محمد علي منذ خمس وسبعين سنة إلى استلاك السودان لا تزال قائمة إلى اليوم ، فالسودان هو مصدر الحياة لمصر ، وكل جهودها يجب أن تنصب إلى صيانة وادي النيل من أية غارة أجنبية ، فإن كل خطوة تحطرها دولة أخرى نحو النيل ينظر إليها بعين الفرغ من كل من يقدّر خطر السيطرة الأجنبية على ذلك البر العظيم وما يجره من فضيحة سعادة مصر وتقسيمها وتعرضها لأخطار المضار .

### حدود السودان المصري أمس واليوم

اكتمل فتح المصري في السودان وبلغت الدولة المصرية حدودها الطبيعية على عهد إسماعيل ، فشمّلت جنوباً بحيرة ألبرت وبحيرة فيكتوريا والبلاد التي بينها ، إذ ضمت مملكة أوبيرو وسطت جانبها على مملكة أوغنده ، وبلغت شرقاً سواحل البحر الأحمر وخليج عدن ، ووصلت حدودها الجنوبية الشرقية إلى المحيط الهندي ، وضمت إليها في هذه النواحي سواكن ومصوع وريبع وبربره وهرر وسواحل الشمال الشمالية ، وصارت جميع شواطئ البحر الأحمر الغربية من السويس شمالاً إلى بوغاز باب فلتب جنوباً ملكاً لمصر وامتدت سلطتها إلى شرقي خليج عدن ، من بوغاز باب فلتب إلى رأس جردون ( جردوى ) ثم إلى رأس حافون الواقع على المحيط الهندي . وبلغت حدود الدولة المصرية غرباً إلى مملكة وادى الوقعة غربى درعور

واليك ما ذكره الكولونيل ستوارت Stewart في حدود السودان المصري سنة ١٨٨٧ ، في تقريره الذي قدمه إلى البرلمان البريطاني سنة ١٨٨٣ ( بعد الاحتلال الإنجليزي )





سنة وبيع وشرب فيه ، ، لكن وعصره ، وعصر - وندت فيه ، ومنعت من مشهود  
والأوج والعصا ، والأي -

ورجع خلدن مصر وسودان ، قصار ينهي عهد الخط ٢٢ من خطوط العرش ،  
وأصبح عهد سود - شهر بدأ عهد (عصر) شال ودي حلفا ، بعد أن كان العهد الخنوني  
لصغر على فتح لأول عهد (في عهد محمد علي) يقص إن حرية (سوى) حولي وادي  
حما - وكان يسمى من الاحتلال الإمبري على عد - وس - حولي ودي حلفا أيضاً  
وصارت سيوكي - وودي حلفا وس - حولي - ناهة لإدارة السودان المشتركة معقضي

الاتفاق الباطل للبرم في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

• • •

هو عرب من النجدية لدى ذكره ، و -

• بدأ حدود السودان المصري من صوصي ديس على البحر الأحمر (صح من ريس  
شبه) ، وتبع خطه ٢٤ من خطوط العرض التي في عطفه غير مبيد في جوف لصبر -  
جوبه بالقرب من خط ٢٨ من خطوط العرض - ومن هناك نحه اشد جنوباً غرب - حتى  
حتى دركي شهاب لغري من دارفور حيث خط ٢٣ من خطوط الطول ، ثم يتجه جنوب  
حتى يصل إلى ما بين الخط ١١ - ١٢ من خطوط العرض ، ثم جنوباً بشرق مار كويبرتر  
وعبره العرب إلى أن يصل بحيرة فيكتوريا ، ومن هناك يصعد شمالاً بشرق ويشمل إقليم  
هرير ثم يصل إلى شواشي ، فيجد احدى عد - من حردون (حردوي) ، ومن ثم يعود  
مخاضه الشامي ، حتى يصل إلى برمس و ١٧٧

ومعنى ذلك أن جميع وسائل البحر الأحمر لبرية ووسائل اسودان الشاله لواقعة على  
جميع عدل كانت من أملاك مصر ، وقد أُلحق الكولونيل ستوارت تقرير ، خريطة مسداليا  
بك (مدير دارفور) عن السودان بهذه الطريقة ، وهي مشهورة في الكتاب الأزرق المتقدم  
ذكره ص ٣٨ .

وعبر خلاف أن هذه الحدود قد تراخعت منذ الثورة للهدية والاحتلال الإمبري ، إذ  
تواطأت اختلاط مع الدول الأخرى على انقراض مصر من أطرافها ، فاحتلت انجلترا لوعده  
وأوبورو ومسطقه البحيرات والمجرى الجنوبي كله من مشيرة خط الاسود ، وصار احد الجنوبي  
للسودان يسمى الآن عند يبيرول (الإبراهيمية) بعد أن كان يشمل بحيرة فيكتوريا وبحيرة  
البرت ، واعتصمت احدى أيضاً محافظتي ربيع وبربر ، وأسست إيطاليا مصبح والأريزيه  
ورئيس حردون (حردوي) ، وروسا ناعوره وحسول ، والحشة بلاد هرر وني شتول من  
انجران فاروغل

ولا يمكن اهدرا بالتأخر على تقسيم أسلاف الإمبراطورية الإريشية العظيمة التي أسستها  
مصر مدتها ونودها وجهودها ، من شارك مصر في سيادتها على اسودان باتفاق ١٩ بدير  
سنة ١٨٩٩ ذلك لأعلى الباطل الذي حصل سوان شركة بين مصر وخنبر ، وأخذته  
عده سبلا - لا يترد حكم لسودان - وإقصاه نفوذ مصر الشرعي عن بلاد فتحها منذ مائة

(١٧٧) الكتاب الأول الإنجليزي من مصر سنة ١٨٩٣ ج ١١ ص ٩

## الفصل السادس

### الجيش

خلاصة تاريخ جيش في عهد إسماعيل أنه على الرغم من ضعفه وضعفه ومضاعفه فربه ، والوصول به إلى مستوى الجيش الكبيرة للأمم الحديثة ، وعلى أيضاً بمهمة التعليم الحربي ، فأشاد المدارس الحربية على أرق طراز حديث . واختار لها أكتفاً للمدرسين والضباط ، وأحسن المناهج الدراسية ، فكان التقدم في نظام الجيش يسير مطرداً مع تجديد التعليم في المدارس الحربية .

ولكنه في السنوات الأخيرة من حكمه أعمل شئون الجيش جملة واحدة ، فاجتهد نظامه ، ثم أنقل معظم المدارس الحربية التي أنشأها . وذلك لتضريب معنى المال ، وإرتباك أحوال الحكومة بسبب فداحة الديون التي اقترضها من غير حساب ، بحيث لم ينته عهده حتى كان الجيش المصري قد وصل إلى درجة هزينة من الضعف والارتباك .

تلك كلمة إجمالية عن حالة الجيش والمدارس الحربية في عصر إسماعيل ، فالشطر الأول من ذلك العصر هو دور التقدم ، والشطر الثاني يمثل عهد التأخر والاضمحلال .

في الشطر الأول بدل الخلفيو جهوداً كبرى في تنظيم الجيش ، وأرسل إلى فرنسا بعثة حربية تتألف من خمسة عشر ضابطاً من نخبة ضباط الجيش<sup>(١)</sup> ليقصروا زمناً في مشاهدة نظام الجيش الفرنسي . واقتباس خبرة قواده وضباطه ، فأعمرت هذه البعثة على ظهر السفينة الحربية المصرية « شير جهاد » وأقنعتهم إلى فرنسا . فاستقبلتهم الحكومة الفرنسية بالحدوة ، ودروسوا النظم العسكرية الفرنسية والاستحكامات والمناورات العمومية ، وغير ذلك من فنون الحرب وبقاتل . وجمعوا طائفة من المؤلفات الحربية المشتملة على أساليب الجيش الفرنسي ونظماته ،

(١) ذكرهم إسماعيل باشا مرهونك في كتابه ج ٦ ص ٢٠٨ وهم : شاهين باشا ، إبراهيم باشا السوارى ، علي بك رضا الهندي ، علي بك وهبي ، يوسف بك صديق ، محمد بك رضا ، محمود بك ساسي ، إسماعيل بك أنور ، عبد القادر بك حسني ، مصطفى بك بهسي ، صلي بك غالب ، محمد فتحي حمدي ، حسن أفندي مظهر ، محمد فتحي

وعدوا بها ليطبقوها في مصر ، وأخذ الحديو إسماعيل في تنظيم الجيش على نظام الجيش  
عربي الحديث .

ولم يكن بذلك بل أحضر من فرنسا بعثة حربية مؤلفة من بعض الضباط الفرنسيين لتنظيم  
مدراس الحربية المصرية . وجاءت هذه البعثة إلى مصر سنة ١٨٦٤ برئاسة الكولونل مرشر  
( بك ) Mircher ومعها ثلاثة ضباط آخرون وهم رباتيل Rebatal ولاسي ( باشا )  
Larmec ، وبولار Polard ، وألحق بهم الضابط دوبراردى بك الذى كان يخدم  
الحكومة من عهد سعيد باشا ، فتولى هؤلاء الضباط نظارة بعض المدارس الحربية ونظموا  
شئونها .

ولما شرع إسماعيل في تنظيم التعليم الحربي نقل المدرسة الحربية التى كانت بالقناطر الخيرية  
إلى قصر النيل ثم إلى العباسية ، وأنشأ بهذه الجهة عدة مدارس حربية أخرى بدل المدارس التى  
أنشئت في عهد محمد على وعفا أثرها ، واختار جهة العباسية لقربها من الصحراء حيث يسهل  
على التلاميذ القيام بالتمريعات الحربية وضرب النار ، ولأنه كان يراى السراى الفخمة التى أنشأها  
عباس باشا الأول ، وتقدم الكلام عنها ، والمباني الملحقة بها ، وكانت تصلح مقراً للمدارس  
والمعاهد والشكاك .

وجعل لهذه المدارس إدارة واحدة تدعى « إدارة المدارس الحربية » .

وقبلا على بيان المدارس الحربية التى أنشأها الحديو بالعباسية في أوائل حكمه :

١ - مدرسة الليادة ( المشاة ) أنشأها سنة ١٨٦٤ ، وكان عدد تلاميذها حين تأسيسها  
٤٩٠ تلميذ ، وتولى نظارتها محمد أمين بك ، ثم دى برنارى بك ، ثم منصور أفندى حسن ،  
ثم محمد وعنا أفندى ، ثم جعل لها مديري إدارة وهم على التتابع : محمد كامل أفندى ، ثم  
إبراهيم حاصم أفندى ، ثم محمد صالح أفندى .

٢ - مدرسة السوارى ( الفرسان ) ، أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها ١٦١ تلميذ ،  
وتولى نظارتها الضابط الفرنسي بولار ثم ياور بك .

٣ - مدرسة لطوبجية ( المدفعية ) والمهندسة الحربية ، أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها  
٢٨٠ تلميذ ، وتولى نظارتها الكولونل لارسي ( باشا ) ، وكان تلاميذها يتبحرون من بين  
طلبة مدرسة المهندسة ، وهذا يدل على رفق المستوى الطبى لتلاميذها وخرجها ، فاعزو  
أن نبغ فيها وفي مدرسة أركان الحرب طائفة من أكمل الضباط المصريين .

٤ - مدرسة أركان الحرب بالعباسية ، أنشئت سنة ١٨٦٥ ، وكان عدد  
مرشديها بك ، ثم شحاتة عيسى بك أحد خريجي بعثات محمد مر  
بنايتها مرشديها بك ، ثم لارسي باشا ، ويختار تلاميذها من  
أو المهندسة ، وتعد هى ومدرسة الطوبجية من أول مدرستين  
إسماعيل

٥ - مدرسة الحظيرة بالقلمة ، أنشئت سنة ١٨٧٤ ، وهو من  
والمرض سببا في خروج صف الضباط ، وتولى نظارتها القائد جبريل بك ،  
المدرسة طويلا .

٦ - مدرسة صف الضباط أنشئت سنة ١٨٧٤ .  
وقد خرجت هاتان المدرستان عدداً من صف الضباط الذين استخدمهم الحكومة في  
الاكتشافات الجغرافية بالسودان .

٧ - مدرسة الطب البيطرى ، أنشئت سنة ١٨٦٨ ، وتولى نظارتها السيد ليلو ، ووكالتها  
إسماعيل راضى أفندى ، وأحيلت نظارتها منذ سنة ١٨٧٠ على ناظر مدرسة الفرسان  
( السوارى ) .

٨ و ٩ - مدرسة قلفاوات الشيش ، ومدرسة الجيولوجية .  
وقد أقضت هذه المدارس في فواخر عهد إسماعيل ( فبراير سنة ١٨٧٩ ) لارتباك شئون  
الحكومة المالية ، واضطراب أحوالها الإدارية والسياسية ، وأنشئت بهذا مدرسة الحربية  
المتجددة في أبريل سنة ١٨٧٩ ، وعين لارسي باشا ناظراً لها ، وهو المدرس سابقاً إلى اليوم  
( ١٩٣٢ )

### هيئة أركان حرب الجيش

عهد الحديو إسماعيل إلى طائفة من الضباط الأمريكيين . هذه الهيئة  
المصرية ، تألفت هذه الهيئة من الضباط المصريين الذين عادوا من الحرب الحربية بفرنسا ،  
ومن الضباط الأمريكيين ، وجعل على رأسهم الكولونل ( جون ) ( جون ) ، وهو ضابط  
أمريكي على جانب كبير من الكفاءة والخبرة ، طاهر الالاء ، التحق به انتهاء الحرب

لأهلية ، وحده مصر وعرض خدماته على الخديوي محمد علي فأخذه بالجيش ، وعهد إليه سنة ١٨٧٠ برئاسة هيئة أركان حرب الجيش المصري . - آتت به من الكفاءة ، وأمر عليه برتبة اللواء ، فصار يعرف بالجنرال استون باشا ، وأصبح مهمته التي أسندت إليه ، واستعان على إحياء هذه الهيئة وتنظيمها بمطابقة من الصالح الوصفي وبمطابقة أخرى من ضباط الأمريكان ومن الميكانيكيين والهندسيين والخيلاء في علم طب طب الأرض . وأنشئ من هذه الهيئة قسم للجغرافية مهمته وضع الخرائط الطبوغرافية بدقة عبر حدود مصر والسودان ، وتبين تخطيط هذه الخرائط ضباط أركان الحرب المصريون وبعض الأمريكيين مرة أخرى بالرحلات الاكتشافية التي نكلمنا بها في موضعها ، فبدأت أهمهم غاية في الدقة والاحكام .

وانشئت مطبعة خاصة لهذه الهيئة ، لطبع رسوماتها وخرائطها ، ومكتب قيمة تحوى كتباً قيمة في الفنون الحربية وما إليها ، وألحق بها متحف حربي للأسلحة والتحف والتذكارات الخاصة بالجيش ، وتقدمت هيئة أركان الحرب تقدماً مطرداً لم يوقفه سوى رتباك الأحوال في أواخر عهد إسماعيل . وقام الثورة العربية ، ثم الاحتلال الإنجليزي<sup>(٢)</sup>

ولكن من الحق أن نقول أن هيئة أركان الحرب في عهد إسماعيل كاد ينقصها الاتصال المتين بالقيادة العامة للجيش ، فلم يتم التعاون بين الهيئتين . بل حبس التفويض بها ، وأدى إليه في الغالب صلف ضباط القيادة العامة ومعظمهم من الشراكسة الذين كان من أعص صفتهم الزهر والخيلاء . . وقد كان هذا السافر من أهم أسباب إغراق الحملة الفرنسية في حرب الحبشة ، كما تقدم بيانه ، وكان انفصال هيئة أركان الحرب والقيادة العامة من العوامل التي حالت دون وحدة الجيش ، وأضحت إلى صفه واضمحلاله .

### الصحافة الحربية

وانشئت صحيفتان لتثقيف عقول التلاميذ والضباط . أحدهما تدعى (جريدة أركان حرب الجيش المصري) والأخرى (الجريدة العسكرية المصرية) ، تولي تحريرهما ضباط الجيش المصري ، وقد اطلعتنا في دار الكتب الملكية على مجموعة من جريدة أركان الحرب ،

(٢) صدر مشور بالامام مصر موقفاً سنة ١٨٨٢ من اعزام الإنجليز وضع يده على الجيش المصري ، ولول في نيويورك

وهي مجلة شهرية . صدر العدد الأول منها في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ (١٠ يوليو سنة ١٨٧٢) ، واستمرت تصدر بانتظام عدة سنوات ، ورأب مجموعتها كاملة لغاية أكتوبر سنة ١٨٧٨ . وفيها مباحث قيمة لتجربال اسون باشا وليس أركان الحرب ، ولمحمد مختار افندي (باشا) . وسجاد بك عبد المعاضى للدرس بالندارس الحربي . وعبد الرارق بطشي (بك) . وأحمد بك عزى . وعبد الله بك عري . من ضباط أركان الحرب وغيرهم ، وكان الشيخ حسن الطويل العالم المشهور يصحح المجلة

ورأيت في العدد الصادر في ١٥ شوال سنة ١٢٩٦ (٢٤ يوليو سنة ١٨٧٤) مجلة تاريخية عن الحملة الإنجليزية على مصر سنة ١٨٠٧ وهزيمتها ، استخلص كاتبها وجه العبرة مما يقوله : « وإذا قلنا الله بغزو هذه الديار مرة أخرى فليذكر ضباط الجيش المصري غرورة سنة ١٨٠٧<sup>(٣)</sup> ، وبكى كل ضابط مصعباً على المدافعة والسب من وطنه ، ولا يرتكب العار في التسليم كما ارتكبه أمين أها ، بل يدافع بنفسه ويحاربه عن كل نقطة يشجه الهجوم إليها ، كما فعل على بك السلاتيكي الذي اكتسب الفخر والشرف ومنع العدو وصدّه عن الوطن في غزو بنكر رشيد رحمة الله عليه آمين<sup>(٤)</sup> ، فهذه العبرة بذلك عن الروح التي كانت تمتشى في مباحث المجلة ، وكيف كانت تبت في نفوس الضباط روح الواجب والقومية ، ومن المؤلم أن البلاد لم رزمت سنة ١٨٨٢ بغزوة المجرية أخرى كغزوة سنة ١٨٠٧ ، ولكن ضباط الجيش وجنوده لم يقوموا بالواجب الذي ذكروهم به جريدة أركان الحرب سنة ١٨٧٤ ، فكان ماكان من الخربة والاحتلال

### تجهيد السلاح والمصانع الحربية

وصى الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٦ بمعاين الأسلحة الفرنسية بصنع عدة آلاف من البنادق حديثة ذات الإبر المعروفة ببنادق (شاسيو) سنة إلى عمرها ، وسلاح بها الجيش المصري ورم حصون الإسكندرية . وجدّد أسلحتها ومدافعها . وجلب المدافع الصعبة من طرز مستخرج ، وركب في طوالي الثور ، وخاصة الإسكندرية . وهي المدافع التي كان لها عمل حسن ضد حربي الأسطول البريطاني مدينة الإسكندرية سنة ١٨٨٢ ، ولم تؤثر في مصر

(٣) راجع واقع هذه الحروب في (مصر محمد علي) ص ٤٠ وما بعدها (من الطبعة الأولى)

(٤) جريدة أركان حرب الجيش المصري للعدد ٦ من العدد الأول لسنة الثانية

لأسفله لعدم تحرر رماثها على استعمالها بسبب سوء تدبير الحكومة والعربيين  
وعلى إسماعيل بشأن المصانع الحربية ، التي كانت منشأة من عهد محمد علي . فنظم معمل  
حرس الرصد وأصلح من شأنه ، وصارت تصب فيه للدافع ، وصنع فيه الأدوات  
والآلات الحربية للجيش .  
وشيد بطره معملاً لصنع للأسلحة المدسة ، وآخر لصنع المدافع وآخر للبنادق ، عدا  
معامل الخرطوش والقنابل ، وأصلح مصانع البارود التي كانت موجودة عصر حتى أشهر  
ذكرها في الآفاق ، وأرسل سلطان مراكش بعثة من المعاربة ليتعلموا في مصر صناعة البارود  
والطبعة .  
وأصلح معمل الأسلحة بالإسكندرية ووسع نطاقه .

#### إنشاء ميدان للرماية والتجربات العسكرية ( البوليجون )

وفي عهد وزارة الأمير حسين باشا كامل ( السلطان حسين كامل ) للحربية وضع لارمي  
بث تصميم إنشاء البوليجون للتمرين على حرب النار ، وأجندت أوروبا المهتمين في بنائه  
بإشراف لارمي بك وسفاحي بك أحد أساتذة مدرسة أركان الحرب ، وجعل به عدة أقسام  
للتمرين ، منها قسم تمرين صباط المدعية على الرمي بالمدافع ، وقسم تمرين الصباط المشاة على  
الرمي بالبنادق ، وقسم لصف الصباط ، وقسم لتعلم النظرات العسكرية وقسم للإشارة

#### إدخال النظام الألماني

كان النظام الفرنسي هو المتبع في الجيش المصري ، ولكن الخديو إسماعيل اعتمد لتربيته  
على أساليب الجيش الألماني ، لما دأبت شهرته بعد انتصاره على الفرنسيين في الحرب  
السببية ، فأمر بترجمة الفواتير والخطابات الألمانية وتحويل الملابس وتغيير الأسلحة ، ولكن  
أرتباك شؤون الحكومة المالية في أواخر عهده حال دون الانفاق على الجيش وتجديده

#### إحصاء الجيش

ذكر إسماعيل باشا سرهك في كتابه ( ج ٢ ص ٣١١ ) إحصاء الجيش سنة ١٨٧٣ ، ومنه  
يتبين أن عدده بلغ نحو ٩٠.٠٠٠ مقاتل من جند وصاد وتلاميذ المدارس الحربية كاليان  
لآتي

٨٤.٥٣٠ جند وصف صباط

٠٢.٦٦٨ صباط وقواد

١.٨٩٠ تلاميذ المدارس الحربية

٨٩.٠٨٨

وعدا عدا الجيش المرابط في السودان ، وقد بينا أنه بلغ ثلاثين ألفاً ، أي أن تعداد الجيش  
المصري في مصر والسودان بلغ على عهد إسماعيل نحو ١٢٠.٠٠٠ مقاتل .

#### الانحياز للجيش إلى قائد عظيم

رأيت مما تقدم تطور حالة الجيش في عهد إسماعيل وعلمت ما أصابه من الضعف في  
السنوات الأخيرة من حكمه ، وترجع أسباب هذا الضعف إلى ارتباك شؤون الحكومة المالية  
التي كان نتيجة لقروض الخفير ، وإلى عدم التعاون بين قيادة الجيش وهيئة أركان الحرب ،  
ونقطة سبب جوهرى لهذا الضعف ، يترامى في عصر إسماعيل عامة ، وهو عجز القيادة العامة ،  
فقد كان الجيش يعوزده قائد كبير بصارع إبراهيم باشا في كفاءته وعبقريته . ويبحث في نفوس  
لحمد روح البطولة والهدوء والبسالة ، ولم يكن إسماعيل عن غرار أبيه في التسرع والعبقرية ،  
ولا وراث عنه صفاته الحربية ، ولم يألف خصوص غمار القتال ، ولا وجد بين قواده من يمد  
بمراغ الذي كان يملؤه البطل إبراهيم ، وعنى عن البيان أن حرمان الجيش مثل القائد العظيم .  
ومثل سليمان باشا العرتساوى أو القواد الذين ازداد بهم تاربع مصر الحربي في مباركة مصر  
وليونان وسوريا والآناسول ، كان العامل الأول فيما أصابه من الضعف

وقد ظهر الضعف في حرب الحشة سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ، كما بيناه في الفصل السابق ،  
وتبين أن أهم أسباب الخيبة في تلك الحرب عجز القيادة وسوء النظام ، وكانت هذه الخيبة

موضع دهشة المصريين والأجانب على السواء . فقد كانوا يعتقدون . - جيش مصري . من  
محمداً بنكاته التي نالها في حروب محمد علي أقوى حروب القرم . ولكن حرب خيبرية  
هذه مكنته وكشفت عن أعرض الصعاب التي صادت جيشه عن مر السيرة في عهد محمد  
محمد علي

وقد زاد في ضعفه ارتباك الحكومة بالملل ، وتدخل الدول في شؤونها . فإن هذا الارتباك  
أنهى إلى نقص بمخصصات الجيش ، وكان من أعمال وزارة بشار باشا الأول تخصيص عدد  
الجيش ، توفيراً في النفقات وسداً لجزء مالياتية ، فقررت بحالة ٢٥٠٠ صابط على  
الاستدراج ، وتسريح عدد كبير من الجنود ، واستمرت فساد الصحف تزداد وتتصقم . - إن  
ظهرت نتائجها مرة أخرى في وقائع الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ ، تلك الوقائع التي تعد  
صفحة مهيبة في تاريخ مصر الحديثة

• • •

## الفصل السابع

### البحرية

توفي خديو إسماعيل بحكمه والحرية المصرية في حالة سيئة من التآخر وضعف . فقد  
اضمحلالاً كما قلنا في عهد عباس . ولم يصل سعيد باشا على إحيائها ، لم تقيه من العذاب  
من ناحية تركيا

لأخذ إسماعيل في أوائل حكمه يعني بتجديد الأسطول ، فبث النشاط في ترسانة  
الإسكندرية ( دار الصناعة ) ، وأحيا معاملها ومصانعها ، وجلب لها المال من الإسكندرية  
ومن داخل البلاد ، واستحضر لها الآلات والمعادن ، فساد إليها نشاطها الذي كان لها في عهد  
محمد علي .

وأشبه بها بعض السفن الحربية في عهد ولاية عبد اللطيف باشا ، ثم شاهين باشا ،  
لوزارة البحرية ، وباسم الأول منها سميت البارجة « لطيف » وتم في عهد الثاني بناء البارجة  
« الصاعقة » .

وأوصى الخديو بصنع عدة سفن حربية مجهزة في ترسانة أوروبا  
وحدد المدرسة البحرية بالإسكندرية ، وأنشأ مدرسة بحرية أخرى بمجرى الترسانة ، أحضر  
لها المدرسين الأكفاء من مصر وأوروبا ، وعهد بنظارتها إلى ضابط من ضباط البحرية  
الإنجليزية ، يدعى مكيلوب ( باشا ) . ووكيله ضابط مصري كصفه وهو عبد الرزاق بك  
درويش ، ثم نولى هو نظارتها من بعده<sup>(١)</sup> . ومن كبار فوائدها سليمان قبودان حلاوة<sup>(٢)</sup> من  
مشاهير ضباط البحرية . وتنحدر تلاميذ هذه المدرسة من أبناء طلبة المدارس الأميرية  
، لأبتدائية . وكانت تدرس فيها العلوم ونجوم البحرية التي تدرس في المدارس البحرية  
(أوروبية) . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . واختبرت الحكومة طائفة من حريجه

(١) اودع بحرية العدد ٢٩٨ - ٢٩ مارس سنة ١٨٧٥

(٢) اودع بحرية العدد ٢٤١ - ٢٣ يناير سنة ١٨٧٤

وأولدهم إلى إنجلترا لإتمام العلوم البحرية ، منهم ثمان لتعلم من إنشاء السفن . وها حس  
مريد أفندي ، وحشمت أفندي ، واثان لتعلم الميكانيكا البحرية ، وها محمد أنيس أفندي .  
ومحمد عارف أفندي ، ولما عافوا إلى مصر التحق بفار الصناعة بالإسكندرية . ومن هذه  
مدرسة مخرج إسماعيل باشا سرهنت . مؤلف كتاب حقائق الأحبار عن دول البحار . ووطر  
المدرسة الحربية المتقدمة .

بعد الحديوي إسماعيل كما نرى جهوداً ممتدة في إحياء البحرية المصرية ، ولكن عقبات  
جدة اعترضت في سبيله . ذلك أن الحكومة التركية رأيت البحرية المصرية أداة بأسب  
النشاط والقوة . وعلمت بأن إسماعيل أوصى على ثلاث مدرعات في فرنسا ، ومدرعتين  
أخريين في النمسا ، وأن هذه المدرعات قد تم صنعها ، وأرسل الحديوي سنة ١٨٦٨ طوافها من  
المصايط والبحارة ليشيروها ، فاعترضت على تسليمها ، وتلوهت بأن القرمات لا تبيع لمصر  
إنشاء السفن الحربية المدرعة ، فأنهى الخلاف بأن ابتاعها تركيا لنفسها .

وكان هذا الاعتراض بإيماء من إنجلترا التي يسودها أن تجدد مصر قوتها البحرية .  
فاستخدمت نفوذها لدى الاستانة لتتحول دون هذا التجديد ، وقد وقعت إنجلترا هذا الموقف  
دائه في عهد عباس ثم في عهد سعيد . وكانت بذلك تعمل على خطة ومجتبا لنفسها منذ أنشأ  
محمد علي الكبير الأسطول المصري ، وهي إضعاف قوة مصر البحرية ، لكي تأسر على سيطرتها  
في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر .

### خدمات الأسطول

ورغم ما اهرص الأسطول من انقبات ، فإنه أدى خدمات لا تترك ، فقد اشترك في  
عدة حملات حربية على ظهر البحار ، كحملة كريت ، وحرب البلقان ، فكانت سعة نقل  
الجوهر المصرية إلى المحطات التي تقصدها . وكان صلة الاتصال بين مصر وبنوعها وأملاتها  
المرمية على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي . وقد أثبتت سعة خدمات العسكرية  
التي أرسلتها مصر إلى تلك النعمر البعيدة . كمصوع ، وريبع ، وبيرونة ورأس جردون  
( حردوي ) ، كما أثبتت الحملة التي أقيمتها إلى بلاد الصومال ، ووصلت إلى ثمر تسايو  
( بور إسماعيل ) شمال زنجبار على شاطئ المحيط الهندي .

وخدمات مصر سعة حول هذه ( فوجيه ) مشتقة من بحر الأبيض المتوسط إلى البحر  
الأحمر عن طريق إدينبورج لأعضه ورأس برجاه الصالح على أن تشق عدة سوس

### إحصاء الأسطول

أخصي علامة على دات مارت " الأسطول المصري في عهد الحديوي إسماعيل ، فذكر أن  
عدده ١٤ سفينة حربية . وهي عروسه مصر حربية . محمد علي شيرجهاد لطيف  
دفعه مصر سعة خرصوه أسيد و ثلاثة مراكب أخرى صغيرة  
ولإسماعيل باشا سرهنت إحصاء آخر ، فقد قال ( ج ٢ ص ٥٥ ) أن عدد سفن لأسطول  
١٨ سفينة حربية ، وذكر ( ص ٢٨٧ ) أسماءها مع ثلاث بواخر حربية أخرى مخصصة لركوب  
الحديوي ، وهذا يابا :

اسم البارجة	عمل إنشائها	نوع مدنها	عدد مدافعها
١ - محمد علي ( قرقاطة )	أمريكا	حديد وخشب	٢٨
٢ - شيرجهاد	نريستا	خشب	٢٨
٣ - لطيف كورفت	الإسكندرية	خشب	٦
٤ - الخرطوم ( مدعية )	إنجلترا	خشب	٥
٥ - دنقلة ( مدرعة )	إنجلترا	مدرع	٨
٦ - الماعقة ( كورفت )	الإسكندرية	خشب	٨
٧ - سار ( مدعية )	إنجلترا	خشب	٧
٨ - ربح نرد ١	فرنسا	مدرع	٢
٩ - ربح نرد ٢	فرنسا	مدرع	٢

### ثلاث بواخر حربية لركوب الحديوي

١ - بحريون	لندن	حديد	٨
١١ - مصر	طولون ( فرنسا )	حديد	٦
١٢ - العربية	طولون ( فرنسا )	حديد	٤

## طائرات وسفن النقل

م. ل. ر. ح.	نوع معدنها	محل إشتائها	عدد مداهنها
١٣ - بطور	حديد	البحر	٢
١٤ - أسود	خشب	البحر	٤
١٥ - شدى	خشب	البحر	٤
١٦ - أسود	خشب	الإسكندرية	٢
١٧ - الحمراء	حديد	البحر	٣
١٨ - سمود	خشب	البحر	٢
١٩ - نور الهدى	حديد	البحر	٢
٢٠ - بحر	حديد	البحر	٢
٢١ - عجمي	حديد	البحر	٢

لن هذا الإحصاء ومن مقارنته بإحصاء الأسطول النسخم الذى كان لمصر في عهد محمد على (عصر محمد على ص ٤٣٢) يتبين لك مبلغ ما أصاب البحرية المصرية من الضعف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم إذا قارنت هذين الإحصاءين بحالة أسطول مصر الآن - ١٩٣٧ - (أى بعد الاحتلال الإنجليزي) وبحت حيثاً بين هو الأسطول وم يتألف؟ وماذا يعمل؟ يهرك الدهش والأسى والألم، لا سدام قوة مصر البحرية في عهد الاحتلال

## الأسطول التجارى

لما وجد إسماعيل، بمرسه من عقبات في سبيل تجديد الأسطول احرى، وجه عنايته بر الأسطول التجارى، فأشأ شركة للملاحة التجارية - سميت الشركة العربية - سبة إلى السلطان عبد العزيز، أعاد بواخرها لنقل المسافرين ونقل المتجر إلى ثور البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، بعد أن أبطل الشركة الخفية التى نشأت في عهد سعيد باشا، وجعل رأس مال الشركة الجديدة مورعاً على أسهم ليشترك الأفراد فيها

وكتب حاجة من سرة المصرية في رأس مالها. ونخصص لها الخديو صبح بواخر كانت موجودة من قبل، وأوصى بإشء بواخر جديدة في الخلفاء، وجعل على قيادة هذه البواخر ضباط بحرية القدماء الذين تركو خدمة الأسطول منذ التمهيد، وكذلك بحارته، واتاحت وزارة البحرية هذا، ذلك عدة سفى شرايف كبيرة لنقل الأخشاب اللابة لوزارق البحرية والمحربية من بلاد الأناضول، فكان الأسطول التجارى المصرى يتوجه من البواخر والسفن لشريعة بالغا حرجة كبرى من التقدم

وكان لبواخر (الشركة العربية) عمل كبير في نشاط حركة التجارة الخارجية لمصر، وتسهيل مواصلاتها البحرية مع الأنصار الأخرى. وزاحمت شركات الملاحة الأحاء في هذا الصدد، ونجحت في عملها، وامت إيراداتها، وربحت الأرباح الوفيرة، ثم ابتاع الخديو إسماعيل أسهمها، احتكاًراً لأرباحها، وحوها إلى إدارة من إدارات الحكومة عرفت بمصلحة (وبورات البوستة الخديوية)، فاستمرت مطردة النجاح واتسع نطاق عملها، وصار لها من البواخر الكبيرة ست وعشرون باخرة<sup>(١)</sup> تجوب البحار واطعة العلم للمصرى، وتنقل الناس والمتاجر والعريد بين ثور مصر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط في سوريا والأناضول وبلاد اليونان، وشواطئ القردنيل والبوسفور، وتور البحر الأحمر كسواكن ومصوع وبجدة والحديدة، وتجار بوظاز باب المنجب إلى ريلع وبربر.

وقد ألحق بهذه المصلحة الخوض العام الذى أنشء بميناء الإسكندرية، ونخصص بواخرها معمل (قارينة) في ترسانة الإسكندرية للقيام بما تحتاجه من الإصلاح. وبقيت هذه الإدارة الكبيرة ببواخرها وملحقاتها كالخوض وقارينة للترسانة ملكاً للحكومة، إلى أن باعها في عهد الاحتلال، إلى شركة إنجليزية، بأغس الأثمان، فانتقلت تلك سفنات البحرية العظيمة وهذه القوة القوية المضخمة، إلى أيدي الإنجليز، وأزرن العلم مصرى عن بواخرها، واستبدل به العلم البريطانى، فكانت نكبة، وكان خسران.

(١) حى - الرحانية مالكا القوم البحرية الشرقية الخلية ططا شدى شوى صوب كوفى - حنود  
البا مصرى سبر للصورة ططا النجيلة صوب الزريق. الخلفاء الجديدة ببح الصبح. سواكن  
مصر (كتاب إحصاء مصر سنة ١٨٧٣ - حى ٤٧)



### إنعام ميناء السويس

١- إنعام أصحاب الإصلاح في ميناء السويس ، وإصلاح ميناء الإسكندرية ، وإنشاء القنارات البحرية ، هي من أعمال العمران التي تحصل بالبحرية ، ولذلك نتكلم عنها في سياق الحديث عن البحرية في عهد إسماعيل

شرح سعيد باشا سنة ١٨٥٦ في إنشاء ميناء جديد بالسويس لسهولة إيواء السفن ، فجعل من البحر مرفأين ، أحدهما يسمى ميناء إبراهيم ، جعل للبوارج الحربية ، وجعل الثاني للسفن التجارية ، وأقيم حاجز من الأحجار لصد الأمواج عن الميناءين ، وبه الميناء لتتولى السفن وحروبها

وشرح في إقامة حوض لعبارة السفن ، وقد استمر العمل في إنعام هذه المشروعات إلى أن كملت في عهد إسماعيل ، وبلغت تكلفت الحوض والجسر الذي يصله بميناء السويس ٢٤٠,٠٠٠ جنيه ، وقد تنازلت عنه الحكومة المصرية في عهد الاحتلال إلى الشركة الإنجليزية التي اشترت وإبورات البوطة الحديدية

### إصلاح ميناء الإسكندرية

لما اتسعت حركة العمران وازدادت المواصلات البحرية في الإسكندرية شرع إسماعيل في توسيع مينائها وإصلاحه ، واعتمد إنفاذ هذا الإصلاح بعدما أنشئت بورسعيد وقارب مشروع قناة السويس إنعام ، فقد عتق أن تراحم بورسعيد الإسكندرية ، وتحويل إليها حركة التجارة الخارجية ، فاعتمد توسيع ميناء الإسكندرية لتجذب إليها السفن في غلدها ورواحها فأول ما بدأ به إقامة حوض عام من الحديد لإصلاح السفن ، بدل الحوض اللبني بالحجر من عهد محمد علي ، والذي صار مع الزمن لا يفي بإصلاح السفن ، وخاصة كبيرة الحجم ، وقد جلب الحوض الجديد من فرنسا سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م)

ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخم الذي يقى المياه طغيان الأمواج ، ويحفظ السفن الراسية به من من الغواصات ، ولا يزال قائماً إلى اليوم ، وهو جسر من اللش والأحجار الضخمة

والصخور ، يمتد من طرف شبه جزيرة رأس لن إلى جهة العجسي ، وبه الميناء لمروء البحر منه ، وأنشأ بداخل الميناء وصفاً للشحن والتفريغ بأوصاف أخرى ممتدة في داخل الميناء وكانت هذه المشروعات من أعمال العمران الضخم التي انقضت جهوداً كبيرة ، وكلفت الخزنة نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات . وقد عهد بها الحديد إلى شركة المحلرية تسمى شركة حرقلا ، وبه في العمل سنة ١٨٧١ . ولم يتم الا بعد تسع سنوات سنة ١٨٧٩

### القنارات

وأنشأ عدة قنارات في ثغور البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر لإرشاد السفن وتسهيل الملاحة البحرية .

وهذا بيانها :

في البحر الأبيض المتوسط : قنار البلس ، أنشئ سنة ١٨٦٨ ، وقنار رشيد سنة ١٨٦٨ ، وقنار دمياط ( تجاه رأس البر ) سنة ١٨٦٩ ، وقنار بورسعيد سنة ١٨٦٩ ، وقنار المعجمي سنة ١٨٧٣ ، وقنار حاجز لليناء سنة ٨٧٦ ، وقنار القباري سنة ١٨٧٧ ، أما قنار رأس قنن الكبير فهو متناً من عهد محمد علي .

في البحر الأحمر : وكان بالبحر الأحمر من القنارات قبل عصر إسماعيل قنار زونيا ، وقنار الزهران جوى السويس ، وقنار الأشرف ، وقنار أبي كيزان ، فرأى الخديو إسماعيل في هذه القنارات لا تكفي لإرشاد السفن في البحر الأحمر ، لكثرة صخوره وعماطه ، فأنشأ قنارات أخرى وهي .

قنار السويس . وقنار رأس الغرب جنوبي رأس الزهران ، وقنار صخور الأخوين الشمالية ، وقنار جزيرة شلوان الذي تم سنة ١٨٨٩ ، وقنار ( الوجه ) من ثغور الحجاز<sup>(٥)</sup> وأنشأ في خليج عدت بالأقباقوس افندي قنار بربر ، السابق الكلام عنه ، وأمر بإقامة قنار في جردوى ( جردوى ) سنة ١٨٧٨ ، ولكنه لم يبن كما تقدم بيانه ( ص ١٦٥ )

• • •

(٥) كانت مصرية ( الوجه ) تابعة لحكومة مصر

## الفصل الثامن

### حروب مصر في عهد إسماعيل

حاصت مصر في عهد إسماعيل عدة حروب عشت في أعقاب وثاقتها ، ومنصتها بما دعه تركيا بن حوصه عارها سنده جيشها ، ما حلا حروب السود ، ، فقد كاسب اسكرا من لحنيو إسماعيل ، لسه يعود مصر في ماطل إفريقيا وشرقها ، والوصول إلى الحدود الطبيعية لواءى النيل . وحرب . لحنة التي كانت حرباً عقياً من كل الوجوه ولم يكن للحروب التي حاصها مصر ثلية لطلب تركيا من نتائج عملية مصلحة مصر سوى أن إسماعيل كان يتجدها في الحملة ، درية لاستصدار مرابا وحقوق جديدة تقرب مصر من استقلالها التام ، ومن جهة أخرى فيها كانت مباحين لمران الجيش المصرى وحجوده وصباطه على ممارسة القاد والإفادة من تجاربه ووقاته

### ١- إجماد لوزة الصير

في أوائل عهد إسماعيل مار الأمير محمد بن حانق أمير الصير على الدولة العثمانية ، وقصد الاستيلاء على تامة إلى ، فطاربه متصرف الجديدة ، وصدة في بعض المواقع ، ولكن الأمير استعمل فره وستون على بعض المدن ، فاستجدت اسطان عبد الحميد بإسماعيل . وطلب منه أن سدد جيشاً مصرياً لإجماد الثورة على إسماعيل عليه . وأقصد إلى عير قوة من ثلاث أوط من المشاة ، وودعا ديداع وكاتب ليرسان . وعقد لواء عبادها للأمير الامى إسماعيل صادق بك ، فلما وصل إلى شبر حدة ، اتفق وواله على حريد الحملة لمصرية صحة الميرة الخمانية على الثور من جهة ( قنده ) فتمسك من إجماد الثورة . وقدم الأمير محمد بن عانص طاعة ثم عدت . معرفة للمصرية طافرة مشكورة على ما ألبته في القتال ، وأنهم لحنيو على عاندها رتبة اللواء مكافاة له على ما أبدى من الشجاعة والكمالة في القيادة ، وأرسل السلطان إلى حديو كتاب شكر وثناء

على ما بدله من الحماية والولاء ، وتوسط إسماعيل لدى السلطان عبد العزيز في العفو عن الأمم  
الناثر ، قبل شفاعته وحمايته وأقره في إمارته

## ٢- حرب كريت

قامت سنة ١٨٦٦ ثورة في ولاية المرسث إحدى ولايات البدون بحريص أمير الحبل  
أسود ، مجردت تركيا حيوشها لمناقلة الثروة ، ولما تولى إسماعيل عرش مصر طلبت إليه  
حكومه بمناحية أن يحرر جيوشها في الروملى بميش مصرى حتى لا يفتوى مساعد الثوار  
ولا ترداد اضطراباتهم في تلك الجهات ، فأعد إسماعيل باشا مرة تولى قيادتها اللواء على غالب  
باشا ، فوصلت الحملة المصرية إلى الاسنة ، وعرضها السلطان ، ثم سارت عن طريق  
( سلايك ) إلى ( مناستر ) ورابطت هناك .

ثم نبت ثورة عامة في جزيرة ( كريت ) سنة ١٨٦٦ ، وعجزت تركيا عن إخمادها إذ كان  
جودها موزعين في ولايات البلقان ، ولم تقو الحماية التركية في الحرية على مقاومة الثورة ،  
فاستجبت بمصر ، وأرسل السلطان عبد العزيز إلى الخديو يطلب إليه إعادة بعض فرق الجيش  
المصرى إلى الجزيرة لمقاتلة الثوار ، على الطلب ، وأخذ جيشاً مؤلفاً من خمسة آلاف مقاتل  
وبعض ، عقد لواءه للفرق شاهين باشا ، أحمد قواد الجيش المصرى المشهورين ، يعاونه اللواء  
إسماعيل صادق باشا ، وكان من ضباط الجيش المصرى في هذه الحرب راشد بك حسنى  
( باشا ) الذى عظم شأنه في حوادث الثورة العربية ، وأبلى البلاء الحسن في واقعة  
القصاصين ، ومحمود سامى بك البارودى ( باشا ) الذى صغر من كبار زعماء الحركة العربية ،  
وفي هذه الحرب كانت نشأة البارودى الحربية .

أقلعت الحملة إلى جزيرة كريت ، نقلها حملة من الأسطول المصرى مؤلفة من عشر  
سفن ، معفود لواءها للأميرال قاسم باشا ، وتولت هذه الحملة نقل القوة المصرية التى  
كانت مرابطة في ( مناستر ) وجاءت بها إلى الجزيرة .

نزلت الحملة في كريت ، فاشيكت والثوار في جهة تسمى ( أبوفرون ) ، جرح فيها اللواء  
إسماعيل صادق باشا جرحاً بلياً نقل على أثره إلى مصر ، وتبدلت القيادة العامة للجيش  
المصرى . إذ استدعى شاهين باشا إلى مصر وعين بهلث الفريق إسماعيل سليم باشا وزير الحربية

وقد تقدم كما تقدم بيانه ( ص ٨٢ )

ومن حسنة ربه وقادى ، وكانت من أعظم وقائع الحرية ، حرم فيها الثوار  
هزيمة كبرى ، وحسرو خسائر عظيمة ، وأبلى فيها الجنود مصريون بلاه حسناً في القتال ،  
وأسو من الشجاعة والإقدام ما حلد ذكرهم ، وكان راشد بك حسنى وأبلى أكثرهم  
مداً . فأمر عليه الخديو برتبة اللواء ، وأرسل الجيش المصرى كتاباً بلياً من إنشاء المرحوم  
عبد الله باشا فكرى ، بنى فيه على حس بلاه الجنود وصبرهم وقوادهم ، وسجل لهم  
ما أبدوه من شجوب الشجاعة والكفاءة

واستمرت الحرب سجلاً حتى انتهت الثورة ، فعاد الجيش المصرى إلى مصر ، وقبول  
مظاهر الحفاوة ابائنة ، وأقام الخديو لأفراده الولائم تكريماً لهم عن حسن بلائهم في القتال

## ٣- حرب البلقان

( ١٨٧٦ - ١٨٧٧ )

كانت روسيا لاقتغا تعرض إمارات البلقان على الانتقاض على تركيا ، لكن تعهد نصحتها  
الدخول في حومة الوعى بعد أن توزع تركيا قواتها في إخماد الثورات المحلية ، فمن ذلك أنها  
بادرت بتدوير الثورة في تلك البلاد حتى شب أوارها في المرسك سنة ١٨٧٥ ، وامتدت إلى  
البوسنة ، وقامت للصرب تشدد أوزر الثوار

فطلبت تركيا من الخديو إسماعيل إمدادها بنجيد ، من الجيش المصرى ، فأعد الخديو قوة  
من نحو سبعة آلاف مقاتل بقيادة الفريق راشد باشا حسنى ، ومن صباطها محمود بك نصيب  
( باشا ) الذى صار فيما بعد من زعماء الثورة العربية ووزرائها . وصاحب كتاب البحر الزاخر  
في تاريخ الأوائل والأواخر .

أقلعت الحملة إلى الاسنة . ثم قصدت إلى حدود الصرب ، فاشتكت والجيش المائل  
في قتال انصريين ، وقازت عليهم ، وأظهرت شجاعة وبسالة في المواقع التى خاضتها . بما دها  
الخديو إلى الإيعام على طائفة من قوادها وصباطه بالرتب العالية

وفي غضون ذلك تولى عرش تركيا السلطان عبد الحميد الثانى ( ٣١ أغسطس سنة  
١٨٧٦ ) ، بعد أن قتل السلطان عبد العزيز ، وخلف السلطان مراد ، ورجع الجنود المصريون



### مدرسة الهندسة

هي مدرسة (الري والعمارة) وسميت الهندسة ، أنشئت بالمعاشرة سنة ١٨٦٦ بمرأى الزعفران ، ثم نقلت سنة ١٨٦٨ إلى سراى دوق الخياميز (ثم إلى الخيزه) . وكان أول ناظر لها : إسماعيل بك (باشا) مصطن القنكى ثم محمود بك (باشا) القنكى . ثم عاد بها إسماعيل بك صلكى

### مدرسة الحقوق

هي أعظم المعاهد العلمية التي أسسها إسماعيل ، أنشئت سنة ١٨٦٨ . وكان اسمها مدرسة الإدارة والأمن ، وقد حلت محل مدرسة الأمن التي أنشئت في عهد عباس ، وسميت «مدرسة الحقوق» منذ سنة ١٨٨٦ ، كان أول ناظر لها السيوفيدال Vidal (باشا) أحد علماء فرنسا. المشرعين ، وبقى يعول نظارتها أربعاً وعشرين سنة إلى عام ١٨٩١ . وفي هذه المدرسة تخرج معظم رجال القانون الذين نبخوا في عصر إسماعيل وما يليه من المصور ، وما الفصل الكبير حل نهضة القانون والتشريع والقضاء ، وعلى النهضة الأدبية والسياسية في البلاد

### مدرسة دار العلوم

أسست سنة ١٨٧٢ ، والغرض منها تخرج أساتذة اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، انتخب طلبتها من نجباء تلاميذ الأزهر ، وتولى نظارتها حل الثعالب في عهد إسماعيل : حامد أفندى تيارى ، ثم محمود أفندى حورى ، ثم على بك ههسى رباحه ، ثم حامد أفندى بارى ، وقد أدب المهنة حتى أنشئت من أبنائها ، وكان من عصر كبير على مهنة اللغة والأدب العربية في مصر ، وسنعود إليها في ترجمة مؤسسها على مبارك باشا

### مدرسة الطب والولادة

وأنشئت مدرسة الطب في عهد إسماعيل ، واتسع نطاقها ، وخرجت جماعة من أعلام الطب في مصر ، وتولى نظارتها حل الثعالب : بروجير بك Burguere Bey ، ثم حافظ أفندى محمد ، ثم محمد على بك (باشا) البقل ، ثم محمد الشافعى بك ، ثم محمد على باشا البقى ، ثم جلياردو بك .

### مدارس البنات

بدأ إنشاء مدارس البنات في مصر على عهد إسماعيل ، وهي ميزة تشهد له بالفصل في نهضة الأمة ، فقد كان التعليم السوى يعتبر من قبل أن يحكم المعلم ، إذ لم تكن في البلاد مدرسة للبنات سوى مدرسة الولادة ، ولم يكن يتعلم فيها في الغالب سوى البنات المحشيات ، أما القتيات من سائر الطبقات فلم يكن هن مدارس لتعليمهن ، وكان الجهل ههنا عليل ، اللهم إلا من كن يتعلم في بيوت آبائهن وأهلهن ، وقليل أولئك .

في سنة ١٨٧٣ أسست مدرسة السيوية للبنات ، أنشأها لسيدة جشم عبد هدم ثالث زوجات الخديو إسماعيل ، وكان بها حين افتتاحها نحو مائتى تلميذة<sup>(١)</sup> ، وبلغ عددهن سنة ١٨٧٤ أربعمائة تلميذة ، يتعلمن محاماً ، فضلاً عن الإتفاق على مأكلهن وملبسهن ويتعلمن القراءة ، والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، والحساب ، والجغرافية ، والتاريخ ، والتفكير والنسج ، وغير ذلك من الصناعات<sup>(٢)</sup> وتولى نظارتها حسن أفندى صالغ ، ثم مدام روزه . وأسست مدرسة أخرى للبنات في القرية بالقاهرة سنة ١٨٧٤ ، وأنشئت سنة ١٨٧٨ .

(١) مخطط الترميز، ج ٢ ص ٤٦ - وجاء في الوقائع المصرية العدد ٥١٩ (٥ أغسطس سنة ١٨٧٣) أن عددهن حين افتتاح المدرسة ١٨٠ تلميذة

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٢٦ - ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٧٤

### المدارس الصناعية

وأسس إسماعيل من المدارس الصناعية :

مدرسة الفنون والصنائع ، وكانت تعرف بمدرسة (العمليات) أسست سنة ١٨٦٨ لتخرج الصناع الفنيين ، ومنهم مهندسو الواووات البرية والبحرية ، سواهمها ولوطيون للمباني مصلحة السكك الحديدية ، وتخرج منها مهندسون لصنع عربات السكك الحديدية والبواخر والآلات البخارية وتولى نظارتها السيد جيجون بك Gigion bey . ثم عيسى شاهين أفندي ، ثم عاد لنظارتها جيجون بك . ومن كبار أساتذتها إسماعيل يشاق بك كبير مهندسي المناير بالسكك الحديدية

ويشتمل برنامجها على العلوم الصناعية والفنية ثم الفنون العلمية .

وفي السنة الأولى : يدرس الحساب ، والجبر ، والهندسة الوصفية ، والرسم ، وفي العارة ، واللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

وفي السنة الثانية : تدرس أنواع الرسم ، واللغات ، والطبيعة وتطبيقها على الصناعات والميكانيكا ، والجغرافية ، والمحاسبة .

وفي السنة الثالثة : تدرس المواد المذكورة مع التفرغ وتطبيق الكيمياء على الصناعات ، ورسم الآلات البخارية وتركيبها .

وكان الطلبة يمارسون بعد الظهر الفنون العملية في خمسة معامل .

أولها : معمل تركيب الآلات وتصلبها .

والثاني : معمل الحدادة

والثالث : المسك الذي كان يعرف بالدوكمجا

والرابع : معمل الخراطيم والنجارين والعتات التي يصب عليها

والخامس : معمل تدوير القوائم الحديد والتحاس ، وفي المدرسة قسم لتعليم التلويح

بالأدب المختلفة<sup>(١)</sup>

(١) من المراجع : ص ٢٤١ (١٩ يناير سنة ١٨٧٠)

١ - مدرسة الطغرف أسست سنة ١٨٦٨ ، وألغيت سنة ١٨٦٩ ، ثم ألحقت بمدرسة

مبور وصنائع

٢ - فرقة النقاشين أسست سنة ١٨٦٩ ، وألغيت سنة ١٨٧١

٣ - فرقة عمليات مرور أسست سنة ١٨٧٠ وألغيت سنة ١٨٧٢ ، وقرعة أخرى أسست

سنة ١٨٦٨ وألغيت سنة ١٨٧٢

### المدارس الخصوصية

وأنشأ من المدارس الخصوصية :

١ - مدرسة المساحة والمحاسبة ، أسست سنة ١٨٦٨ ، وتولى نظارتها نظار مدرسة الهندسة

٢ - مدرسة اللسان المصري القديم ( اللغة المبروغلية ) أسست سنة ١٨٦٩ وتولى نظارتها السيد بروكش ( باشا ) Bruges العالم الألماني في الآثار المصرية وألغيت سنة ١٨٧٦ .

وتشهر من تخرج من يرحى هذه المدرسة العالم الأثري الكبير أحمد كمال باشا .

٣ - فرقة الرسم بالمدارس الملكية أسست سنة ١٨٦٩ وألغيت سنة ١٨٧٩ .

٤ - مدرسة الزراعة أسست سنة ١٨٦٧ وألغيت سنة ١٨٧٥ .

٥ - مدرسة العميان والخرس ، للبنين والبنات ، أسست سنة ١٨٧٥ ، وتولى نظارتها محمد أنسى بك نجل عبد الله أبو السعود أفندي .

### المدارس الثانوية

وأنشأ من المدارس الثانوية .

١ - المدرسة التجريبية بالعاصمة أسست سنة ١٨٦٣ ، ثم حلت إلى حرب الجواميز سنة

١٨٦٨ ، وعرفت بالحديوية

٢ - مدرسة رأس العين بالإسكندرية ، أسست سنة ١٨٦٣ .

### المدارس الابتدائية

قلنا إن معظم المدارس الابتدائية التي أنشأها محمد علي قد أقيمت في أواخر عهده ، ولم يحد بلقا في عهد عباس وسعيد ، فبدل إسماعيل جهوداً كبيرة في إنشاء المدارس الابتدائية في القاهرة وفي مختلف العواصم .

ويرجع الفضل في إنشاء هذه المدارس إلى شريف باشا ، ثم إلى علي باشا مبارك ، الذي فكر في تحويل التعليم في الكتاتيب إلى التعليم الابتدائي النظامي ، وكان عدد الكتاتيب وقتئذ نحو خمسة آلاف كتاب .

وهناك بيان ما أنشأه إسماعيل من المدارس الابتدائية :

مدرسة للتدريسيين بالعباسية أنشئت سنة ١٨٦٣ ثم نقلت إلى الناصرية ثم إلى النيرة  
مدرسة وأسس التبريد الابتدائية بالإسكندرية أنشئت سنة ١٨٦٣

مدرسة طنطا (بب)	أنشئت سنة ١٨٦٨
مدرسة أسيوط	أنشئت سنة ١٨٦٨
مدرسة بني سويف	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة المنيا	أنشئت سنة ١٨٧٣
مدرسة الغربية	أنشئت سنة ١٨٧٤
مدرسة البحيرة	أنشئت سنة ١٨٧٣
مدرسة البحيرة	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة باب الشرية	أنشئت سنة ١٨٧٤
مدرسة عابدين	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة مصر القديمة	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة أبو العلا بولاق (عباس)	أنشئت سنة ١٨٧٤
مدرسة السيدة زينب (محمد علي)	أنشئت سنة ١٨٧٤
مدرسة شبراخيت	أنشئت سنة ١٨٧٣

مدرسة العباس	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة الجيزة	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة الإسماعيلية	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة البحيرة	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة رشيد	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة الفشن	أنشئت سنة ١٨٧٩

ويضاف إلى هذه المدارس مدرسة (الصلبية) ، وقد كانت مكتباً أنشأه والده عباس باشا الأول ، وصم إلى المدارس الابتدائية سنة ١٨٧٢ ، ومدرسة قلاوون ، والشيخ صالح للشيخ ، ومدرسة محمد بك ميد أحمد ، ومدرسة حافظ باشا بالإسكندرية ، ومدرسة البرصيني ، ومدرسة راتب باشا بالإسكندرية أيضاً .  
ومدرسة (خليل آغا) ، أنشأها كبير أغاوات والده إسماعيل ، قرب المسجد الحسيني بالقاهرة ، ثم انتقلت لتتبع إلى شارع الأمير فاروق .  
ومدرسة القبة التي أنشأها الأمير محمد توفيق باشا ولي العهد علي . تلقت هذه الخاصة

### الحفلات المدرسية

كان الخديو إسماعيل شديد الميل إلى إقامة الحفلات المدرسية التي تحتم فيها الاختبارات العامة في المدارس على اختلاف درجاتها ، وكان لهذه الحفلات مظهر مهم في ذلك العصر ، إذ كان يحضرها كبار رجال الدولة ، وتوزع فيها الجوائز والمكافآت على المتفهمين من التلاميذ . وبلغت فيها الأستادة وواجب الطلبة الخطب والمقاصد . فكانت هذه الحفلات من عوامل النهضة العلمية ، ويدل ذلك على مبلغ عناية الحكومة بها أن (الوقائع المصرية) وهي الجريدة الرسمية للحكومة كانت تنشر بوصف كل حفلة مدرسية وتشرك كل ما يلزم فيها من الخطب والمقاصد ، تسجيلاً لها . وتعطيها لقائلها ، ويحد في (الوقائع المصرية) بدأت مسجلة عن هذه الحفلات وأسماء من يحضرونها من رجال الدولة وأعلام الأدب والعلم في ذلك العصر ، وأسماء لأستادة الطلبة الذين يحضرون فيها

## الأزهر

ظل الأزهر الجامعة الإسلامية التي تدرس فيها علوم الدين والفقه واللغة ، وكان التحنن فيه يسع الأساليب القديمة التي درج عليها من سالف العصور .

وقد بدأت روح الإصلاح والتقدم تمتص فيه من عهد ولاية الشيخ محمد العباسي المهدي مشيخته سنة ١٨٧١ .

وبأكوذة الإصلاح فيه إنشاء نظام الامتحانات لتخرج العلماء وللدروس سنة ١٨٧٢ فقد كان التدريس في الأزهر خلواً من القيود ، فوضع الشيخ العباسي نظاماً لامتحان العلماء ، وألف لهذا الغرض لجنة برأسته مؤلفة من ستة من كبار العلماء اثنان من الشافعية وهما الشيخ خليفة الصفدي ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي ، واثنان من المالكية وهما الشيخ أحمد الرفاعي والشيخ أحمد الجيزاوي ، واثنان من الحنفية ، وهما الشيخ عبد الرحمن البحراوي ، والشيخ عبد القادر الرفاعي .

ومهمة هذه اللجنة امتحان المرشحين للمعالي في مختلف العلوم وإعطاء الناجحين منهم إجازة المعالي ، وكان تأليف هذه اللجنة أساس النظام الجديد في الأزهر .

وجاء السيد جمال الدين الأنطلي إلى مصر سنة ١٨٧١ ، فتبع في الأزهر روح النهضة ، وحرص بنور التقدم الفكري والعلمي ، وقد بدت تلمح ظهور المدرسة الحديثة التي حمل نواها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبد في الأزهر وخارج الأزهر .

## البعثات

أعاد إسماعيل عهد البعثات التي ازداد بها عصر محمد علي من قبل ، وأخذ يوفد الطلبة إلى مدارس أوروبا منذ سنة ١٨٦٣ ، وبلغ عددهم مدة حكمه ١٧٢ طالب ، وهو كما ترى أقل من عدد البعثات في عصر محمد علي .

وأنشأ مدرسة لأعضاء البعث في باريس بدل للخدمة التي أنشأها محمد علي لهذا الغرض

وأقبلت في أواخر عهده كما بيناه ، عصر محمد علي ( ٥٢ ) ، لكن المدرسة التي أنشأها إسماعيل أقفلت بعد شوب الحرب السبعينية

## مدارس الأقباط الأرثوذكس

ومشط الأقباط إلى إنشاء المدارس لتعلم أبنائهم ، ويرجع معظم الفضل في هذه النهضة إلى جهود الأبنا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط الأرثوذكس .

فصار لهم في عهد إسماعيل نحو ١٢ مدرسة بالقاهرة ، أهمها المدرسة البطريركية الكبرى ، ومدرسة مصر القديمة ، وأخرى بالحيرة ، ومدرستان بالإسكندرية ومدرسة كاتريكة لتعليم اللاهوت واللغات القبطية والطقوس الدينية ، ونشطوا في تعليم البنات فأنشأوا لذلك مدرستين ، واحدة عمارة السقاين ، وأخرى بالأزبكية .

وقد منح إسماعيل مدارس الأقباط مساعدات جمة أهمها أنه وهبها ١٥٠٠ فدان من نجد أطيان القطر ، ليخصص ريعها على التعلم فيها ، فكان هذا الريع يفي بمعظم ما يتفق على هذه المدارس .

## المدارس الأوروبية

كثر عدد المدارس الأوروبية التي فتحتها البعثات الدينية للبنين والبنات ، وبلغ عددها في عهد إسماعيل ٧١ مدرسة<sup>(٥٦)</sup> ، ولم تنتشر في أي عهد قبل ما كثرت في عهده .

وقد خرجت عدداً كبيراً من رجال الأعمال والمهنيين وموظفي الحكومة ، وخاصة موظفي البريد والسكك الحديدية والمحال التجارية والبنوك وترجمة القنصليات والمحاكم المختلطة ، وقال كثير منهم الحمايات الأجنبية بواسطة القنصل ، فصاروا في حكم الأجانب في انبائهم للملوك الأجنبية ، وميولهم إلى ، وعدم خصوصهم للنظم الأهلية القضائية والإدارية .



### وزارة المعارف

قلد ر. سمعان عدد ديون المدارس (وزارة المعارف) بعد أن ألقى في عهد سعيد وما تقدمت به من التعليم حصص لدراسة المعارف سراي الأمير فاضل بتدريسه الجدير وهي سراي محبة وبيت ديون لندن ومعنى المعاهد العلمية ، كمدسة الهندسة والمدسة الحقوق ، ومدسة المساحة والمهارة ، والمدسة التجهيرة ، ودار الكتب . ومعنى لطيفة والكيمياء ، ومدرج المحاصرات (الاختيارات) ، محاصرات عمارة الجامعة المصرية ، وكان اختيار هذه السراي إجابة لاقتراح العلامة علي باشا مبارك حينما ولد وزارة المعارف وتعاقد علي وزارة المعارف في عهد إسماعيل الوزراء الآتية أسماؤهم

إبراهيم آدم باشا (يناير - يوليو سنة ١٨٦٣) . شريف باشا (يوليه سنة ١٨٦٣ - أبريل سنة ١٨٦٨) . علي مبارك باشا (أبريل سنة ١٨٦٨ - سبتمبر ١٨٧٠) . مصطفى بهجت باشا (سبتمبر سنة ١٨٧٠ - مايو سنة ١٨٧١) . علي مبارك باشا (مايو سنة ١٨٧١ - أغسطس سنة ١٨٧٢) . الأمير حسني كامل باشا (أغسطس سنة ١٨٧٢ - أغسطس سنة ١٨٧٣) . مصطفى رياض باشا (أغسطس سنة ١٨٧٣ - مايو سنة ١٨٧٤) . محمد ثابت باشا (مايو سنة ١٨٧٤ - سبتمبر سنة ١٨٧٤) . الأمير طوسون باشا (سبتمبر سنة ١٨٧٤ - أغسطس سنة ١٨٧٥) . يحيى منصور باشا (سبتمبر سنة ١٨٧٥ - يونيو سنة ١٨٧٦) . مصطفى رياض باشا (يونيه سنة ١٨٧٦ - أكتوبر سنة ١٨٧٧) . إسماعيل باشا أيوب (أكتوبر سنة ١٨٧٧ - أغسطس سنة ١٨٧٨) . علي باشا مبارك (أغسطس سنة ١٨٧٨ - أبريل سنة ١٨٧٩) . محمد ثابت باشا (أبريل سنة ١٨٧٩ - يوليه سنة ١٨٧٩)

### ميزانية التعليم

كان إسماعيل يفتقر بسطاء على التعليم ، فقد كانت ميزانية المعارف في عهد سعيد لا تتجاوز ستة آلاف جنيه<sup>(١)</sup> ، فزادها إسماعيل إلى أربعين ألفاً ، ثم بلغت كما ذكر علي باشا مبارك<sup>(٢)</sup>

(١) الدين في ليدن - مصر الحديث ص ١٦٢

(٢) المخطوط التوثيقية ج ١ ص ٨٩



علي باشا مبارك

دعم مهنة العلم والتعليم في عصر إسماعيل  
(١٨٦٤ - ١٨٩٣)

٧٥ ج٢ ، ص ٤٨٠٠٠ من وزارة المالية (الميرانية العامة) و ٢٠٠٠٠ من إيراد  
مصر الوادي ، و ٧٠٠٠٠ من ديوان الأوقاف ، وكان التسم في معظم المدارس مجانياً  
ثم شقت ميرانية وزارة المعارف في أواخر عهد إسماعيل بسبب الإبتكاكات المالية التي  
سبب قروضه ، فهدت إلى ٢٠٠٠٠ ج٢

### على باشا مبارك

رغم همه العلم والتعليم في عصر إسماعيل

(١٨٢٤ - ١٨٩٣)

إن الحديث عن تقدم العلم في عهد إسماعيل يستتبع الكلام عن العلامة على باشا  
مبارك ، فإن اسمه مقرون بهذه النهضة المباركة .  
في تاريخنا القومي شخصيات جيدة ، تعد أركاناً لهذه النهضة القومية ، لما لها من الأثر البالغ في  
تطورها ، وتوجيها إلى مثل العليا في شتى مظاهرها ، من الناحية الأخلاقية والوطنية ، أو  
العلمية والأدبية ، أو الاقتصادية والاجتماعية .

ومن واجب الوفاء لهذه الشخصيات أن نذكرها دائماً بذكر ، ونخصص لها ما هي بطيرة  
به من البحث والدرس ، ولا نغفل الشخصيات الجيدة في تاريخ مصر هي كالكواكب النيرة  
في سماء النهضة القومية .

وقد بذلنا ما استطعنا من جهد لدراسة تلك الشخصيات في الأجزاء الثلاثة السابقة من  
تاريخ الحركة القومية ، كلها عرضت المناسبة للكلام عنها ، وهنا ، لمناسبة التطم والنهضة  
العلمية في عصر إسماعيل ، نرى حقاً حيناً أن نؤتي بعض هذا الواجب غير العلامة على باشا  
مبارك ، فهو هاد هذه النهضة ، وقلوبها النابض ، ورأسها المتيقن ، وهو من الشخصيات القادة  
التي سطعت سطوعاً قوياً في عهد إسماعيل ، وبعد تاريخه قطعة من هذا العصر ، والمصور التي  
لته ، إلى عصرنا الحاضر ، وإلى ما شاء الله

### نشأته الأولى (٨)

ولد المرحوم في برنال الجديدة ، من أعمال مركز دكرسى بمديرية الدقهية سنة ١٨٢٤م  
( ١٢٣٩ هـ ) ، أبوه الشيخ مبارك بن سليمان بن إبراهيم الروسى من أهالي هذه الناحية ،  
وجده الأهل من ناحية كوم بني مراس والخليج على بحر طناح . من أعمال مركز المنصورة ،  
« وفشل كبير حصل في هذا البلد تشتت عائلته ، فأقام جده الأكبر إبراهيم ابراهيم في برنال  
الجديدة ، ونال فيها مكانة عالية ، فكان إمامها وخطيبها وقاصيها ، وبقيت هذه المكانة في  
سبله ، حتى عرفت عائلتهم بعائلة المشايخ » .

ولاضطهاد وقع بأهل برنال وإرهابهم بالصرالب الشيلة هاجرت عائلة مبارك ، وتفرقت  
في البلاد ، فترك والد المرحوم بعزة الحاديين من بلاد الشرقية ( مركز غاقوس الآن ) ، وكان  
ابنه لم يبلغ السادسة من عمره ، ولم تطب لهم الإقامة في هذه البلدة ، إذ لم يلقوا فيها إكراماً ،  
فارتحلوا منها إلى عرب الساعة بالشرقية ، فأحسنوا وقادة والد المرحوم ، وأكرموا مثواه ، ولم  
يكن في بلدتهم فقهاء ، فجللوه مرجعهم في الأحكام الدينية ، وبنوا مسجداً جعلوه إمامه ،  
ولما بدأ ينزع من الشغل التي حانها قبل أن يهبط هذا البلد ، أخذ يسي يتدبب ابنه  
وتعليمه ، وكان المرحوم قبل رحيله من برنال ، قد بدأ يتعلم القراءة والكتابة على يد رجل  
ضرب من أهلها ، فلما استقر بأبيه المقام بين عرب الساعة ، أخذ يحلمه بنفسه ، ثم أرسله إلى  
ضيه اسمه الشيخ أحمد أبو خضر ، أصله من ناحية الكردى ( وهي بلدة قريبة من برنال ) ،  
ثم ارتحل إلى قرية صغيرة على مقربة من مساكن أولئك العرب ، وهناك حفظ للمرحوم على يده  
القرآن في ستين

وكان الشيخ يفسر في معاملته ويضربه . كما هي عادة الفقهاء والمعلمين مع تلاميذهم في  
ذلك عصر . فسمع عن متاعه إقراء عليه ، وأنه أن ذهب إليه ، وحمل يقرأ عند أبيه ،  
لكن أبناء كان لا يستطيع الصرخ لتعليمه ، لكثرة مشغله . فترضى المرحوم في الحفظ  
والد من . وكاد يسي ما حفظه ، مهم أمه أن يجبره على الرجوع إلى القبة . لكنه أتى أن

( ٨ ) - ص ١٠٠ من معجم « الوقائع » على ما استخلصناه من ترجمة على باشا مبارك نفسه في المخطوط التوقعية ج ٩

يعود إليه ، وحديثه نفسه بالحرب ، لما كان يحده من سوء المعاملة ، فتدخل نفوذه في الأمر ، فأبدي لهم نفوذه من الحفظ ، وأعرض عن أن يكون « قبيحاً » ورغب أن يكون « كاتباً » لما كان يراه على الكتاب من حسن الهيئة والفرق من الحكام .

وكان لأبيه صديق كاتب بناحية ( الإخوة ) ، فأسلمه إليه ليكمل الكتابة على يديه ، فالتزمه في داره يتعلم عنه ، ولكنه رأى منه قوة وعظمة ، وباله منه أدنى شديد ، إذ سأله يوماً عن الواحد فأجاب بالثمن ، فصره مائة ، مشج رقبته ، وكان ذلك على ملا من الناس ، فشكاها إلى أبيه ، فلم يخل بشكايته ، فلهرب ، وانتهى به الطاف إلى العودة وحيداً إلى برنيال ، وهناك وافاه أخوه الذي كان يبحث عنه ، فأعاده إلى أبيه ، وقد حار في معاملته وتعليمه ، وأبدي المترجم نفوراً من الرجوع إلى الكاتب أو الققيه ، لما رأى منها من الإيذاء والعصب

فارتأى أبوه أن يعهد به إلى صديق له من كتبة السجون ، فصرى بذلك . ولازمه ثلاثة أشهر ، ثم انفصل عنه ، وبق في بيت أبيه يقرأ عليه ، وبعد سنة جهه ساعداً لكاتب في مأمورية في كبير ، بحرتب قدره خمسون قرشاً ، ولكن الكاتب لم يقده أجره ، إلى أن تسلم يوماً حاصل الجباية من أبي كبير ، فأخذ منه وأتبه المتأخر ، ففهم منه الكاتب وأخرى به مأمور أبي كبير ، وافق وأياه على تحنيدته ، فاستدعا المأمور واحتضنه ، ووضع لفل في عنقه وابت في السجن بضعة وعشرون يوماً ، قاسى فيها مر الشدائد والآلام ، ولا علم أبوه بسجته رفع ظلامته إلى محمد علي باشا وزير مصر ، وكان إذ ذاك في بيت القمح ، فكتب بأعلاء سبيله ، وإطلاق سراحه ، وعاد أبوه بالأمر ليطلب من المأمور تفخذه ، وقيل أن يحضر جاء السجن صديق للسجان ، وأقضى إليه أن مأمور زراعة القطن بناحية في كبير في حاجة إلى كاتب ، فذه السجان على المترجم ووصفه له بالنجابة ، وحسن الخط ، وبعد قليل جاء أمر الإخراج ، وذهب إلى مأمور الزراعة ، وكان أسود حبشياً يدعى ( حنتر أفندي ) فاعده كاتباً عنده مقابل حراة يومية من الحيز ، وخمسة وسعين قرشاً في الشهر ، فارتضى هذا العمل ، وكانت سماعة أخلاق غير أعدي وطيته مما رغب إليه البقاء في هذه الوظيفة

### ما يؤخذ من نشأته الأولى

ي. هـ - من نشأته لترجم الأولى شيء مما بلغت النظر ، لكنها تصلح أن تكون صورة

مصوره صحراء لأبيه في بيت مصر

فانتقل عائلة محمد من مصر إلى مصر من كبر في مصر على هر ضاح . إلى برنيال . فقص الدفعية شيئاً من حياة أبيه في مصر . كان يسجد ماء مدمعة الحكام بالاعين في بيت العصر . ورجلهم بصره شب حراً . ثم صير نسب مثله . وكثيراً مثله . إلى تحويل عراة من المصعب التي لم يستعير دمه . إلى جردو من ماشهم ومناهم . وتشدد الحكام في استخلاصها بالسجن والضرب . فمر يجدوا مخلصاً من هذه المظالم سوى الهجرة من موطنهم . وهذا بعضنا صر من مظالم حكام في ذلك العهد . إذ لم يكن ثمة قرون يحج ظلم القوى عن الضعيف . ويعود دور اعتداء الحكام على المحكوم ، ولا صرايب منتظمة معروفة القدر ، يعرف كل إنسان حدود ما عليه منها ، بل كانت متروكة لأهواء الحكام والرؤساء ، فلا جرم أن يستهدف آل المترجم للتجرد من منافعهم وماشيئهم ، ثم إلى السجن والضرب ، ثم إلى الهجرة والتنقل من بلد إلى بلد . فراراً من المظالم

وهذه الشاة تعطينا من جهة أخرى صورة الكاتب عليه حالة التعلم قبل أن تألف الناس المدارس الحديثة ، فإن فكرة تعلم الأبناء كانت موجودة عند الآباء الذين دأبوا خطأ من العلم ، بذلك هل ذلك ميل والد المترجم إلى تعلم ابنه قدر ما يستطيع ، لكن طريقة التعلم كانت رديئة . لا تنحرف تنمية الفكر وتهذيب النفس . فحقبة القرية وكاتب الإخوة ، وأمثالها من الفقهاء والعرفاء ، كانوا من الجهل والقسوة حيث لا تتج التعلم على أيديهم سوى المحاماة ، وبت روح الخوف والخجل في أخلاق الشباب ، لأن القسوة والصرع يقتلان في نفس الطفل روح الشجاعة والأخلاق الفاضلة

وليس في نشأة المترجم الأولى حالة غير عادية تجعل منه رجلاً يختلف عن معاصريه ، وفكرت أمراً واحداً بلغت النظر ، ذلك هو نفوذه من الذل . ومحافاته قوة المعلم ، فقيهاً كان أو كاتباً ، أفلا تراه يؤثر الهجرة على احتمال القهر والضرب ؟ ثم ألا تراه كأنما يتقدم عصره ويبد معاصريه ، فيصطلح إلى أسلوب في التعبير يرقى من الأسلوب المتقيد الذي كان مألوفاً في عصره ؟

ي. هـ - من مظاهره تدل على أن مصر تسمى مصر . إلى لذل ولا تقم على العبر . وذلك بسبب عن سمو الحس . لأن به اندرس على نفس عزيزة . وعزة النفس تجمع حولها سطوة من الأخلاق الكريمة ، ولا تراه في أن تذل النفس العريضة كانت من أسباب شوع المترجم .

سواء رضى عن واهون ، لاسم في طريقه ، ولم يحاور أن يصير كاتباً صغيراً ، مردوداً مثل غير أئندى . ولكن اضطر إلى ما حدث به معه . وهو شغل هذه الوصفة . بعد ما سنوئه كاتب خلع من حوارج ترجم .

فقد روى عن بعض أنه لا اشتغل كاتب غير أئندى رأى منه راحة ، وشغفه بحسن معامله . يختلف عما نفيه من كاتب أئندى كبير ، لكنه شعر بأن لو كاد غير أئندى على غرور ذلك الكاتب ، لما وجد من ينقله من قسوته وسوء معاملته ، ومن ثم المجهت نفسه إلى أن يكون بحالة لا ذل فيها ولا تحشى عوائلها . كما يقول المترجم

بهذا الشعور ، هو ميس النفس العزيزة التي تأتي الهوان ، وتصلح إلى اللذل ، وهو شعور كريم ، كان له أثره في حياة علي مبارك

ومن هو هذا الشعور ليدعوا إلى إعجاب ، أن تتعامل من في أقبية ؟ وكيف اختص به دون أقرانه في القرية ؟ إن هذا هو سر نبوغ العظماء ، لا نجد له تحليلاً دقيقاً ، فإذا علمت بتأثير البيئة أو الوراثة ، اعترضك في هذا أن النابغة قد ينشأ وغيره من الناس في بيئة واحدة ، ومن أب واحد . وأم واحدة ، ومع ذلك يفرق بالنبوغ دون قرائنه وأخوته .

قد يكون السرق النبوغ هو الاستعداد الفطري للنبوغ ، يولد مع صاحبه ، أو هو الإلهام الذي يودعه الله نفس النابغة ، أو هو التوفيق والعناية الإلهية . لك أن تفسره بمعنى من هذه المعاني ، أو بها كلها مجتمعة ، ولكن علي أن عصب حسناً لتغير الوسط والوراثة ، فلا شك أن علي مبارك قد اقتبس شيئاً من أخلاق أبيه ، فقد كان جده الأكبر رجلاً معظماً مكرماً ، تولى بلدة برنال ، ولم يكن من أهلها ، فصار إمامها وخطيبها وقاضيا ، وبعد وفاته بقيت هذه الوظيفة في نسبه ، طبقة بعد طبقة ، فلم يكونوا على أخلاق نسبه ، ونفوس طيبة ، لما احتفظوا بهذه المنزلة ، حتى صارت عائلتهم تعرف بمخالفة المناهج .

وكذلك لما هجر أبو لترجم ناحية برنال ، وورد قرية السباحة ، احتفظ بعزة النفس ، ونال من أهل تلك القرية مكانة ممتازة ، أدركها بطمه وصفه . وإنك لتلمح عزة نفسه من كونه لم يطق صبراً على اعتقال أبيه ، وذهب إلى منيا التمتع ، حيث كان عزيز مصر . محمد علي باشا ، ورجع إليه بسلامته ، وشكا إليه ما حاق بأبيه من السجن . فالتكوى من الظلم ، واستصرخ ولي الأمر ، من الأمور التي تحتاج ( في ذلك العصر ) إلى شيء من المرأة والشجاعة ، فكلم من الظالم كانت ترتكب ، ويستسلم لها القاصرون ، وإذا علمتهم أنفسهم

بالتكوى منها ، فقد تمهرهم الشجاعة إلى إبلاغه لأكثر رؤس في الحكومة فأعلب الظن أن المترجم اقتبس عن أبيه تلك النفس العزيزة . وهذا يصلح أيضاً سبطه لوالده المترجم . الشيخ مبارك بن مبارك بن سلطان بن إبراهيم الرواحي

### نشأته الثانية في المدارس النظامية

إن طموح مصر على مبارك إلى العمل هو الذي سلك به سبيل المدارس النظامية ، ذلك أنه حينما اشتغل كاتباً عند غير أئندى ، أنه سأل ورش ناموس عن أخبار سيده وأسياس بلوغه هذا المركز المتأخر في الحكومة ، وكان يدهشه أن غير أئندى ، وهو أسود حشيش ، يصل إلى هذا المنصب ، حين كان يعتقد أن الحكام لا يكونون إلا من الأتراك على حسب ما جرت به العادة في تلك الأزمان ، فلم من القراش عن سبب ارتفاعه أنه كان يشتري سيده من دوات المكانة والجاه ، فأدخلته مدرسة . فعسى العيب . إحدى المدارس النظامية التي أنشأها محمد علي باشا ، فعمل فيها وتخرج منها ، وصار أهلاً للمركز الذي يشغله ، وعلم أن الحكام يؤخذون من حرمي هذه المدارس .

فما استمع المترجم لهذا الحديث ، مالت نفسه إلى دخول تلك المدارس ، ليصل إلى ما وصل وإليه غير أئندى ، وأخذ من تلقاه نفسه يسأل عن السبيل إلى دخول المدارس النظامية ، وسأل القراش : هل يدخلها أحد من الفلاحين ؟ فقال يدخلها صاحب الوسطة . فتلقت نفسه بالسبيل لدخولها . واحترم ترك العمل الذي كان يشتغل به ، والذهاب إلى مصر ليلتحق بمدرسة قصر العيني .

### دخوله مدرسة عيت الحر

وما علمه هذا العلم حتى أصر على إتقائه ، دون أن يكشف أحداً ، فطلب الإذن من رئيسه بإحاره بعصية في زيارة أهله ، فأذن له بخمسة عشر يوماً ، وسافر إلى وجهته ، وفيها هو سير في حريمه من مفرقة بني عباس . وثمن جماعة من الأطفال . سمع رجلاً حاداً ، وكل منهم يحمل دواة وقلماً ، فاجتمع بهم تحت شجرة ، وتعرف حالهم ، فإذا هم تلاميذ

(٩) مركز معيا الآن : قبل أن يقيم بشرق

مكتب ميت العز ، أحد المكاتب التي أسسها محمد علي باشا ، وكان ذلك قالاً حسناً للترجم ، كما يقول من نفسه ، إذ أنه اجتمع بالأطفال ورأى احتياط خطه أنجود من حظوظهم . رغب إليه أن يدخل مكتب ميت العز ، وأقنعه أن يجيء المكاتب يتقلون إلى المدارس دون واسطة ، فابيح المترجم هذه الفكرة ، إذ وجد فيها بغيته التي يتشدها ، ولم يكن أحب إلى نفسه من أن يسلك سبيل الدخول إلى المدارس ، ويحاذ تلك العقبة التي أشد إليه فراش الأمور في حديثه له . وهي « الوسطة لدخول المدارس » ، ورأى أن الاجتهاد في المكتب سيميه عن تلك الوسطة التي قد لا يجدها

دخل المترجم مكتب ميت العز ، وناظره من معارف أبيه ، وكان يعلم أن دخول أبيه المكتب لا يرضيه ، فأراد أن يصرفه عن دخوله ، ولكنه رأى منه إصراراً على حزمه ، فبقى بالمكتب خمسة عشر يوماً ، وأرسل الناظر إلى أبيه ، فجاء يسعى لإرجاعه عن عزمه ، فأبى ، فلجأ إلى حيلة يترفع بها عن المدرسة ، فاتفق مع الناظر على أن يشر القرصة في خروج أبيه وإلى الفسحة وقت الظهر ، فاعتطفه وعاد به قسراً إلى بيته ، وجبه في البيت عشرة أيام ، وأعلنت أنه يئس وتشتطفه ليرجع عن حزمه ، حتى يبقى بينهم ولا يفارقهم ، فوجدوا بالبقاء ، ولكنه أسرى نفسه أن يفتح أقرب فرصة لفراق لعله وذويه ، والرجيل في طلب العلم ، وانتظر حتى أطمأنوا إلى عدوله عن فكرته ، ولا كانت إحدى الليالي تريض حتى تلوا جميعاً ، وأعد دوائه وأدواته ، وبخرج من البيت خائفاً يترقب ، وتوجه لقاء ميت العز ، وكان ذلك - كما يقول المترجم - آخر عهده بسكنائه بين أبيه ، وكانت ليلة مقمرة ، فمشى حتى بلغ ميت العز ضحى القند ، ولم يشر الناظر إلا وهو داخل المكتب مع زملائه التلاميذ ، وكأى حتى أن يحيى أبيه ويحتال عليه لاعتطاه ثانية ، فكرم المكتب ، لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً ، وجاء أبيه غير مرة ليقتنه بالدخول من حزمه ، ويأخذ بالحسنى ، فلم يتنجس في مساعده ، واستمر الفلام ملازماً للمكتب . مكثاً على الدرس والتحصيل

#### انتقاله إلى مدرسة ( قصر العيني )

بقى المترجم في مكتب ميت العز إلى أن جاء ناظر مدرسة الخانكة ( عصمت أفندي ) لاختيار بحباء التلاميذ من المكتب المذكور ليكتفوا بمدرسة قصر العيني ، فكان التلميذ على مبارك لم وقع عليهم الاختيار ، فجاء أبيه يحاول من جديد صرقه عن الذهاب إلى المدرسة ،

وشكا أمره إلى عصمت أفندي ، فأحاله على أبيه ، وقال إن الخيار له ، فخبروه حتى تعودوا مع أبيه أو الالتحاق بالمدارس ، فاختار المدارس ، صكى والده بكاء كثيراً وأغرى به جماعة من المعلمين يستميلوه ، فلم يصع لهم ، ودخل مدرسة قصر العيني سنة ١٨٣٦ ، وكان لا يتجاوز يومئذ الثانية عشرة من عمره

وهنا تبدو ظاهره جديدة في شخصية المترجم ، إلى جانب ما ذكرناه عن حبه نفسه ، وطموحه إلى المعالي . وهي ميله المظري إلى العلم ، وشغفه بالأرتواء من مبه العذب ، وما عطر عليه من قوة الإرادة ، ومضاء العزيمة .

فانظر إلى مبلغ حبه للعلم ، والتعلم . تجده يسعى جهده للالتحاق بالمدارس ، رغم إرادة والديه ، وليس من المؤلف بين الأطفال والشبان أن يقبلوا على العلم بوارع من أنفسهم ، بل يأوهم هم الذين يدفعهم إلى دخول المدارس ويغريهم بمختلف الوسائل في متابعة الدرس ، وكثيراً ما يتصب الآباء في إيلاف أبنائهم للمدرسة والإقبال عليها . فالعلم الذي يتعلق بدخول المدارس رغم إرادة أبيه ، ويستهدف لنفسها في هذا السبيل ، لا بد أن يكون قد رسخ في نفسه شغف شديد العلم والتعلم .

وتحلى أيضاً قوة عزيمة المترجم ، في إصراره على دخول المدارس ، رغم تلك العقوبات التي اعترضته ، من إعصاب والديه ، إلى بُعد الشقة ، ووجود الطريق ، إلى قلة ذات يده ، إلى صغر مسنه ، إلى المفارقة بنفسه في حياة مجدها ولا يعرف مصيرها ، كل ذلك بدل على حظ عظيم من صدق العزيمة وقوة الإرادة .

مرة النفس ، والطموح إلى المعالي ، وحسب العلم ، وقوة الإرادة ، هذه هي الصفات التي تطلعت بها شخصية على مبارك وهو بعد في سن الطولة والمراهقة وسرى كيف لازمت هذه الصفات في كل أدوار حياته ، فكان ما ذلك لأثر العظيم في أعماله

#### التعلم في مدرسة قصر العيني

لم تكن مدرسة للطلب قد نقلت بعد إلى قصر العيني ، حينما جاء مصر على مبارك ، بل كانت لم تزال بأبي رحيل . أما المدرسة التي كانت بقصر العيني وقتئذ ( سنة ١٨٣٦ ) فهي مدرسة إعدادية للمدارس الحربية والعالية .

والحساب والبحر . وريها كالطلاسم . وكلام المدرسين فيها كالسحر . ولكن إبراهيم بك  
رف أوصح للتلاميذ معاني الهندسة ولقواعد أسلوب تفكير عقولهم . فافتتح لحسن به  
دهن المترجم . وبني على ما يسمع من الدروس .

ولفت نجاح التلميذ على مبارك نظر رافته بك ، فصار يصرته به في البيت ، ويحضره ليجاهه  
على يد رجله دليلًا على تأثير أسلوب المدرس في تثقيف أذهان التلاميذ .

وفي سنة ١٨٣٩ اختار ولاية الأمور بجاء مدرسة في زحيل لإحياء مدرسة الهندسة  
ببولاق ، فكان على ما كان ضمن هؤلاء

### دخوله مدرسة الهندسة

دخل مدرسة الهندسة ، وكان حينئذ يافعًا ، إذ بلغ السادسة عشرة من عمره ، فأخذ  
بمضج العلم يزداد ويسود ، ومكث خمس سنوات يتابع الدرس ، حتى استكمل جميع  
علوم المدرسة ، وظهرت عليه مخايل الذكاء والتقدم منذ دخلها ، فكان دائمًا أول رفته ،  
وأستاذته فيها طامحة من علماء الرياضيات ، ممن علا ذكرهم في فجر النهضة العلمية . أمثال :  
محمود باشا الفلكي ، وطال أفندي ، ومحمود بك أيمن . ودقه أفندي ، وإبراهيم بك  
رمضان ، وأحمد بك فايد . وسلامه باشا إبراهيم . وناظر المدرسة المسؤول أمير بك أحد علماء  
الترنيس . ول هؤلاء الأساتذة فضل كبير على المترجم ، إذ تلقى على أيديهم العلوم الهندسية  
والرياضية ، ولم تكن ثمة كتب مؤلفة في الفنون التي تولوا تدريسها ، بل كان المعلمون يملكون ،  
والتلاميذ يكتبون ، يسمحون في كراريس . كل على قدر اجتهاده ، وكان المعلمون كما شهد لهم  
بذلك المترجم ، ويدلون غاية جهدهم في العلم ، وفي آخر عهده بمدرسة الهندسة أخذوا  
يطبعون الكتب في مطبعة الحجر ، فاستعان بها التلاميذ ، إلى أن تكاثرت طبع الكتب المطبوعة في  
العلوم والفنون الرياضية

### انتظامه في صلك البعثات سنة ١٨٤٤

بعدت البعثات العسبية الفرنسية في عهد محمد علي باشا ، وقد تكلمنا عنها تفصيلاً في  
كتابنا « عصر محمد علي » ( ص ٤٥١ طبعة أولى ) .  
ونخرج من البعثات طائفة من النواحي في عصر محمد علي ، واسماعيل . ومن حسن توفيق

سبب مترجم التعليم في تلك المدرسة ، ويؤخذ من وصفه أنه لم يكن على درجة حسنة  
من ... لا من جهة مستوى التعليم في ذاته ، ولا من جهة معاملة التلاميذ ، فقد ذكر أنه  
... على خلاف ما كان يصح . وأن مدرسيها وروؤساءها كانوا لا يحسنون فهم  
... ولا يعنون بالتلاميذ ، وكان لتعليم العسكري موضع العناية فيها ، فيتمرن الطلبة  
... في معظم الأوقات . في الصباح ، والظهر . وبعد الأكل ، وفي أماكن  
... الصرب وأنواع الإيداء من الأمور المألوفة في التعليم ، وكذلك قلة العناية بمأكول  
... فكانت مفروشاتهم حصر الخلفاء ، وأحمره الصوف العليظ من صبح  
... ولم يكن الأكل الجاري للتلاميذ سائماً ، فاستأض من على مبارك بالجبن  
... و ...

بعد اهتداء في المدرسة مرض ، لما اجتمع عليه من الأفكار والمفاهيم وتغير الطقس ، فقتل  
... في مستشفى المدرسة ، ولقي في مرضه الشلل والالام ، ولحقه الجوع بالمشقة ، وفيما كان على  
... جاء أبوه إلى قصر المعين ، واتصل به بواسطة أحد للمرضى ، ورغب إليه أن  
... قالت عنه لإجابته . وهم يترك المدارس ، لما لقيه فيها من التعب  
... ولعدم وجدانه التعليم الذي يشده ، ولكنه حتى عواقب امره من المدرسة ،  
... كانت الحكومة تتعقب الممارسين من التلاميذ ، وتعتقل أطعمهم ، وتسيء معاملتهم . فخشى  
... من عنت الحكومة ما لا يرضاه له ، فامتنع عن الحرب ، فعاد أبوه الكرة يستميله  
... فأبى واعتزم الصبر على قضاء الله . وما شئ انتقل من المستشفى إلى  
... واستأنف الدرس ، ولم يصب بمرض بعد ذلك فقله دوايت

### انتقاله إلى مدرسة أبي زحيل

لما نقلت مدرسة الطب إلى قصر المعين سنة ١٨٣٧ تحول تلاميذ القصر إلى أبي زحيل  
... لها المترجم كإشراف تلاميذ المدرسة

بعد شمر بظلم مستوى التعليم في مدرسة أبي زحيل . ونسب المترجم هذا التقدم إلى  
... وهو المرحوم إبراهيم بك رافته . وحسن عناية بتعليم النشء .  
... أنه كان في بداية عهده بعد صعوبة كبيرة في فهم فنون الهندسة

الترجم وحسن استعداده أن انتظم في سلك البعثة الخامسة ، وهي أكبر البعثات شأنًا ، وفيها بعض أبنائ محمد علي وأسماءه ، ولذلك سميها علي باشا مبارك ( بعثة الأبنال ) .

تولى القائد سليمان باشا الرساوى اختيار أعضاء هذه البعثة من بوابغ طلبة المدارس العالية ، فكان التلميذ علي مبارك - حينئذ - لما من مقبلى مدرسة الهندسة ، وبلغ عددهم في حينها ٧٠ تلميذًا ، منهم الأمير عبد الحليم ، والأمير حسين من أبنال محمد علي ، والأمير أحمد وليعتد ، والأمير إسماعيل ( الخديو ) من أبنال إبراهيم باشا ، وصمت طائفة ممن شذبوا المراكز الكبيرة في الحكومة بعد عودتهم ، أمثال شريف باشا ، وعلي باشا مبارك ، وسجاد عبد العاطي باشا ، وسيدان نجاشي بك وغيرهم (١٠١) .

وقد بدأ من للترجم التحاقه بهذه البعثة ، ما غطر عليه من الليل لشديده إلى العلم ، فإن المير لأمير بك ناظر مدرسة الهندسة رغب إليه البقاء ليجعله مدرسًا بها ، وأفهمه أن يقامه يجعل بترتيب وعظيمة له ، على حين أن التحاقه بالبعثة يحبطه بالياً في سلك التلاميذ ، وفوت عليه تلك الخربة ، لكنه أثر الالتحاق بالبعثة ، ليردها اكتساباً للعلوم ، ولأن سفره مع الأبنال يريده شرطاً ووضحة .

سافرت البعثة إلى فرنسا سنة ١٨٤٤ ، ووجهتها تعلم لغون الحرية ، وأنام أعضاءها ستين بباريس ، ولأحظهم أنشئت بها المدرسة المصرية لتعلم الطلبة اللغة الفرنسية ، وإعدادهم لدخول المدارس العليا بفرنسا ، وخصص لهم بها المعلمون والضباط الفرنسيون ، وكان تلاميذ البعثة يتعلمون التعليمات العسكرية كل يوم ، ولقى المترجم في دراسة اللغة الفرنسية مصاعب جمة ، ظلها بقوة العزيمة ، فقد كان إلى عهد انتظامه في البعثة غير عارف بتلك اللغة ، شأنه في ذلك كشأن العلامة رفاعه بك رافع الطهطاوى حينما انتظم في البعثة الأولى ، وانقضى نظام التعليم في البعثة أن يعمل من المتفهمين في الرياضيات ( وسهم المترجم ) والعلمين باللغة الفرنسية فرقة واحدة ، وكلف المعلمون أن ينفروا الدروس بالفرنسية للجميع ، لا فرق بين من يفهم تلك اللغة ومن لا يفهمها ، فعملوا ، وأحالوا غير العارفين بها على العارفين ليتعلموا معهم بعد انتهاء الدروس ، ولكن العارفين بالفرنسية كانوا يحطون على مثل علي مبارك بالتعليم ، ليعمدوا بالتمدن .

لمكث المترجم مدة لا يفهم الدروس التي يسمونها ، وشغنى العاقبة . فعالج هذه

(١٠٠) ذكرنا أسمائهم وترتيب تدرجهم في كتاب : عصر محمد علي ، ص ٢٦٥ وما بعدها

الصعوبة . بالصبر والمثابرة ، وفوة العزيمة ، ذلك أنه أخذ يدرس العربية بنفسه ، ورسى لهذا الغرض الكتب الأولية في المجاهد واللغة ، وأكسب على مطالعته ونمسه وحفظه . وبدء في هذا السبيل جهداً لا يقطع ثلاثة أشهر متوالية ، مع متابعة الدروس حتى تلقى بالفرنسية . فأنجز الحفظ وأخذ ثمره كثيرة ، وصار أول البعثة كلها ، وكان يتبادر إلى ذهنه مع اسمه علي إبراهيم وسجاد عبد العاطي

ولما جاء إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية المظفرة إلى باريس ، سمع به احتفال حافل ، وحضر امتحان أعضاء البعثة ، فسمع ثناء مستطاباً على حسن إجادتهم وورع الجواهر بنفسه على التبحر فيهم . وناول علي مبارك الخاتمة الثانية بيده ، وكاتب نسخة من كتاب في الجغرافية ، المؤلفه للسيد مالطرون ، مع مجموعة خرائطه ، ودعا الطلبة إلى تناول الطعام على مائته . فكان ذلك تكريماً لهم وتشجيعاً ، وحفاً لهم على متابعة الدرس والتحصيل .

ينجلي في هذه الصفحة من حياة المترجم بباريس ، مبلغ قوة إرادته ، ومثابرة على الدرس والتعلم ، ونقطة ظاهرة أخرى ، تزين هذه الصفحة ، وهي يره بوالديه ، وحذره عليها ، فقد أجرت عليه الحكومة مرتباً شهرياً قيمته خمسون ومائتا قرش ، فجعل نصيبها لأهله ، يصرف لهم من مصر كل شهر ، ويكون حويل نصف الآخر ، وكانت هذه مت معهم منذ دخل المدارس .

وهذا البر بالآبوين بذلك على ما تجملت به نفس علي مبارك من الوفاء ، ومكارم الأخلاق ، وإنكار الذات ، ولا شك أن هذه المزايا لا يزين شخصية المترجم ويزيدها سطوعاً وبهاء .

### التحاقه بمدرسة متر الحرية

ولما انقضى عامان على إقامة البعثة بباريس ألحق الثلاثة الأول من أعضائها ، وهم علي مبارك ، وسجاد عبد العاطي ، وعلي إبراهيم ، بمدرسة المتعينة والهداية الحرية - سهره مر Metz ، وناولوا رتبة الملازم الثاني في الجيش الفرنسي ، فأقاموا ستين شهراً يتعلمون الفنون الحربية

وبعد أن أدوا الامتحان الباقى أُلحقوا بالجيش الفرنسي ، فكان علي مبارك في الألباني

من فرق الهندسة الحرة ، وقضى به أقل من سنة ، ويبدو أنه اكتسب بانتظامه في هذه فترة حرة كثيرة ، في الفنون الحرة والهندسة ، فزادت معارفه التي نالها في مدرسة الهندسة بولاق ، ومدرسة باريس ، ومدرسة متر الحرة والهندسة ، فلا غرو أن صار من رابع المهندسين المصريين ، وظهر بوجهه في إدارته مصلحة السكك الحديدية ، وولايته وزارة الأشغال في عصر إسماعيل

وكان إبراهيم باشا يرغب في أن يرداد أعضاء البعثة حرة وعساً وأن يطبق مكتبه في الخدمة العسكرية بفرنسا ، حتى يستوهم تجارياً ، ثم ينتقل في الديار الأوروبية الأخرى ليطبقوا العلم على العمل ، ويشاهدوا ما فيها من المنشآت الهندسية والحربية ، ولكن المنية حالت دون إتمام هذا المشروع ، إذ توفي إبراهيم وتخلقه عباس الأول ، فطلب إلى نواب البعثة العودة فوراً إلى مصر ، فرجعوا إليها سنة ١٨٥٠ ، وانتقل للترجم بذلك من حياة التحصيل والدراسة ، إلى دور العمل والإنتاج

### عمل للترجم في عهد عباس

عاد للترجم كامل التصوُّج ، واسع الإطلاع ، صادق المرم ، مقبلاً على العمل بكل ما فيه من نشاط وحمى ، ولو وجد من ولاء الأمور من يستثمر مواهبه وكفائته في النبوض بأعمال التقدم وال عمران ، ظهرت نتائج هذه الموهب حين عودته إلى مصر ، لكنه لم يجد من يفسر قسمة ، ويستثمر كفائته ، فانخفض نحو أربعة عشر عاماً ، والبلاد تكاد تحرم من أعماله المنتجة ، وخاصة في عهد سعيد الذي كان يسخه حقه ، ولا يعرف قدره . ولم يبدأ عهد إنتاجه الكبير إلا في عصر إسماعيل الذي عرف كيف يوجه هذه القوة إلى إحياء النهضة العلمية في البلاد

### تعيينه مدرساً بمدرسة طره الحرة

كان أول مركز شغله على مبارك بعد عودته لمصر أن عين مدرساً بمدرسة طره الحرة ، ولكن التعليم في عهد عباس الأول كان مصحلاً بالجمود والإهمال ، فناقص عدد التلاميذ في هذه المدرسة ، وخاصة حيناً أنشأ عباس مدرسة القروية ، واختار لها الطلبة من جميع

مد من مدرسته بمصر ، ثم من مدرسته طره بإعداد قبل من الطلبة للتقدم في العلم ، وأصبحت مدرسته في ساجر حتى لم يبق في معرفه التي بقي فيها على مدار دروسه سوى نفسه وحده .

صار يرحبه ذو الأعداء ، وبس هذا مما تميل إليه نفسه ، لأنه اعتاد الخذلان والنداب على العمل ، وبعد حديثه عنه ، يحلف عن مدرسته في إحالة ليزور أهله بعد عسة الطوبى عهده ، فرغب إليه ، صار مدرسته في بقاء حتى لا يقطع صلب رايه إذ هو عاب عنه

### مصاحبته سليمان باشا الفرنساوى

وصى له الناظر عند اجترال سليمان باشا الفرنساوى القائد العام لجيش المصري ، يصطحبه في مهمة حربية وهي اكتشاف عمرة لميرة وسواس مصر الشمالية ، فم له ما أراد وصحب للترجم سليمان باشا إلى دمياط ، وأدى ما كان مطلوباً منه ، وهو ارتداد بحيرة المترة ، وحفظ راساً مصللاً لمواقعها ، وكب تقريراً عنها ثم ذهب إلى بلدته بربال ، وكان أهله قد رجعوا إليها منذ مدة واستقروا بها

### زيارته لأهله

تدخل البلدة ليلاً على حين غفلة من أهلها ، وذهب من غوره إلى منزل أبيه ، وطرق الباب ، وكان أبوه غائبا بمصر ، ولم يكن بالدور سوى والده وبعض إخوته ، وكان قد فارى أمه منذ أربع عشر سنة ، ولم تكن تتوقع حضوره تلك الليلة ، فلما طرق الباب ، قيل من أنت ؟ فقال : ابكم البار ، فقامت مذهوشة ، وقصصت إلى ما وراء الباب ، وحصلت تنظر وتحن النظر ، لتتحقق الخبر ، وكان هو يرداله العسكري ، متقدماً سيده وحاملاً شعار مصر . ثم مضى أنه هو ، حتى أعادت سؤاله وتحققت أنه هو ، ففتحت الباب ، وصار ربه حتى رمت عنه حذاه . ووقعت معش عينا من ندهشه ونهرج واستر . ثم ركب وحسب بيكى ، وصحبت . وترعد ، فأقبل أمن بيت . وجاء لأقارب والجران برعوب . وملازهم مدر . ونصى بين حتى الصباح . والنس بين رائج وفاد ، يجيشون لبيت . ومب أنه لأه . بهجاً عوده بها عريز ، ولطوغة هذه " العتالية " بعد يومين فصاح



من أهله وعشيرته ، عاد إلى دسباط ، وعرض على القائد سليم باشا الفرنسي نتيجة تجواله في بحيرة المنزلة ، فوَقعت عنده موقع الاستحمام ، وأثنى عليه القائد المستطاب

### التحالف مع عباس باشا

وفي أثناء صحبته سليمان باشا الفرنسي سعى له في منصب آخر بدلاً من التدريس في مدرسة طره ، فتمنح في إقطاعه بحصة جاليس بك قومندان الاستحكامات ، وكان مقره الإسكندرية

فذهب إليها المترجم ليعلم منصبه الجديد ، ولكن عباس باشا قرر أن يلحقه بجمعيته هو وحده بك ، وعلى بك إبراهيم . وكلفهم إمتحان مهندسي الأقاليم ومعلمي المدارس ، وأنتم عليهم بركة الصاغ ، فأدى المترجم هذه المهمة ، واستبدل بالمهندسين القدماء مهندسين أكفاء من غربيي مدرسة المهندسخانة ، وأنتم في خلال ذلك نهضت أغرى هندسية ، إذ أُحيل عليه الكشف على شلال أسوان لدرس مشروع تسهيل الملاحة فيه ، فقدم تقريراً وافياً بهذا المشروع

ولما عاد إلى القاهرة عهد إليه عباس بالاشتراك مع السيد موجيهل بك Mougel كبير مهندسي القناطر الحربية وضع نظام لمرور السفن من القناطر التي كان يتأوها قد قارب إتمام ، فأدى هذه المهمة ، وأُحيلت عليه وعلى زميله على إبراهيم وحده عبد العاطي كل الأحوال الختسية التي تحصلها دونوين الحكومة .

### مشروع تنظيم المدارس

وشرع عباس في وضع نظام جديد للمدارس ، بعد أن ألقى معظمها ، ففي أواخر سنة ١٨٥١ عرض عليه السيد لاميير بك ناظر مدرسة المهندسخانة مبرية للمدارس الملكية والرسدخانة تبلغ ٢٠,٠٠٠ كيس ( ٩٠٠,٠٠٠ جنيه ) . فاستكثر عباس هذا المبلغ ، وأحال لمشروع على المترجم ، فوضع للمدارس الملكية مبرية تبلغ خمسة آلاف جنيه ، على أن تكون في مكان واحد ، وبإدارة ناظر واحد ، واستبدت الرسدخانة من المشروع ، لعدم وجود من يقوم عليها حتى القيام ولكنها عقابها

### مظارته لمدرسة المهندسخانة

ولما عرض المشروع على عباس حاز إعجابه ، وأحال على مجلس مؤلف من رؤساء اندواوين . فبحثوه وأقرره . وأنتم على المترجم لهذه المناسبة برتبة أميرالاي . وعهد إليه بتعيينه ، وجعله ناظراً لمدرسة المهندسخانة وما ينشئ بها من المدارس الملكية ، وكلفه اختيار مدرسي مدرسة الخروزة ، ووضع نظام للتعليم فيها ، واختيار ما يلزم لها من الكتب ، فاضطلع بهذه المهمة ، وعظمت منزلة عند عباس باشا

وبذل جهداً عظيماً في تربية شأن المدارس التي تولى إدارتها ، فكان يرشد المعلمين إلى خير الطرق للتدريس ، ويضقد فصول الدراسة وأحوالها ، ويقوم بتأليف الكتب المدرسية بنفسه ، يعاونه بعض المعلمين ، وأنشأ مطبعة حروف ومطبعة حجر طبع فيها للمدارس الحرية وألأيات الجيش نحو ستمين ألف نسخة ، من كتب متنوعة ، غير ما طبع في كل من مطبعة الحجر للمهندسخانة ، من الكتب ذات الأطلس والرسوم ، وكان فوق ذلك يلقى بعض الدروس ، كالعليية والعارة ، ويحفي شديد العناية بتوفير حاجات الطلبة في مأكلهم ، ومشربهم ، وملبسهم ، ويسهر على حسن معاملتهم ، فارتقت حالتهم الفكرية والمعنوية ، وكاد يمتنع الغرب والسجن من المدارس .

### في عهد سعيد باشا اشتراكه في حرب القرم

يؤخذ مما كتبه المترجم عن نفسه أنه لم يكن مريضاً عنه من سعيد باشا ، فقد ذكر عنه أنه لما تولى الحكم وشق له بعض الكاشحين بمدرسة المهندسخانة ووصفوها بما ليس له نصيب من الصحة ، واحتفظوا عليها معائب كثيرة ، حتى أوعروا صدر سعيد على المترجم فأمره بالاشتراك في حرب القرم سنة ١٨٥٤ ، صحة الحملة المصرية التي كان يقودها أحمد باشا المنكل وليس من صير على الحكومة إذا عهدت إلى مثل حل بك مبارك أن يشترك في حرب القرم . فقد نال حظاً كبيراً من التعليم الحربي ، ونجرح في أرقى المدارس الحربية الفرنسية ، ولكن ملاعبات هذا العمل تقل على أن الغرض منه لم يكن الاستفادة من خبرة المترجم ،

لم يجهد إليه في حرب القرم بعمل حرى دى شأن ، تحرم من جهة مدرسة الهندسة كعادة تالمرها القدير ، ومن جهة أخرى فقد اقترن تكليفه مراقبة الحملة بإلقاء مدرسة الهندسة ، فالمرص الحقيقى كان يدرى إبعاد المترجم ، وإقتضاه هذا للمعهد العلمى العجم الذى أخذ على عاتقه تربيته وإحصاه ، فالعمل كما يرى ضرره أكثر من نفعه ، وشبه أكثر من حبه . ولكن أهواء سعيد باشا ( وقد كان دائماً كثير النظب فى الآراء ) جعلته يصعب لوشية الدسائس ، ويوصد أبواب تلك المدرسة ، ثم يحرم البلاد خطرات عن بك مبارك العلمية . ذلك أن حل مبارك ، وإن كانت دراسته العليا عسكرية ، لكن شبه المجهت إلى ناحية أخرى غير الحياة الحرة ، وهى ناحية التعليم وتنظيمه والنهوض بأعبائه ، فكان واجباً على سعيد باشا أن يستخدم مواهب المترجم فى هذا الميثل ، وأن يعمل على الأمل للمحافظة على نهضة العلم والتعليم التى ازدهرت فى عهد أبيه ، ولكن المعروف أن هذه النهضة قد انصهرت وتراجعت فى عهد عباس وسعيد ، ولم يعاودها نشاط والحياة إلا فى عصر إسماعيل . ويستفاد مما ذكره المترجم أنه شعر بأن تكليفه مهمة السفر إلى بلاد القرم كان مقصوداً به إبعاده ، والكتابة به ، وهذا مفهوم من قوله : « قلت بهذه السفرة قريباً من مستين ونصف » . وقد لطف الله لى وأحسن إلى .. ورد كيد الحاسدين فى مخروم ، فإن وإن قاسيت فيها مشاق الأسفار .. وما يلقى المحامدين من الإرجاف والاضطرابات ، والحمران من المألوفات ، لكنى رأيت بلاداً وهؤلاء كنت أجهلها ، وعرفت أنا ما كنت لأعرفهم ، وكتبت فيها معرفة اللغة التركية ، فيؤخذ من ذلك أن لغة حاسدين كانوا يكيفون له ، ومن مكابدهم أنهم دبروا أمر إبعاده إلى بلاد القرم ، وإرساله إلى ميادين الحروب المحفوفة بالمكاره والأخطار ، ولكن الله لطف به إذ رد كيدهم ، وعاد من الحرب سالماً وقد نال مرابا حمة والواقع أنه أعاد كثيراً من هذه الحملة ، فإن الاشتراك فى الحروب من شأنه أن يقوى فى النفس روح لشجاعة والإقدام ، ولو اشترك المترجم فى اقتحام اعاطر ، وإبقاء فى خط النار ، فكان أثر هذه الحملة فى نفسه أقوى وأعظم ، ولزاد حظه من الشجاعة والجرأة . ولوقف من الحكومات المتعاقبة التى تولت الحكم فى مصر مواقف أعظم شأناً من خطة الذين والمسئلة التى اختطها لنفسه ، ومهما يكن من الأمر فلا نزاع فى أن مداركه قد اتسعت وخبرته قد اكتملت فى تلك الحرب

أقام المترجم عشرة أشهر فى بلاد القرم ، وكان يجهد إليه أمر المناوشات والمخاطبات بين

روى ونرى . وأثناء عايه شهر آخرى فى بلاد الأنصارى ، أغلبياً فى مدينة (كومشخانه) . وكان سعيد باشا يسكن على الجند من مدينة طرابزون الواقعة على البحر الأسود . إلى مدينة رضى روم دارم . وعن . هذه المهمة ليست من صروب القتال العلمية . فقد لاقى فيها شدة ولاهول . شدة برد . وكثرة الثلج فى تلك الجهاد ووعده صرعه . وصعوبة حصار ما فيها من العقبات . بين جبال شديدة وأودية شديدة . وقد مرض كثير من خدمه وأصحابهم من البرد قارس ، وأشداهم مترجم مشق بكومشخانه . نظمه نصب حساً . ودل ساء أعاد خدمه وكارها ورؤس الجيش

### عودته إلى مصر والوظائف التى تولاه

ولما عاد المترجم اعترضته عقبات ومتاعب جمة . ذلك أن سعيد باشا أمر بإعلاء سبيل الجنود وإرجاعهم إلى بلادهم ، وولت كثيراً من ضباط الحملة ، ومهم على بك مبارك ، فسكن فى بيت صغير ، وعانى غشاضة المسر والضيقة ، وصارت حالته بعد سبع سنوات من عودته من فرنسا ، كحالته عندما عاد منها ، وفقد ما كان يتأمله ويؤمله من المناصب ، وفقد ماله ، وشعر بمرارة اليأس تنقص عليه حياته ، ودخله الحلم والكدر ، وجدته نفسه أن يرحب عن خدمة الحكومة والتطلع لمناصبها ، إذ لم يجد من ولاية الأحرار إنصافاً ولا تقديراً ، واعتزم الرجوع إلى بلده والاشتغال بالزراعة وقال لنفسه : « هو صلت الله خيراً فى نتائج الفكر ونمات المعارف ، ولتعرض أتنا ما فارقنا البلد ، ولا عرجا منها » .

وبينا كان يتأهب للرجوع إلى بلده صدر الأمر للضباط المرفوقين باخضور إلى القلعة . فكان هو ممن أعيذوا لخدمة ، فعمل من عزمه الأول

وبعد قليل عين معاوناً لوزارة الحرية ، وأحيل عليه النظر فى التحقيقات الخاصة بالمصاع الحرية والمحيطات ( محارب البارود ) ، ولم يكن هذا العمل مما تألقه نفسه ، لتعاضته وعرضه ، ولكنه راض نفسه على البصر ، عسى الله أن يأتى بالفرح القريب ، وحدث أثناء قيامه بهذه الوظيفة أن شرع وزير الحرية وقتئذ ( إسماعيل باشا المريق ) فى وضع رسم حصص الحرب الحرية ، فصبر عن عصبه ، وحار فى إتمامه . فاستدعى على بك مبارك لما كان يجهده فيه من لكفاءة والخبرة ، فوضع الرسم المطلوب ، فأثنى عليه الفريق ، ووعدوه بأن يذكره بالخبر عند سعيد باشا .

وقد ولى إسماعيل باشا ما وعد ، وكان من نتيجة معاهد أن أمر سعيد باشا بإلحاق المترجم مستودعي الدخيلة - وكان يحاد عليه النظر في بعض القضايا - ثم عهدت إليه وكالة المحكة التجارية : فاصطلع بأعبائها بأمانة ونزاهة ، ولكن سلفه فيها وشى به لدى سعيد باشا ، فوفت منها ، وحاد لما بدا ، عاطلاً من المنصب ، واحتكف في بيته ثلاثة أشهر ، ثم عين مفتشاً لمصلحة نصف الوجه القبلي ، ثم استدعاه سعيد باشا ، وعهد إليه بوضع مشروع أحكامات الجهاد ، وهو مشروع جليل الشأن ، كان الغرض منه تحصين موقع الجهاد ( بنو رشيد ) ، بين فرع رشيد وبحيرة إدكو ، لمنع العدو من مهاجمة القطر المصري من هذه الناحية ، فوضع للمترجم الرسم المطلوب لهذه الأحكامات ، وأدى المهمة على خير ما يراه ، ولكنه عندما أراد أن يعرض الرسم على سعيد باشا لم يستطع تقديمه إليه ، وتردد عليه آنفاً في طرده ، وآتونة في قصر النيل ، فلم ييسر له مقابله ، واضطر للملازمة معية في السفر من بلد إلى بلد ، مدة ثلاثة أشهر ، بلا راتب ، ولا عمل ، دون أن يقتر بتقديم الرسم المطلوب ، إلى أن رآه سعيد يوماً في الجزيرة ، فذكر الرسم الذي كلفه به ، وسأله عنه ، فقدمه إليه ، فظهر فيه قليلاً ولم يزد عن قوله : « أبقيته حتى نجد وقتاً لإعجاب النظر فيه » ، وكانت هذه الإجابة نتيجة الانتظار مدة ثلاثة أشهر ، ثم لم يلتفت إليه بعد ذلك ، ولكنه أمر بربط مرتب للمترجم ، وفق في معيته رماً طويلاً بلا عمل إلى أن أصدر سعيد أمره باختيار بعض المعلمين لتعليم الصباط الخارجين من تحت السلاح القراءة والكتابة والحساب ، فقدم على بك مبارك للقيام بهذه المهمة ، ليشتغل نفسه بعمل ما ، مها كان ضيقاً ، لأن نفسه كانت تعاف الكسل والبطالة ، فصار يدرس لهم حروف الهجاء ، والخط والبادئ الأولية في الرياضيات والقواعد الهندسية ، وحاوله في التدريس اثنين من المدرسين ، ووصع في ذلك كتاباً مختصراً في الحساب والهندسة وطرق لاكتشافات العسكرية معاه ( تقريب الهندسة )

وكان يشغل أوقات فراغه بالمطالعة وتدوين بعض الملاحظات على ما يقرأه ، جمعها بعد ذلك في كتاب سماه ( تذكرة المهندسين ) ، يحتوي على فروع شتى مما يحتاج إليها المشغولون بالهندسة ، ولا اعترم سعيد باشا السفر إلى أوروبا أمر يفت أظلم من كان يعميه ، فكان المترجم غرس بالمرحونين

وأمر قبل ذلك ببيع مهابت مدرسة الهندسة وأبنائها وكتبها من كثير من تعلقات الحكومة التي اعتبرت « رافعة من الحاجة » ، فدعش المترجم ، إدراى هذه التفاسل تباع

بالرؤد بأجس الأنفاق ، وفي جعلها الكتب التي طبعها أثناء مظارته لهذه المدرسة . مدخل الزاد واشترى من هذه الأشياء ما أمكنه اقتباعه .

ولما اشتد الضيق بالمترجم فكر في الاشتغال بالتجارة ، فاجربها بشراء ، وحاس التجار ، وكثر منه البيع والشراء ، لربح واستعان بالربح على الإنفاق وأداء بعض الحقوق ، واستمر تجر مدة شهرين ، ثم فكر في التبرع للتجارة والإعراض عن مناصب الحكومة . لما رآه من اضطراب الأحوال وتقلب الأمور ، مما كان يفتقه ثمرات العلوم ، وشعر بأنه كلما تقدم به العمر وكثر بونه . فقد ما جمعه من الكد والتعب ، فذر الاحتراب بالتجارة وجمال بحاطره أن يفتد وبعض زملائه للمهندسين المتفاعلين شركة يحس الغرض منها بناء البيوت للبيع والتجارة ليربحون منها ويستشيرون فيها معارفهم المتدب وخبرتهم الفنية ، فلم يجد من يوافقه على مشروعه . ففكر في القيام به بنفسه ، وفيما كان مكرراً في مخرج من الضيق الذي اشتد به طرق سعيد باشا طارق القون في أوائل سنة ١٨٦٣ . فكان لوفاته أثر كبير في حياة المترجم ، ذلك أن إسماعيل لم يكف يخلط المرش حتى فكر في استخدام مواهب ربه القديم في البعة ، فافتتح باب الأمل والفرق أمام على بك مبارك .

### أعماله في عهد إسماعيل

لما تولى إسماعيل الحكم ألحق المترجم معيه ثم جعله ناظراً على القناطر الخيرية ، وكانت إلى ذلك الحين لم تستخدم أبوابها الحديدية المدة لإختال حيونها ، والمانع من إلحاقها ما قرره المهندسون من أن القناطر لا تتحمل ضغط المياه بل تقويتها ، وترتب على ذلك أن معظم المياه انحوت إلى فرع رشيد ، وحرم فرع دمياط مرور المياه فيه ، فلما عرض على المترجم أرأى إقتال قناطر فرع رشيد ، لتقلية فرع دمياط ، فعمل الخديو برأيه وأمر بإقتالها ، فالتجدرت المياه إلى فرع دمياط ، وتالت البلاد التي تروى من مائع الري وغيرها ، وأما الخلل الذي كان متوقفاً حصوله في بعض الميون بقناطر فرع رشيد فقد تلافاه المترجم ، إذ أقام حاجزاً من الخشب لحاط بالقناطر ، فتشأت خلقها جزيرة من الرمل حطتها من ضغط المياه . وهكذا تبين صواب الرأي الذي ارتآه على بك مبارك

ولما حفر رياح المتوفية<sup>(١)</sup> أنشيل على المترجم إنشاء قناطره ومبانيه ، فأقامها على أحسن

(١) حر ١٦ - ص ١٠٦ - أول مرة في عهد سعيد باشا وأمره بحفره وصنعه له عهد إسماعيل

نظامه . وفي سنة ١٨٦٥ تدهت الحكومة المصرية مصراً عنها في اللجج التي ألفت لتقدير الأرضي التي صارت حقاً لشركة القناة طبقاً لحكم الامبراطور نابليون الثالث ، فأدى هذه المهمة خير الأداء .

### وكالة وزارة المعارف

وفي سنة ١٨٦٧ جعل وكيلاً لوزارة المعارف العمومية (ديوان المدارس) ، وكان يتولى هذه الوزارة شريف باشا الوزير المشهور ، فتمثل للترجم منصبه الجديد مع بقاء نظارة القناطر الخيرية في عهده ، وبدأ من ذلك الحين عهد جديد للترجم ، إذ صار له بحكم منصبه النفوذ الكبير الذي يسمح له بإقتاد إصلاحاته في دائرة التعليم العام كان من مرياً للترجم أنه يتم كل عمل ترواه . ويدل كل ما في وسعه يقوم به على الوجه الأكمل ، فانتبه نذب الخديو إسماعيل إياه لرحلة مالية إلى باريس مقبب تعيينه وكيلاً لوزارة المعارف ، وأخذ يستكمل معلوماته عن حالة التعليم ونظام المدارس في فرنسا ، ليقتبس ما يراه صالحاً لمصر ، ومع أن رحلته هذه لم تتجاوز خمسة وأربعين يوماً بما فيها الذهاب والإياب ، فقد اطلع على مناهج للتعليم في المدارس الفرنسية ، والكتب المقررة فيها ، وحرس أيضاً نظام الجارى العامة المبنية تحت الأرض في باريس .

### توليته وزارة المعارف والأشغال

وبعد عودته إلى مصر أنعم عليه الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٨ برتبة الميرمان ، فصار يعرف من ذلك العهد بعل باشا مبارك . وأسند إليه إدارة مصلحة السكك الحديدية ، ووزارة معارف والأشغال ، وبعد قليل صممت له مدرة ديوان الأوقاف ، فجمع بين هذه المناصب لرفيعة . مع بقاءه ناظرًا للقناطر الخيرية والتحاظه بالمعية .

### العصر الذهبي في حياة المترجم

وهنا يبدأ العصر الذهبي في حياة المترجم ، وهو العصر الذي جعل بالأعمال العظيمة ، التي خلقت اسمه في تاريخ مصر الحديث ، وخاصة في نهضتها العلمية . وقد ما بلغت النظر في هذا الدور من حياته ، كنهاته المتنارة في اصطلاحه بأعماله

جريت المختلفة . فقد كان في وقت واحد وزيراً للمعارف ، والأشغال ، والأوقاف . ومديرًا عامًا للسكك الحديدية ، وناظرًا للقناطر الخيرية . وهي مهام جسام تنوء بالعصبة من الرجال . ولكن على باشا مبارك قام بها جميعاً ، وأظهر من الكفاءة وقوة الإرادة والجلد حين العمل ما يدعو حقاً للإعجاب ، وصدقت كلمته المتراصة التي قال في هذا الصدد عن نفسه . « فبدلت جهدي . وشجرت عن ساعد جدي . في مباشرة تلك المصالح فحمت بواجبها »

وهنا تتجلى ميزة كبيرة للمترجم ، تطالعا بحاجة من بواحي شخصيته . وهي مقدرة على الاصطلاح بالمهام العظام ، فقد يكون لعل باشا مبارك أنداد في العلم والدكاء بين زملائه الذين تولوا مختلف الوزارات والمناصب العالية ، ولكننا نعتقد أنه بذل أفراته في الجمع بين مره متعددة ، وهي الكفاءة والحلقة على العمل ، والإخلاص ، والتمزقة في أداء واجبه ، وإتقان الأعمال الكبيرة التي تعهد إليه ، على ما تقتضيه من جهود ومناصب ، فأرأس الذي يجمع وولات المعارف والأشغال والأوقاف ، مع إدارة مصلحة متشعبة الأعمال كالسكك الحديدية ، والكفافة التي تصطلع بكل هاتيك المصالح ، والمهمة التي تصرف شؤونها المختلفة ، وتكرها المشاريع الحسنة ، كل ذلك لا يصدر إلا عن نبوغ فذ ، وهذا يعطينا فكرة صادقة عن شخصية المترجم

وزرع على باشا مبارك أوقاته بين هذه الوزارات المختلفة ، فخصص نصف النهار من الصباح إلى الظهر للمعارف والأشغال والأوقاف ، ومن بعد الظهر إلى الغروب لإدارة السكك الحديدية

### في وزارة المعارف

كانت معظم جهوده موجهة إلى رفقة شئون التعليم في بلاده .

### نقله المدارس إلى درب الحمايز

وأول أعماله نقل المدارس من المعايبة إلى درب الحمايز ، ذلك أنه رأى ما يتكده التلاميذ وأهلهم والأساتذة من اللعاب والمشايق والنفقات ، في ذهابهم إلى المعايبة ، وإيابهم منها ، فاستصدر من الخديو إسماعيل إذا بنقل المدارس إلى درب الحمايز ، وعخص

فد سرائى الأمير مصطفى فاضل ، فأصلحها على باشا مبارك وحصلها على استعداد لإيراد المدارس والمعاهد وتخصيص ملائك السراى لوزارة المعارف ، وجعل كل مدرسة فى ناحية من السراى ، فصارت أشبه ما تكون بالحلقة . وجعل بها أيضا رولوة لأشغال ، وديوان الأوقاف ، فسهل عليه القيام بأعباء الولايات المختصة ومع اصطلاحه بأعباء هذه الولايات ، كان لا يفتك بهى بتعدد أحوال التلاميذ والمعلمين فى المدارس ، ويدخلها كل يوم ليشهد بنفسه سير التعليم فيها ، وليطمئن على حسن نظامها ويقام المدرسين يوجهاً بهم

### لائحة التعليم وإنشاء المدارس الابتدائية

وقد وجه محتاجه مند تولى وكالة الوزارة إلى إصلاح التعليم فى الكتاب وتحويل ما يمكن تحويله من الكتاب إلى مدارس ابتدائية نظامية ، فوضع لذلك لائحة للشهيرة بلائحة ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ التى نظمت للمدارس ، ودعا طائفة من المشغطين بالتعليم ليراجعوا المشروع ويبحثوه ، ويبدوا آرائهم فيه ، فدرسوا اللائحة وقروها ، وصدر أمر الخديو بإجراء العمل بمقتضاها فى مايو سنة ١٢٦٨

راشياً . فى عهده كثير من المدارس الابتدائية النظامية فى القاهرة وعواصم المقريات . وكان لاجتماع وزارة المعارف ونظارة ديوان الأوقاف فى هذه تتركيز فى نهضة التعليم ، لأنه بما له من سلطة النظر على الأوقاف الخيرية استطاع إحداث كثير من الأمكنة للوقوف لجعلها معاهد للتعليم بعد إصلاحها ، ولو لم تكن له هذه السلطة لبقيت هذه الأماكن معلقة لا يفتح بها ، ولعجزت الحكومة عن التصرف فى اقتضاها إنشاء معاهد جديدة ، وكذلك أمكنه بما له من حق الإشراف على معاهد العلم للوقوف أن ينظمها ويحولها إلى مدارس نظامية . فأحيا هذه المعاهد بعد ما درست فى أيدي نظار الوقت الحاميين ، وكذلك أحسن إدارة أموال الأوقاف الخيرية . واستخدمه جانياً منها فى الإيفاق على التعليم بعد أن كانت تبعد وتضيق عنه . وجعل على أهالى التلاميذ المقتردين مصروفات قليلة تؤخذ برغبهم على حسب اقتدارهم . مع ترك الفائض مجانياً ، واستوفى ما فى صفقات المدارس من إيرادات الأوقاف الخيرية لمؤونة على الكتاب وغيرها من وجوه الخيرات ، وتخصيصها للتعليم إسماعيل إيراد أطفال

تحتش الرادى باشرقية . كما منحها بعض الأملاك التى آلت إلى بيت المال من بعض التركات ، فكانت هذه الموارد هى التى يفتق منها على تلك المدارس عدا ما خصص لها من الدراية السنوية والمصروفات الصلبة التى يفتقها أهلى تلاميذ دوى الاقتدار واليسار .

### معلمو المدارس

إن وضع نظام صالح للتعليم يقتضى توفير العدد الكاف من الأساتذة الأكفاء ، وقد حل على باشا مبارك هذه المعضلة بما أوفى من عناية ، ونظر صادق ، وهزيمة ماضية ، فأنشأ مدرسا للعلوم ، كما سيجى . بياها ، لتخرج أساتذة اللغة العربية ، واختار لتدريس بقية العلوم . كالتاريخ والجغرافيا واللغات الأجنبية بحذاء التلاميذ المتقدمين من أنمو دروسهم فى المدارس العالية ، ككل الهندسة والحساب ، ومدرسة الطب ، ومدرسة الإدارة ( الحقوق ) . بأن يحملوا أولا معيدين للدروس المعلمين زمنا ، ثم يصبحون معلمين استقلالاً ، ولم تكن مدرسة المعلمين العليا قد أُنشئت بعد

### دار العلوم

هى من أميل مشآت على باشا مبارك ، أسسها سنة ١٢٨٢ ، والغرض الأصل منها تخرج أساتذة اللغة العربية والآداب للمدارس الابتدائية ، ثم للمدارس كافة ومرجع الفكرة فى تأسيسها ، أنه لما أُنشئت المدارس الابتدائية ، وانجذب العزم إلى الإكثار منها ، صبت الحاجة إلى طائفة من الأساتذة لتدريس اللغة وآدابها فى المدارس الحديثة . فارتأى المترجم إنشاء مدرسة عالية دعاها دار العلوم ، لتخرج أولئك الأساتذة . وختار تلاميذها من طلبة الأهر . ممن حفظوا القرآن الشريف وبقوا دروس لغة وفقه ، واحترق هذه المدرسة بالامتحان ، واشتمل برنامج التعليم فيها على العلوم التى لا تدرس فى الأهر . كالحساب والهندسة والطبيعة والجغرافيا والتاريخ والحل ، مع إتقان علوم الأهر من لغة وحو وتفسير وحديث وفقه واختار المترجم للتدريس فى دار العلوم جماعة من جلة العلماء الأكفاء فى العلوم الأهرية

والعلوم العصرية ، وجعل التعليم فيها مجانياً ، مع دفع مرتب شهري للتلاميذ وقد أنشئت المدرسة ، وتخرج منها أساتذة اللغة والآداب العربية للمدرسة الابتدائية في القاهرة والأقاليم ، ثم للمدارس الثانوية والعالية ؛ وبعد إنشاء دار العلوم أعظم خدمة أسداها ترجم لإحياء اللغة العربية وآدابها في مصر.

### دار الكتب أنست سنة ١٨٧٠

أنشئت دار الكتب سنة ١٨٧٠ ، ولتأسيسها مقلحات ترجع إلى عهد محمد علي ، فقد أنشأ مستودعاً لبيع مطبوعات الحكومة في بيت المال القديم ، خلف المسجد الحسيني ، ولما ولي إسماعيل الحكيم أصاب إليها نحو ألى مجلد من المخطوطات العربية والعربية . ابتاعها من تركة حسن باشا المنسترلي ، ثم تطورت الفكرة إلى إنشاء دار عامة للكتب ويستعاد لما ذكره علي باشا مبارك في الجزء التاسع من المخطوط (ص ٥١) أن فكرة تأسيس دار الكتب ترجع إلى الخديوي إسماعيل ، فإنه ذهب في إنشاء مكتبة عامة تجمع الكتب المتفرقة في عازن الحكومة ، ومكتاب الأوقاف وفي المساجد ونحوها ، وأمر المترجم بالنظر في ذلك ، فحقق الفكرة ، وأنشأ دار الكتب في سراي درب الجواميز بجوار المدارس ولكن يؤخذ مما جاء في الجزء الثالث من المخطوط (ص ١٤) أن صاحب الفكرة في هذا المشروع الجليل هو علي باشا مبارك ذاته ، فقد قال في هذا الصدد :

« ثم ظهر لي أن أجعل مكتبة خديوية ، داخل القلعة المصرية ، أضمها بها مكتبة باريس ، فاستأذنت الخديوي إسماعيل باشا في ذلك ، فذعن لي ، فشرعت في بناء المكتبة الخديوية هناك أيضا (درب الجواميز) ، وبعد فراغها جمعت فيها ما نشئت من الكتب التي كانت بمجهاز الأوقاف ، زيادة على ما صار مشراه من الكتب العربية والترغمية وغيرها ، وحملت لها ناظراً ورثت لها خدمة ومعاونين ، وعملت لها قاتوناً لصطلها ، وعدم صياح كتبها ، فبادرت بمرور الله من أنفع التجديدات التي حدثت في عهد الخديوي إسماعيل باشا ، وحصل بها انفع العام ، للخاص العام » .

وقد ابتاع إسماعيل باشا مجموعة الكتب القيمة التي تركها أخوه الأمير مصطفى فاضل بعد وفاته ، وأهداها إلى دار الكتب

وأعق على المدارس من ميزانية المدارس ، وفتحت أبوابها لطلاب العلوم والمعارف ، وسهلت لهم لإطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات ما كان يمكنهم الوصول إليها لولا إنشاء هذه الدار ، فأدت ولا تزال تؤدي خدمات جليلة للبهمة العلمية والأدبية

### محلة (روضة المدارس)

ومن حلل مشتهرة العلمية إنشاء محلة روضة مدرسه على عفة وزارة المعارف وبإشرافه . وستكم عنها فيما يلي

### مدرج المحاضرات (الانفتيخ)

ورثت دروساً عامة أو محاضرات دورية بالانفتيخ (المدرج) سراي درب الجواميز سنة ١٨٧١ . فبعد إلى التابئين من أساتذة المدارس إلقاء هذه المحاضرات لتتفهم أدهان الطلبة . وكان يشجع هذه الحركة لمحضرم المحاضرات بنفسه ، وهذا حذوه كبار الموظفين في مختلف الوزارات ، وخاصة وزارة المعارف ، وكان يحضرها أيضاً عددا طلبة المدارس العالية . فريق من طلبة الأزهر ، وهم الذين صاروا بواة دار العلوم التي أنشئت سنة ١٨٧٢ ونول إلقاء محاضرات طائفة من العلماء المشار إليهم بالناك ، فكان الشيخ حسن الرصوف يدرس الآداب العربية ، وإسماعيل بك (باشا) مصطفى الطلعي ناظر للمهندسة يدرس علوم الفلك باللغة العربية ، ومنصور أفندي أحمد أحد أساتذة المهندسة . يلقى محاضرات في الطبيعيات ، وفرائس بك (باشا) كبير مهندسي الأوقاف في اللاني ، وجيجون بك ناظر مدرسة الفنون والصنائع في الميكانيكا ، ويروكش باشا ناظر مدرسة اللسان المصري القديم في التاريخ العام ، والشيخ عبد الرحمن البحري في فقه لإبده أبي حنيفة ، والشيخ أحمد الرصوف في التفسير والحديث ، والمسيو بكيت في الطبيعيات . وأحمد بك بد في علم النبات وغيرهم إلخ إلخ<sup>(١٢)</sup>

(١٢) من كتاب (التعليم العام في مصر) لأحمد مصطفى باشا ص ٢٤

### معمل الكيمياء والطبعة

وأنشأ بمدرسة الخيامية معملًا للكيمياء والطبعة لتوسيع مدارك التلاميذ في العلوم الطبيعية وإطلاعهم على تجاربها ومشاهداتها والمران على استعمال الآلات الرياضية والطبعة.

### أعماله الهندسية

إن شهرة علي باشا مبارك تقوم في الغالب على خدماته الجليلة للتعليم ، على أن له آثار أخرى في أعمال العمران التي تمت في عهد إسماعيل ، مما ما يختص بالرى ، ومنها ما يتعلق بتنظيم القاهرة والمدن الأخرى .

ليس يخفى أنه بولايته وزارة الأشغال سنة ١٨٦٨ ، قد عهد إليه الخديو بمعظم الأعمال الهندسية التي استحدثت في ذلك العهد

فاشترك في تنظيم القاهرة ، وتوسيع شوارعها وطرقاتها ، وإنشاء أحيائها الجديدة ، ومعظم الأعمال التي تمت من هذا القبيل مدت في عهده ، مثل شروع محمد علي ، ومبانيه ، وشوارع الأريكة ، ومبانيها ، والشوارع المنشأة بمايدين ، وباب القوق وغيرها مما هو يدخل المدينة وخارجها

قال في هذا الصدد : « وجرى العمل على ذلك . فظهرت كل هذه المرافق الحسنة . والشوارع المستقيمة المنسقة المحفوفة بالأشجار المحصرة النصر ، المستوية للقادمين على المدينة انشراح الصدور ، والمرح والسرور ، وأزيل ما كان يحجبها البحرية من التلال التي كانت تعبد من جهة الضجالة إلى قرب باب الفتوح ، ثم نزع الخديو إسماعيل للراغبين بمواضع كثيرة ، فأنشأوا بها المباني المشيدة ، والبساتين المتعددة ، وناهيك بقصور الإسماعيلية ودورها وبساتينها وشوارعها . التي يكنى الوصف عن محاسن هجتها » .

واشترك في استحداث الإنارة بنار الاستصباح ، وإقامة وابور المياه لتلبية القاهرة بماء الشرب الصالح بواسطة شركتي النور والمياه ، وإقامة (كوبري) قصر النيل الدع ، وغير ذلك من الأعمال النافعة

وساهم أيضا في أعمال العمران بمدينة الإسكندرية والسويس .. وما أنفق في المصريات من الدواوين . والحسور . والتناظر . والبرق . قال في هذا الصدد : « وهذه الأعمال جميعها أو أكثرها كنت أبشر أمورها من رسومات وشروط مع المفاوضين نحو ذلك . لتعلقها بديون الأشغال ، فكنت في سعة إمالة هذه الدواوين على مشغولا بالمصالح الأميرية ، وتجهيد الأغراض الخديوية . لئلا ونهاراً ، حتى لا أرى وقتاً التفت فيه لأحوالي الخاصة لي . ولا أدخل بيني إلا ليلاً . بل كنت أفكر في الليل في عمل بالبر » .

وكان متولياً ووزارة الأشغال عند افتتاح قناة السويس ، عهد إليه الخديو إسماعيل إعداد مخططات حملاته الضخمة .

ومن أعماله في ديوان الأوقاف أنه حكر كثيراً من أراضي القاهرة للراغبين في بنائها ، مقابل حكر صثيل بدعونه كل سنة ، وصمرت جهات كانت من قبل حراباً بفساً ، وأقيمت الماني والمائر في أخطاط عديدة من المدينة .

وبإدارته مصلحة السكك الحديدية اشترك في مد كثير من الخطوط الحديدية وإنشاء محطاتها

### انفصاله عن الوزارة ثم عونه

انفصل المترجم عن إدارة السكك الحديدية ، ثم من وزارة المعارف ( في سبتمبر سنة ١٨٧٠ ) ، وعن الأشغال ثم عن الأوقاف ، لخلاف وقع بينه وبين إسماعيل صديق باشا ( المفتش ) وزير المالية المشهور بحظوته عند الخديو إسماعيل ، ذلك أن المفتش رغب في أن يضم إيراد السكك الحديدية إلى وزارة المالية ، فلم يقبل علي باشا مبارك هذا الصم إلا إذا تمهدت المالية بجميع تغطيات المصلحة ، فوقع الخلاف بين الرجلين ، ووشى إسماعيل صديق بالمترجم عند الخديو ، فأدى ذلك إلى انفصاله عن الوزارات التي كان يقوم بأعمالها ، ولزم بيته ، على أن انفصاله لم يدم طويلاً ، ولعل الخديو شعرا بالمرغ الذي ترتب على انفصاله عن العمل ، ولم يجد من بين وزرائه من يسد هذا الفراغ . فعهد إليه ثانياً بوزارة المعارف ( ١٣ مايو سنة ١٨٧١ ) ثم بالنظر على ديوان الأوقاف ، وبعد قليل أعيد إلى ديوان الأشغال ، وبقى يتولى وزارة المعارف إلى أغسطس سنة ١٨٧٢

ثم عن الحديدي أن يعي ابنه الأمير حسين كامل باشا (السلطان حسين كامل) ناظرًا لهذه الدواوين في أغسطس سنة ١٧٨٢ . وفي المترجم يتولى شؤونهم . وصار منصبه « مستشارًا » لها . وبعد قليل انفصل ديوان الأشغال برئاسة الأمير حسين كامل وحمل للمترجم وكيلًا له . وفي أغسطس سنة ١٨٧٣ عين المترجم عضوًا بالمجلس الخصوصي الذي كان عترة مجلس الوزراء . وبعد قليل انفصل عنه لما أقيمت في حقه الوثائق كإسماعيل باشا صديق وأصراره وما أوجعوا به من أن كتابه ( نجة الفكر ) الذي كتفه الحديدي تأليفه عن الخيل مشتمل على نقد لحكومة الخديوية وتوبيخ سياسيًا . فإلزم بيته تأنيًا .

وفي مارس سنة ١٨٧٤ جعل رئيسًا لقسم الهندسة بديوان الأشغال . ولما أُلحق هذا الديوان بوزارة الداخلية التي تولاهها الأمير محمد توفيق وبلى عهد الأريكة الخديوية وقتئذ جعل للمترجم مستشارًا له ، ثم استقل ديوان الأشغال ، فُيُح للمترجم مستشارًا للديوان ( ديسمبر سنة ١٨٧٥ )

ولاشك أن تعيينه على باشا مبارك في هذه المناصب الثانوية كان نتيجة الوشاية التي ألقاها إسماعيل صديق في حقه عند الخديوي

### في وزارة نوبار باشا

ولما وقعت بمصر الأحداث المالية ، وحدث التفتت الأجنبي وعينت لجنة التحقيق الدولية ، كان من مطالب اللجنة تنازل الحديدي عن سلطته المطلقة لمجلس النظار ، فتألفت وزارة نوبار باشا الأولى في أغسطس سنة ١٨٧٨ ، وهي الوزارة التي دخلها الوزراء الأوربيون كما نراه مفصلاً فيما يلي ، واشترك فيها المترجم إذ تولى وزارة المعارف وديوان الأوقاف ، لاستأنف عمله في إحياء هيئة التعليم ، فشرع في بثه بعض المدارس الابتدائية وظل قائمًا بعمله في جر الملوحة بالاصطرابات والارتباكات ، إلى أن استبدت وزارة نوبار باشا لسطح الأمة ، وثار عليها القضاة فودعهم الأولى لاستقالت في فبراير سنة ١٨٧٩ ، وعلمتها وزارة توفيق باشا القصيرة المدى ، وكان المترجم ضمن أعضائها متوليًا المعارف والأوقاف ، ثم دعى شريف باشا الوزير المشهور إلى تأليف الوزارة الجديدة امتعاجًا لمطالب الأحرار فألف وزارته المعروفة بالوزارة الوطنية

وكان صيد لا يكون مترجم من أعضاء . لأن وزارة نوبار باشا استغفرت معصومًا عيب من شعب . وكانت مهمته ملاحقة ديوان الأحكام . ووزارة نوبار باشا . بكل مرصد عيب من برئ .

وفي عهد وزارة شريف باشا شنت الأزمة السياسية . بين حديدي إسماعيل وديوان الأوربي . وسبب محنة نوبار على يده الديوان

### في عهد الحديدي توفيق

ولما تولى توفيق باشا منذ الحديوية وعهد إلى مصطفى رياض باشا نائب وزارة نوبار . كان على باشا مبارك عضوًا فيها ، متقلدًا وزارة الأشغال ، ليدل جهلًا بملوحًا في تنظيم هذه الوزارة والقيام بكثير من أعمال الري والمصارف

### الثورة العراقية

وفي عهد هذه الوزارة هبت عواصف الثورة العراقية ، ولم يكن على باشا مبارك من أنصار الثورة ، بل كان يميل إلى الاعتدال وتهدئ الأمر بالحكمة والمروءة ، ونصح العراقيين بالمروءة فلم يسموا له بمصداً ، وقد تبين أنه كان أبعد نظرًا منهم ، لأنه لا ينبغي أن التطرف والسطط في مسلك الثورة العراقية ، كان من الأسباب التي أدت إلى كارثة الاحتلال .

لم يكن المترجم إذن من أنصار الثورة ، بل كان عضوًا في وزارة رياض باشا التي تحركت الثورة لمناوئتها وإسقاطها ، وقد سقطت فعلاً في سبتمبر سنة ١٨٨١ نزولاً على إرادة الثوار ، وألف شريف الوزارة الجديدة

ومع أن شريف باشا كان يقدر كفاءة على باشا واستقامته وإخلاصه ، إلا أنه لم يشركه في وزارة . لأنه كان عضوًا في وزارة رياض المصوب عليها من الشعب ، وهكذا قدر على مترجم أن يكون عضوًا في لوزاريين بلتش هت عنها عواصف لثورة وسبب نوبار عن يراة الثور

فالأول وزارة نوبار ، التي سقطت بتأثير ثورة الصباط في عهد إسماعيل . ونسبة وزارة رياض . التي سقطت نوبار على إرادة العراقيين



عليه من اللطائف ، والمساعد ، والزياد ، والأضرحة ، والربط ، والشكاي . والأسنية ، والقصور ، والزكايل ، والمهمات ، والكنايس ، والأديرة ، والمدارس ، والكتائب مع تراجم علماء مصر وشرفها وأديانها وحكامها وأمرائها ، وكان مرجع الترجمة في هذه الموسوعة الكبرى ، كتب لتاريخ المخطوط ، قديمها وحديثها ، وصحح لأوقاف والأعلام ، ومباحث ومثلهاته ، وما وجدته مسطوراً على الأحكام والحجوزان ، رأيت قبل أن يخلطه على بشا مبارك استعان لي وصحح المخطوط بطقفة من المهتدين من تلاميذه ومروسيه في وزارة الأشغال والمدرب ، وذلك لأينص من قصده ، ولا يقلل من عظم العمل بدي مصنف به ، وحسن أن أزيد به وحسن مساعدته إلى معاونت في البحث والتقيب ، وورعه تمسكي في جميع نواب الكتاب ومباحثه

وتقع المخطوط التوفيقية في عشرين مجلداً . ظهرت سنة ١٣٠٥ و ١٣٠٦ ( ١٨٨٧ ) ١٨٨٩ ) أفرد المؤلف الأجزاء الست الأولى للقاهرة . والمجزء السابع للإسكندرية والأجزاء الأخرى لبقية مدن القطر للمصري وعوا . وحصلت الجزء الثامن عشر لقياس النيل . والتاسع عشر كبرج مصر وباحاتها ومساكن التي فيها . والعشرين لعمودها القديمة والحديثة . وبالمجلة بهذا الكتاب مرة في تاريخ مصر العلمي . ومأثرة خالدة للترجم . وهو مرجع لكل باحث في شئون مصر العلمية والتاريخية . وله أيضاً في عالم التأليف كتاب ( علم الدين ) وهو قصة صرانية قيمة . وكتاب ( سيرة الأفيام في تصدى الأقسام ) طبع سنة ١٢٨٩ هـ ( ١٨٧٢ م ) و ( حجة التفكير في تدبير نيل مصر )

ويقول الدكتور محمد دري باشا في ترجمته لعل باشا مبارك ( ص ٦١ ) أنه وضع كتابا سماه ( آثار الإسلام في المدينة والمصران ) فكان هذا الكتاب دسر مؤلفاته شرح فيه ما أدخله الإسلام من المصراع في الممالك . وما برزت عليه من للدية والنظام . قائم . والذي يعرفه من أمره أنه ما أكمله تأليفا وتبييض أعطاه لأحد أقارب العلماء الأحرار بن سعيد بطر فيه ويدرس في مراحته . وهو باق فيما عمن في حوزاته مؤلفه رحمه الله . وقد استأنف لترجم جهوده في عهد وزارة رياض باشا بشر «صحيح و بناء مدرّس ، ومن حل أعان في هذا العهد تفرّده طبع كتاب ( مرشد البحيران إلى معرفة سجون الإنسان ) تأليف العلامة ( محمد قنبري باشا ) .

كان هذا للكتاب المجلد عسوطا ، فرائي العلامة على باشا مبارك . - بحججه للباس

ولما استقال وزارة شريف وانضما وزارة محمود سلمي بلقا البارودي ، ظل على مبارك معداً عن الوزارة ، وفي عهد وزارة البارودي جاهد الاسطول قهرماني إلى ثغر الإسكندرية ، ثم تلاخفت الأحداث إلى أن رقت اللاد بالاحتلال الإنجليزي . ولما قامت الحرب بين الفرنسيين والإنجليز ، وناحر الخديو تومر باشا إلى الاحتلال ، انتقلت جميعه عسوية في القاهرة تهم أنبان البلاد ودوى للكتابة فيها . وحصر على باشا مبارك هذه الجمعية ، وكان صمم الوم الذي انتهته الجمعية للسمر إلى الإسكندرية ، ومعالجة الخديو توفيق باشا ، لإيلاعه فرائز الحسية ، فلما وصل إلى الإسكندرية سعى في طريقه لهدنة الحالة ، فلم يجمع ، فأناحر إلى الخديو

### في وزارة شريف باشا الربطة

ولما ألق شريف باشا وزارة في رابعة سنة ١٨٨٢ عقب الاحتلال كان الترجمة ضمن أخصائها ، ونقله وزارة الأشغال . حتى بأعمال الري والمصران ، كما كان شأنه كلما تولى هذه الوزارة .

ووزارة شريف باشا هي التي استأثرت احتجابا على إيلا . لسودان ، فالترحم له نصيب في للوقوف للشرف الذي ولقه شريف باشا بتقديم استقالته فخاريجة في يناير سنة ١٨٨٤ .

### في وزارة رياض باشا ظهور المخطوط التوفيقية

وبعد إتقالة وزارة يوزر الثاني تولى رياض باشا الوزارة في ربيع سنة ١٨٨٨ ، فكان على باشا مبارك صمم انصافها ، ديراً للمعارف المصرية . وهي الفترة التي طهر فيها كتابه الخالدة ( المخطوط التوفيقية مصر القاهرة ومدنها وبلادها الحديثة الشهيرة ) وهو دائرة معارف مخطوط مصر وآثارها وجمهراتها وتاريخها في عصورها القديمة والحديثة ، وبعد كمله وتجهيزاً لمخطوط المرقري ، والكتب لمخطوط مصر الذي وضعه علماء مدرسة الرسة ، وفيه وصف شامل لمن مصر ، وولها ، وريها ، وزرعها ، وشجرها وسواطها ، ومخطوط كامل لأحياء القاهرة وشوارعها ، وحدودها ، وبيادها ، وما استحوط

مشور سيم فائده مشور من وريته مرحوم قسرى باشا - وطبعه سنة ١٨٩٠ على نفقة وزارة - وفورث تدريسه في مدرسة الحقوق ، ودار العلوم ، فأسدى بذلك خدمة عظيمة للعلوم الشرعية ، والقانونية ، ونبهة العلمية ، والتشريعية ولما استقالت وزارة رياض باشا سنة ١٨٩١ ، لزم الترجيم بيته ثم سافر إلى بلده لتتخذ أملاكه وإصلاحها ، بعد أن تركها وأهمل شأنها طوال السنين ، لاشتغاله بالمصالح العامة ، وهناك مرض بداء الماتة ، فعاد إلى مصر

### وفاته

وأنح عليه المرض ، إلى أن وافته ليلة محصر في منزله بالمخيم الجديدة ، في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣ ، فانطعا للمصباح الذي أضاء البلاد بأنوار العلم والفرقان ، أربعين سنة ونيفا ، وأفتحت المدارس حداً على ألبيا ، وارغبت البلاد حزناً على فقدها وانتقل المترجم إلى عالم الخلود ، تاركاً ذكرى مجيدة ، حافظة بما أسداه لمصر من جلال الأعمال .

### الجمعيات العلمية

الجمعيات العلمية هي من الوسائل الفعالة في نشر العلوم والمعارف ، ومن مظاهر تقدم الأفكار والثقافة في المجتمع ، وقد إزدان عصر إسماعيل بظهور الجمعيات العلمية ذات الأغراض السامية والمقاصد الحليمة .

### المجمع العلمي

المجمع العلمي هو الهيئة العلمية التي أنشأها تاطيون في مصر سنة ١٧٩٨ وسبق لنا الكلام عنها ( تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١١٨ - طبعة أول - ) ، وقد ألقى هذا المجمع عد جلاء الفرنسيين ، ثم أعيد إنشاؤه سنة ١٨٥٩ بالإسكندرية في عهد سعيد باشا ، واستمر قائماً في عهد إسماعيل يؤدي مهمته في نشر للباحث العلمية ، وهو قائم إلى اليوم واسمه ( مجلس المعارف المصري ) ، ومقره بوزارة الأشغال العمومية ، وله مجلة تشر مباحث

### جمعية المعارف ( أسست سنة ١٨٦٨ )

هي أول جمعية علمية ظهرت في مصر لنشر الثقافة براسة التأليف والطباعة والنشر ، أسسها سنة ١٨٦٨ محمد عارف باشا ، أحد أفاضل العلماء في ذلك العصر والمضرب مجلس الأحكام . والعرض من هذه الجمعية نشر العلوم والمعارف بطبع الكتب العلمية وتأييدها وتبديدها وتلخيصها ، وقد جعلت تحت رعاية الأمير محمد توفيق باشا ولي عهد الأريكة الخديوية وقتئذ ، وتولى مكانها ورأسها الفطية محمد عارف باشا ، وتألفت برأس مالك موزع على أسهم طرحت للاكتتاب العام ، قيمة السهم ثلاثون قرشاً (١٣) ، واقتت مطبعة لطبع الكتب التي تولت نشرها ، عدا ما كانت تطبعه في دار العباعة الأميرية ، والمطبعة الموهبة وتولت الجمعية طبع طائفة من أمهات الكتب في التاريخ وفقه والأدب . منها أمد الغاية في معرفة الصحابة لابن الأثير في خمسة مجلدات . وتاج العروس من شرح جواهر القاموس والفتح الوهمي في شرح المعنى في مجلدين ، وتاريخ ابن الوردي . وشرح التنوير على سقط الزند ( ديوان أبي العلاء المبري ) ، وديوان ابن خفاجة . والبيان والتبيين للجاحظ . وديوان ابن المعتز ، وشرح الشيخ خالدة على البردة ، وعنوان المرتصات والمطربات لنور الدين أبي الحسن . والمختصر في أنصار البشر . ومحاضرات الراهب الأصمهانى ، ورسائل يسيع الزمان الحمداني . وغير ذلك من الكتب القيمة

ولقبت الجمعية إقبالا عظيماً وتعصداً كبيراً من الطبقات المتتارة والمجتمع . إذ بلغ عدد أعضائها سنة ١٢٨٦ هـ ( ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م ) ٦٦٠ ونيف . وردت أسماؤهم في ديل كتاب « الفتح الوهمي » ، نذكر هنا طائفة منهم ، مودجا للطبقات التي اشتركت في الجمعية ، ولكي نبين مبلغ تعصيد المجتمع في ذلك العصر للمشروعات العلمية .

إبراهيم بك حلم من قصاة محكمة الإستئناف . إبراهيم أدهم بك وكيل محافظة الإسكندرية . السيد إبراهيم جميعي من أعيان الإسكندرية . السيد إبراهيم بك المويلحي من أعضاء المجلس الانتدائي . أبو زيد أفندي إبراهيم ناشمهلين القليوبية . أتولى بك أبو البر من

أعضاء مجلس شورى النواب . أحمد طلعت باشا كاتب الديوان الخديوى . الشيخ أحمد شرف الدين المرصى من علماء الأزهر . أحمد رشيد باشا من أعضاء مجلس الخصوصى ( مجلس الوزراء ) . أحمد خيرى بك مهندس دار الخديو . أحمد بك صدرا من ترجمه الكتب الغربية . الشيخ أحمد البتولى قاضى طحا . الشيخ أحمد الأصاوى قاضى طهطا الشيخ أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ووكيل الجمعية بالاستانة . أحمد بك فتحى ناظر مدرسة الإسكندرية . أمين بك فكرى . جعفر مظهر باشا حاكم دار السودان . جعفر صادق باشا رئيس مجلس استئناف قبل . حسن بك الشريعى . الشيخ حصة الوائى . حسين فخرى بك ( باشا ) . حسين شريف باشا . خليل باشا بكى . القزق راشد باشا حصى الدكتور سالم بك سالم . الشيخ عبد الرحمن الايزى . الشيخ عبد الرحمن الرفعى وعبد اللطيف باشا من أعضاء المجلس الخصوصى . محرم أحمدى عن عمده «سبلاوى» ومن أعضاء مجلس شورى النواب . محمد بك محمد عوف باشا السيد محمد يوسى محرم السيد محمد اللولبى الدكتور محمد شامى بك مصطفى رياض باشا يوسف صالح عمدة كفر بيدة أحمد وسم الملايى من أعيان الإسكندرية . الشيخ دراوى عاشور عمدة بيوت ، الدكتور حسين بك عوف . الشيخ حسين حمزة من أعضاء مجلس شورى النواب . حماد بك عبد العاطى . على دو الفقار باشا وزير الخارجية . محمد مظهر باشا وكيل مجلس الأحكام إبراهيم أهدى هلال مأمور صطبة بيت مصر . أحمد صادق باشا ناظر الدائرة السنية . أحمد هريد بك ناظر قلم المحاسبة السيد أحمد مشرفة . حمد دهمى بك ناظر المحاسبات . الشيخ أحمد باشا من علماء الإسكندرية . إسماعيل أهدى عبد الحائق وكيل ديوان الرماحة . إسماعيل بك رهدى ناظر مدرسة للصبيان . أمين بك سيد أحمد السيد حسن موسى العقاد السيد حسن المرقى . شعبى بك منصور . إلح . إلح .

وقد طلب الجمعية فائدة تؤدي مهمتها إلى أن تقتد التراجع السياسى بين الخديو إسماعيل والأمير عبد الحليم باشا ، فتناشها على عرش الخديوية . وكان عارف باشا من أنصار حليم باشا . فهاجر إلى الأستانة خوفا من بطش إسماعيل . وانجلى للجمعية

### الجمعية الجغرافية الخديوية ( أسست سنة ١٨٧٥ )

هى من أهم المنشآت العلمية فى مصر ، أسسها إسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ ، وأقرص منها العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها ، وأول رئيس لها هو العالم الألمانى الدكتور جورج شوغرت Schweinfurth . ووكيلاه العلامة محمود باشا القللى ، والجنرال استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، ولها عملة دورية تنشر البحوث والاكتشافات . وتؤدي خدمات جليلة للعلم والجغرافية ، وقد رجعت فى كثير من المواطن إلى الباحث القيمة والمراعاة الدقيقة للمشورة فى عملها

### الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشئت بالإسكندرية سنة ١٨٧٨ ( ١٢٩٦ هـ ) بمضى السيد عبد الله تديم ومساعده سعد الله بك حلاية من سراف الثغر ، والباحث على إنشائها شعور الخاصة بطفيان النعوذ الأجنبى فى البلاد ، وتدخل الأجانب فى شئوننا . واستثمرتم بمراقبتها .

قأسست هذه الجمعية فتح المدارس الحرة لتعليم البنين والبنات ، وتهذيب الأخلاق وإعانة الفقراء ، وقد أنشأت مدرسة بالإسكندرية لتعليم البنين والبنات ، وعقد فيها حفل للحفظة ، كانت تلقى فيه الخطب والمحاضرات مرة فى الأسبوع ، ووضع لها قانون ، وأجرت عليها الحكومة راتبا سنويا على سبيل الإعانة ، فانتسج نطاقها ، وذكزت جريدة « التجارة »<sup>(١)</sup> لأديب اسحق بيا إنشاء هذه الجمعية بالإسكندرية ، وجمعية أخرى بالقاهرة وأخرى بنسباط

وهى غير الجمعية الخيرية الإسلامية الحالية التى أسس سنة ١٨٩٢

### الصحافة

ظهر فى مصر على عهد عباس وسعيد من الصحف المصرية سوى « الوقائع المصرية » ، حتى أنشأها محمد على باشا . وكانت الحكومة تتولى إصدارها . ولم يظهر غيرها من الصحف

في ذلك العصر. أمثال علي مارك باشا - وعبد الله بك حكري (باشا) - وشيخ صبح  
نورص - وردة بنت رافع - وابنه علي بك فهمي رافعة - والسيو بروكش باشا باظر مدرسة  
نصارى مصرى أقدم محمود باشا قنلىكى - وجميعين بك مصطفى العسكى (باشا) -  
ومحمد قنلىرى بك (باشا) ولندكتور محمد بك بدر - ومحمد بك بدا الممد السى الشهير -  
والشيخ عبد الحدى ع الإيادى - وأحمد بك صابح عسكى - وعبد الله بنو السعد أمدى -  
محرم صحفة وادى النيل - وشيخ عمر ممدوح أحمد سائمه اللمة المبرمة بالدارس  
التجهرية - والشيخ حنبره النورى والشيخ حمزة فتح الله فكانت هلة بيدا سبارى  
فيه فطائل الكتاب في ذلك العصر - ولها الباحث الطرمة في العلم والأدب والأخبار  
والتاريخ والفلك والرياضيات ، وكانت تصدر مرتين في الشهر ، وقد صدر الممد الأول منها  
في ١٥ المحرم سنة ١٢٨٧ (سنة ١٨٧٠) ، واستمرت تصدر ثمان سنوات ، فأقادت التقاه  
للأمة كبرى ، قال فيها للسيد دور بك مفتش القسم العام على عهد إسماعيل في كتابه (١١٠) :  
ومدته الهلة كانت تزوج عانا على التلايد ، وقد ساهمت على نشر العلوم والمعارف ، لأنها  
هرمت الطلبة ملكة الخالدة والبحث ، وخصت صفحاتها للنايين منهم لنشر أبحاثهم القيمة .  
فكان ذلك يشجعهم ويحثهم على الباحث والجهود المستقلة عن دروسهم .

وقد أصاب السي دور في قوله ، فإن الهلة كانت تنشر مباحث طريقة لبعض نياه  
التلاميذ ، وقد رأيت فيها قصائد وقيمة من نظم المرحوم إسماعيل باشا صبرى ، تحلى فيها دلح  
النشر الحديث ، وكان وقتئذ الشاب التجيب إسماعيل أفندى صبرى أحد تلامذة مدرسة  
الإدارة ،

فيها قصيدة في مدح المقيم إسماعيل بالمدد ٢٠ من السنة الأولى (١١١) قال في مطلعها :  
سرت فلاح لنا حلال سعوى ونمى الغرام بغيرى الممد

وفصدة أخرى بالمدد ٥ من السنة الثانية قال في مطلعها (١١٢) :  
عزتك البراء أم طلبة البدر وفاتنتك الميماء أم عدلى السر  
وشمرنا م من رضى سدرته ونترك أم عقد تنظم من در

(١١٠) النسخ الممد في مصر من ١٢٨٢ للمسلمة و١٨٦٥

(١١١) هلة ممد - سنة ١٢٨٧

(١١٢) سج ١٧١ - سنة ١٢٨٨

لغربية ، وهذا من مظاهر انحدار الذى أصاب النهضة العلمية في وقت العهد  
ع شغب حى العمة وأدبه في عهد سماعين - فكان من بعدهم نائب  
همه وأدبه ع سماعين - وقد نشر بالصحافة على ذلك بعض عاتلة من بعده  
والأدباء مصريين وطاعة حوى من الأبناء السوريين ، ونعمه عامر ع كان له الأثر ع  
في جهة الصحافة ، والهيئة العلمية والأدبية عامة ، وهو بمقتضى احتياو إسماعيل ممد ،  
ومساعداته الأدبية والعالية للثقافة عليها .

وإذا ذكرنا هذا الصحف والمجلات التى ظهرت في عصره

١ - ع أولاً أن نذكر الوقائع المصرية ، فقد استمرت تصدر بانتظام في عهد  
إسماعيل - وبقى أسلوبها لإشراق - وحذمت بهمة الصحفية حدمه بذكر - فكانت تنشر  
من القصص العسية والأدبية ، وكانت على بذكر سائر الحكومة وأخبار عارحية ، ونشر  
معايط مجلس شورى النواب ، ونشرت في وصف المجلات العامة ، وخاصة لمجلات  
الطبية والتجربة - ثم مقالات ساق لخل ، التى كان لها شأن كبير في ذلك العصر - وتند  
لوقائع ممد معزى لما سمية من حياة مصر السياسية والاجتماعية في عصر إسماعيل - وهى  
من أهم المراجع المرجية التى لا يفتنى عنها من يك من تاريخ مصر الحديث  
ونشا الى جانب الوقائع صحف أخرى علمية ثم سياسية

## • الصحف العلمية والأدبية والحربية

٢ - أسبقها هلة (اليسوب) ظهرت سنة ١٨٦٥ ، وهى هلة شهيرة طلبة ، أنشأها  
الذكور محمد على باشا البنى وإبراهيم المسوق ، ولم تصدر طويلا

٣ - هلة (روضة المدارس) أنشأها لعلامه على مارك باشا سنة ١٨٦٠ حين كان في  
سعارف لصورب - وهى من أنش عهه ، وكانت الزرارة تنشر قصده ولا يندى عهه  
والمرص ميا إحصاء الأدب التجريبية ونشر المعارف العلمية - أسست رسمها في العلامة روعة  
بلك رافع الطهطاوى - وتولى تحريرها سه على بك همى وردة (باشا) - مدرس لأشياء  
عمومية الإدارة والألسن (المحقق) وقتئذ ، وكان يحوز فيها طائفة من أعلام الأدب والعلوم

ويأبى باشا سنة ١٨٨٠

١١ - حريدة روضة (الأخبار) لصاحبها محمد بك أنسى، نجل عبد الله أبو السعود أمدى، أنشأها بس صحيفه (وادي النيل) التي عطشها الحكومة كأي أسلحة، وكان عبد الله أبو السعود أمدى محرر قسمها السياسي إلى آخر أيامه

وقد ذكرها علي باشا في «مخطط التوفيق» ج ١١ ص ٦٩، وذكرها نصاً أدب استحق في

حريدة (التجارة) بالعدد الصادر في ٢٩ مايو سنة ١٨٧٨، لئلاسه اعتزام صاحبها تغيير اسمها

باسم (النيل)، وصدرت بهذا الاسم سنة ١٨٧٨

١٢ - حريدة (الكوكب الشرقى) لصاحبها سليم (باشا) الحموى، صدرت

بالإسكندرية سنة ١٨٧٣، ومحرر طويلاً وذكر في «الوقائع المصرية» بالعدد ٤٢٩ الصادر

في ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٧١ أن سليم حموى أنشأ مكتبة بالإسكندرية وقاعة للخطاطة بها

١٣ - حريدة (الأهرام) لسليم (بك) وشارة (باشا) نقلا صدرت سنة ١٨٧٥

بالإسكندرية، (والآن بالقاهرة)، وقد لاقت في مبدأ صدرها عقبات جمة، ثم نالت

حظاً كبيراً من الرواج، وكانت في مبدأ ظهورها أسبوعية، ثم صدرت غالبها حريدة (صدى

الأهرام) يومية حتى عطلت، ثم اعادت (الأهرام) بالظهور وصارت يومية، واستمرت

تصدر إلى اليوم، فهي أقدم الصحف المصرية السياسية

١٤ - حريدة (الإسكندرية) حاد ذكره في حريده (لتجارة) بالعدد ٥ يوبه سنة

١٨٧٨ إذا عالت إن سليم أمدى حموى عزم على إصدار حريدة أسبوعية تسمى

(الإسكندرية)، وقد صدرت فعلاً في يولييه سنة ١٨٧٨.

١٥ - حريدة (الكوكب المصري) للشيخ محمد وقاه، ذكرتها حريدة التجارة بالعدد ٣

من السنة الثانية (١٩ مايو سنة ١٨٧٩)

١٦ - (مرآة الشرق)، وهي حريدة سياسية أنشأها سليم حموى، ثم تسمى منها في

أبريل سنة ١٨٧٩، وتولاهما إبراهيم أمدى، اللقاني (بك) بإيماء من السيد جمال الدين

الأصمالي

١٧ و ١٨ - وأنشأ الشيخ يقوب صبرج صحيفتين سياسيتين. وهما (مرآة الأحوال)

صدرت في لندن سنة ١٨٧٩، و (أبو صسارة) صدرت سنة ١٨٧٧ بالقاهرة، وهي صحيفه

مألوقة لإسماعيل، وكان الشيخ يقوب صبرج مصرياً إسرائيلياً، متعلقاً بالصحافة، يعمل

وأنهى بالعدد ٢٣ من السنة الثانية (١٨٨٠) لسننها بقوله

لا والحموى المدري والرجد عدل - عدول فيك لا يندى

إني مع الصمد وطولد الجفا باق على «يدان» والمهد

ويبين من ذلك أن مدرسة الشعر الحديثة قد بدأت باكورتها بظهور مجلة روضة

لندائس<sup>(١١)</sup>

١٤ - حريدة (أركان حرب الجيش المصري) و (الحريدة العسكرية المصرية) وقد

سبق الكلام عليها من (١٨٤) (١٨٤)

## الصحف السياسية

وظهر من الصحف السياسية -

٦ - صحيفه (وادي النيل)، أنشأها الشاعر الفاضل عبد الله أبو السعود أمدى سنة ١٨٦٧

وهي أقدم صحيفه سياسية ظهرت في مصر، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع في شكل

الخطات، وظلت تصدر إلى أن ألغيت بأمر الحكومة سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م)

٧ - حريدة (ترجمه الأفكار) سنة ١٨٦٩ لشتها إبراهيم بك المروحي ومحمد بك عثمان

جلال، وكانت أسبوعية، ولم يصدر منها إلا عدنان، ثم عطلها إسماعيل مصبيحه شامري

باشا وزير الحرية، إذ حذره عوفق فخراً وما توفى إليه من البارة «مخراطر

٨ - وأنشأ ميخائيل أمدى عبد السيد سنة ١٨٧٧ حريدة (الوطن)، وكانت سياسيتها

وطنية، وصحبها حرة، وقد امتنعت تصدر إلى ما بعد الاحتلال، ووقفت جب ثم عادت إلى

الظهور سنة ١٩٠٠

٩ و ١٠ - وظهروا سنة ١٨٧٧ حريدة (مصر) وهي حريدة أسبوعية، محررها أديب

استحق، ومحررها سليم النقاش، وأنشأ سنة ١٨٧٨ صحيفه يومية بالإسكندرية باسم حريدة

(التجارة)، وسياسة الصحيفتين وطنية حاسية، تجلت فيها تعاليم جمال الدين الأمان

وزوجه، وكانت له في المبردين بعض الرسائل، يكتبها هو أو عليا على تلاميذه وقد قلدها

(١٨٨) في مليه سنة ١٢٨٨

(١٩) من كتابها، مصر عند علي، ص ٤١٧ (الطبعة الأولى)

وأنشئت عدة مطابع أخرى لطبع الصحف والمجلات كان لها الفضل الكبير في إحياء سائر الكتب القيمة في الأدب والعلم ، وتولت طبعا المؤلفات الحديثة .

من هذه المطابع مطبعة جمعية المعارف للتقدم ذكرها .

والطبعة الأهلية القبطية التي جلبها من أوروبا الأب كيرلس الرابع سنة ١٨٦٠ في عهد سعيد باشا ، وهي أول مطبعة أنشئت في مصر بعد مطبعة بولاق .

ومطبعة ( وادي النيل ) أنشأها عبد الله أبو السعود أفندي ، وكان يطبع فيها صحيفة ( وادي النيل ) ، ومجلة روضة المدارس ، وجريدة ( أركان حرب الجيش المصري )

و ( المطبعة الوطنية ) بالإسكندرية .

والطبعة الوهية ، أنشئت سنة ١٢٨٠ هـ مؤسسها مصطفى أفندي وهي ( بك ) ، ومطبعة أركان حرب الجيش المصري التي سبق الكلام عنها .

ومن أهم الكتب التي طبعت في ذلك العصر وكان لها الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية : كتاب للثلث السائر ، لأبي القتيح القزويني ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . وتاريخ ابن خلدون ومقدمته ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وهذه اللغة الثمالي . ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وفوات الوفيات ، وإسداء العلوم للغزالي ، وقصص القصر الرافعي ، والبخاري ( شرح القسطلاني ) ، وسفينة الرافعي ، وحياة الخيران ، ونفع الطيب من غصن الأندلس للطريب ، وقانون ابن سينا في الطب ، وتذكرة داود ، وغير ذلك من هاتس الكتب .

### مظاهر النهضة العلمية والأدبية

اقترب عصر إسماعيل بالبهضة العلمية والأدبية التي ظهرت في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولقد البهضة عوامل شتى ، أولها انتشار التعليم في المدارس والمعاهد ، وظهور طائفة من العلماء والأدباء ممن تخرجوا في مدارس والبعثات أو في الأزهر في عهد محمد علي وخلفائه ، وقد ظهرت ثمار قرائعهم على توالي السنين ، وخاصة في عهد إسماعيل ، إذ كان يشجع أكثرهم وبعضهم ، ويسند إليهم المراكز الممتازة في الحكومة ويخدمهم بالبلح السحرة ، فكانت هبات إسماعيل أكبر عصب النهضة العلمية والأدبية ، وكان لانتشار التعليم في المدارس

عامة أثر كبير في نموها وتقدمها ، إذ تألفت ربة صالحة من التعليم تزيدها وتناصرها بالإقبال على ما تنسجه قرائع العلماء والأدباء ، ولولا هذا الإقبال لخشعت القرائع ، وكسدت سوق العلم والأدب ، وقمة حامل آخر ، وهو مجيء النيد جمال الدين الأفندي سنة ١٨٧١ إلى مصر وإقامته بها ، فقد وضع في الحياة العلمية والأدبية ثم السياسية روحاً من البقعة خضت بها خطوات واسعة إلى الأمام .

ومن عوامل هذه النهضة ظهور الجمعيات العلمية ، وتقديم الطاعة ، وظهور الصحافة ، ونشاط حركة التأليف والترجمة والنشر ، ففي عصر إسماعيل ازدهرت الحركة العلمية والأدبية التي هي أساس النهضة الحاضرة ، ونشط الأدب والشعر ، وظهرت طبقة من الشعراء بدأ على شعرهم أسلوب العصر الحديث ، من حسن الليثية ، وصفاء القرطبي ، وبلاغة العبارة ، وتهدب أسلوب الكتابة والإشهاد ، وأخذ يتخلص من شوائب التعقيد والزكافة ، والسجع المتكلف ، وهبت عليه نسمة الترميل البليغ والمعاني الطريفة .

وظهرت طائفة من العلماء المؤلفين والمترجمين توفروا على إخراج الكتب القيمة في الطب والرياضيات والتاريخ والفقه والتشريع وما إلى ذلك .

وارتق مستوى للتأصيل الحكومية ، إذ تولاهما المتخرجون من المدارس والمعاهد والبعثات ، فظهرت ثمار النهضة في فروع الحكومة ، كالعلم والرى والمنظمة والإدارة والقضاء والصحة والجيش والاسطول .

وكان للنهضة العلمية والأدبية أثرها في تقدم الحياة الاجتماعية ، ثم الحياة الوطنية والسياسية ، مما سنعرض إليه في موضعه .

والآن بمرورنا الحديث إلى الكلام عن أعلام هذه النهضة ، وسنقصر القول على خلاصة وجيزة لأعلام أولئك الذين اكملت شخصياتهم في هذا العصر ، فمن هذه الخلاصة نجتمع لنا صورة عامة للحياة الأدبية والعلمية في عصر إسماعيل .

# اكتفاء الادب



الشيخ  
الحسين  
المصري



جمال الدين الأفغاني



الشيخ  
عبد الهادي  
البيدوني



عبد الله باشا فكري



علي باشا مبارك



الشيخ النجدي  
علي



محمد باشا جمال



محمد باشا سراجي البارودي



ابراهيم بك الموهبي



محمد حافظ باشا  
ابراهيم بك جمال  
الزقاني



علي كني رفاعه  
امين بك فكري  
الشيخ محمد رفيع



ابراهيم بك فكري  
احمد بك فكري  
عثمان مدني

# في عصر استماتك



اديب السيد



الشيخ النجدي  
سيد



عبد الله السيد



عبد الله السيد



رفاعة بك رافع السيد



محمد السيد



الشيخ النجدي  
سيد



السيد السيد



السيد السيد



السيد السيد



السيد السيد



السيد السيد

## محمود باشا سامي البارودي

( ١٨٤٠ - ١٩٠٤ )

باصحore الأعلام في دولة الشعر حديث ، وأول من بهى به وحارى في مقفه مصر الشعراء المتقدمين ، كاتب بشارة الأدبية والحربية في عصر إسماعيل ، وسطع لجهه في عهد الأدب على ذلك العهد ، ثم انقز اسمه بمصر الثورة العربية ، وكان له ميا الدور الكبير ، وشترجم له في موضعه من كتاب ( الثورة العربية والاستقلال الاخيري )

## عبد الله أبو مسعود أفندي

( ١٨٧٠ - ١٨٧٨ )

أول صحفى سياسى ظهور في تاريخ مصر الحديث ، ولد في دمشق قرب الجزيرة ، وأصله من بوقه ، تلقى العلم في مدرسة البورشى ، ثم انتقل إلى مدرسة الأسن ، وتخرج منها على يد رفاعه بش ، فهو من تلاميذه الأعداد . وكان بمصر دوروس الأزهر ، وأقن اللغات الغربية والترسية والإيطالية ، وسع في ميون الأدب والشعر ، وارتقى في المناصب حتى صار في عهد إسماعيل ناظر قلم الترجمة ، مستخدم وأستاذ لتاريخ مدر العلوم ، ونشأ سنة ١٢٨٤ هـ ( ١٨٦٧ م ) صحيفه ( وادى النيل ) كما عدم بيه

وعظم حوادث مصر في كتاب سما . ( مسة أهل العصر حتى تاريخ مصر ) ، ووضع كتاب ( الفرس العام في التاريخ العام ) طبع قسم سه سنة ١٢٨٩ . وعرب كتاب ( تاريخ مصر ) لدهمه ، لمريب باشا . ( بح ) ولد ديون شعر مطبوع ، وبه ترجمه عظم ميا سيره محمد على وشازاد رفاعه بك وتلاميذه في ترجمة الكود ( قانون باليونان ) ، وتولى هو وحسن أفندي مهمى المصري تريب قانون المرافعات

وشمل سنة ١٨٧٦ قاضياً بمحاكمة الاستئناف ، وتوفى في فبراير سنة ١٨٧٨ ، وهو من منابع الأدباء والسياسة في عصر إسماعيل

عصر إسماعيل

## أعلام الأدب في عصر إسماعيل

### رفاعه بك رافع الطهطاوى ، وعلى باشا مبارك

أفرك رفاعه بك عصر إسماعيل ، وله القصل الكبير على العلم والأدب كما أسلفنا في ترجمته ( عصر محمد على ص ٤٧٠ من « طعة الأول ٣٨٢ من الطبعة الثانية ) . وعلى باشا مبارك هو صاحب الأيادي البيضاء على الأدب والعلم والتعلم في مصر كما يينا ذلك في ترجمته .

## السيد جمال الدين الأفطاني

هو باعث روح الحياة في النهضة العلمية والأدبية والسياسية ، فواجب أن نعهه في مقدمة أعلام الأدب في عصر إسماعيل ، وشترجم له في القصل الثاني عشر

## الشيخ حسن الموصنى

( توفى سنة ١٨٨٩ )

شيخ الأدباء في ذلك العصر . وأستاذ العلمية الأولى من دار العلوم ، نشأ في ( موصنى ) بالملكيية ، وهى بلدة نجست طائفة من أعلام الأدب والعهه واللمه ، كال والده الشيخ أحمد حنى الموصنى من « نمة العزم في عصره » . ونقطع للتأخرس بالأزهر ، ونشأ بالمرحم مبالا للعلم والأدب . ذكر عنه الجلاء على باشا مبارك في المخطه . تروبيه ( ح ١٥ ص ٤٠ ) أنه « من الجلاء لطلبه وأفاضهم » . له اند الطولى في كل من . وقول ن يسع نت لا وحفظه مع رفة بزاج ، وحدة مدبر . وشده الخندق ، وعلمه ينتشرس فقر بالأزهر كبار كتب . ثم تولى تدريس لغة والآداب في دار العلوم ، وتعم طلبة الفرنسية . وله مؤلفات منه ميا

١ - الرسالة . الأدب إلى العلوم العربية طبع عصر سنة ١٢٨٩ هـ في جزأين  
٢ - وه كتاب في الأدب والاستماع سماه ( الكلام الثمان ) في الأنة والوطن والحكومة والمدل والظلم والسياسة والحرية والأزمية



### الشيخ محمد عبد

(توفي سنة ١٩٠٥)

الاستاذ الإمام ، وفيلسوف الإسلام ، وأكبر العلماء وأعلم الكتاب (١) ، كانت شأنه العلمية والأدبية في عصر إسماعيل ، واتسوى إلى لواء السيد جمال الدين الأصفى ، وصار من نخبة تلاميذه منذ قدم السيد إلى مصر سنة ١٨٧١ ، فكان هذه الفترة من الزمن الأثر الأكبر في اتجاهه العلمي والروحي ، وكتب بعض الرسائل في صحيفتي (التجارة) و(مصر) لأديب أسبق ، ثم عظم شخصيته في عصر الثورة العربية كما سيجي بيانه في كتابنا (الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي) .

### إبراهيم بك الموطى

(١٨٤٦ - ١٩٠٦)

رسم الكتاب في عصره ، وأستاذ المدرسة الحفيدة في الأدب والإنشاء ، من أسرة الموطى الشهيرة ، وهي أسرة عربية ، أصلها من «الوطى» من نغور الحجاز التي كانت تابعة لمصر ، وكان جده السيد إبراهيم الموطى من كبار موظفي الحكومة في عهد محمد علي ، يميل للأدب والأدباء ، فبرزت عنه للترجم هذا الليل ، وكان أبوه من أسرة مصر ، وله بيت تجارى كبير اشتهر بصناعة الحرير وتجارة

ولد للترجم في أوائل سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) وترعرع في حجر والده ، في مهاد الر والعمه ، إلى أن توفي أبوه سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وهو لا يتجاوز العشرين بكثير فتولى تجارة أبيه مشاركاً أخاه عبد السلام الموطى (باشا) ، ولكنها لم يوفقا في التجارة وآل بيت الموطى من الناحية المالية إلى الحسبان ، لولا مودة الحيدو إسماعيل ، فقد نظر إلى هذا البيت نظرة عطف وسخاء ، فحسب للترجم وأعطاه من المال ما في ديوبها ثم أتم على إبراهيم بالربح الثانية ، وجعله قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وهو في الثامنة والعشرين من عمره وأنتم

(٢٣) تميم : الموطى ، في : عتبات

على حد السلام بهله الرتبة أيضاً ، وابقاه يراول التجارة استقاه هذا البيت التجارى القديم وظهر ميل المترجم إلى الأدب من مشاركته محمد عارف باشا في تأسيس جمعية المعارف التي عنت بإحياء الكتب العربية ، وقد سبق الكلام فيها ، ثم نشر مع محمد بك عثمان جلال في إصدار جريدة سياسية اسمها (نزهة الأفكار) ولكن لم يصدر منها إلا عددان وصدر أمر إسماعيل بإلغائها

وكان المترجم من تلاميذ السيد جمال الدين الأصفى ، وقد اتصل من طريقه بالحركة السياسية التي ظهرت في عصر إسماعيل ، والتي انتهت بوضع اللائحة الوطنية وتأييد وزارة شريف باشا الأولى كما سيجي بيانه في موضعه ، وعين سكرتيراً لإسماعيل راعب باشا وزير المالية في الوزارة الوطنية ، وكان المترجم من رجال إسماعيل المخلصين لشخصه . المديون بكومه ، ولازمه في مخاف عدة سنوات ، اشتغل خلالها بالصحافة حياً ، ثم ذهب إلى الاستانة سنة ١٨٨٥ ، فأكرم السلطان عبد الحميد وفادته ، وعينه عضواً في مجلس المعارف ، وظل في هذا المنصب نحو تسع سنوات ، ثم عاد إلى مصر ، وكتب في المصحف مقالات جامعة في الأدب والسياسة والاجتماع ، جمع بعضها في كتاب سماه (ما هنالك) ، ثم أنشأ صحيفة (مصبح الشرق) وهي صحيفة أسبوعية قالت في عالم الأدب والكتابة مكانة لم تبلغها صحيفة أخرى ، وله فيها المقالات الرائعة التي كادت تبلغ عليا مراتب البلاغة والإنشاء لولا ما شابها من الإنداع في المسج ، والتقلب مع الأهواء ، وتوفي في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ .

### محمد بك عثمان جلال

(١٨٢٨ - ١٨٩٨)

واضح أساس الفصحة الحديثة في الأدب المعري ، ولد في (وفاة الفس) بمديرية بني سويف وتلقى العلم في مدرسة قصر لعين (وكانت لم تزل مدرسة إعدادية) ، ثم في مدرسته أبي زعبل ، ثم في مدرسة الألس ، فهد من تلاميذ رفاة بك رافع بطهطاوى ونجح في العلوم وبدا عليه الميل إلى الشعر والأدب والتعريب ، وكان ميالاً إلى الفن الروى بحسب نعره به مع تصغير ما يعر به أحبناً . وله كتاب (العيون اليواظ) وهو تعريب شعري لروايات لاهوتين وسواعه . وبعد هذا الكتاب أعظم آثاره الأدبية وأشهرها ، وعرب رواية (يول وفرجين)



### السيد عبد الله نديم

( ١٨٤٣ - ١٨٩٦ )

الكاتب الشهير الأديب . والمحبيب الوطني الموقر . أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفندي ، ومن الذين استمسكوا بتعاليمه ومبادئه طول حياته ، ولد بالإسكندرية ، ونشأ محباً للأدب ، حباً للحضارة والشعر . جريئاً مقدماً ، مولماً بالحرية . بدأت شخصيته الأدبية والسياسية تظهر في أواخر عهد إسماعيل ، وبدأ بشر رسائله في حريدي ( مصر ) و ( التجارة ) ، وأسست سنة ١٨٧٩ الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية ، التي ضمت أعيان الثغر ووجهاءه ، وكانت باكورة أعمالها إنشاء مدرسة أهلية لتعليم البنين والبنات ، وهو أكبر خطباء الثورة ، وله فيها دور كبير سبغته في عروصه من كتاب ( الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي ) .

### أديب اسحق

( ١٨٨٥ - ١٨٥٦ )

الشاعر النادر ، والصحفي السياسي الحر ، ولد في دمشق ، ومدا منه مند صباه الميل إلى الشعر والأدب ، والتملق بالحرية ، لما أن جاء مصر حتى اتصل بجمال الدين وصار من أخص تلاميذه ، وأصدر جريدة ( مصر ) ثم جريدة ( التجارة ) وامتازت بالأسلوب البليغ والروح الوطنية ، وكان السيد جمال الدين يكتب فيها أحياناً ، وكذلك الشيخ محمد عبده ، ولقيت الصحيفتان إقبالاً عظيماً ، ثم ألغيت بأمر رياض باشا ، وهجر أديب اسحق مصر سنة ١٨٨٠ ، ورحل إلى باريس حيث أصدر فيها جريدته باسم ( القاهرة ) ، وهناك أصيب بعملة الصدر ، وعاد إلى بيروت ، ثم رجع إلى مصر في عهد الثورة العربية . وعاد إصدار جريدته ( مصر ) ، وعين رئيساً لقلم الترجمة بوزارة المعارف ، ثم كاتباً نائباً لمجلس النواب ، ولما أفضت الثورة هاجر من مصر ضمن من هاجروا إلى سوريا ، واشتدت به عذبة الصدر ، فجهده مصر للاستشفاء ، فلم تندم صحته ، فعاد إلى بيروت ، ولم يخلص عليه ثلاثون يوماً حتى عاجلته المنية سنة ١٨٨٥ وهو في ريعان الشباب ، وقد جمعت أقواله وأشعاره في كتاب اسمه « لدر » .

اشترك المترجم فيها متولياً وزارة المعارف لعمومية . فكان حضوراً في « وزارة الثورة » التي عارضت الخديو توفيق باشا واستقالت احتجاجاً على مسلكه في مايو سنة ١٨٨٢ ، ومن هنا سقط الخديو على المترجم ، فلما أفضت الثورة كان من المقصود عليهم بتهمة الاشتراك في القتل ، ثم أطلق سراحه بعد أن أثبت براءته منها . ولكن معاشه كان موقراً من يوم اعتقاله ، فأنقذ نفسه من توفيق باشا المصروحه في قصيدة طويلة أناب فيها من إخلاصه وولائه لملكته ، فأمر بإعادة معاشه ، وفي سنة ١٣٠٦ هـ تدبته الحكومة لرئاسة الوفد المصري في المؤتمر الذي انعقد بمدينة استوكهولم عاصمة السويد والنرويج ، وخرج على بعض بلاد أوروبا ، يصحبه بجله أمين باشا فكري ، ولما عاد اشتد به مرض أصابه أثناء رحلته ، حتى وافاه الأجل يوم ١٠ اغرم سنة ١٣٠٧ ، وكان كاتباً أدبياً وشاعراً بليغاً

### الشيخ عبد الهادي نجما الإيلاري

( ١٨٢١ - ١٨٨٨ )

من كبار الأدباء والكتاب في ذلك العصر ، وصفه علي باشا مبارك في خطط التوفيقية ( ج ٨ ص ٢٩ ) بالخير العام وقدر العلماء الأعلام ، الإمام الأريب واللوحى الأديب ، الشاعر النادر ، الحافظ الماهر ، العلامة الشيخ عبد الهادي نجما ابن العلامة الشيخ رضوان الإيلاري ، ولد في إيلار غربية ، وتلقى العلم في الأزهر على يد شيوخه ، ونجح في علوم اللغة والفقه والأدب ، فقامت شهرته ، وعهد إليه الخديو إسماعيل بتعليم أبنائه وتعليمهم ، ومهم الأمير توفيق باشا ، وكان وهو يتولى هذا المنصب تصدر للتدريس في الأزهر إلى بنته ، وأحد عنه كثيرون من حدة معلمه . كما منح حسن نصري والشيخ محمد نسوي وما بولي رخص من الأزهرية بحسب ما كان له من خدمة في خدمة الدولة . وشعر هذا المنصب حتى وفاته ، وكان كاتباً أدبياً ، وأصل أعلام الأدب في سائر الأقاصى كآحمد الأرض الشدياق والشيخ نصيب اليازجي والشيخ إبراهيم الأحمدي . وله مؤلفات قيمة في الأدب واللغة جمعت أربعين كتاباً .

### الشيخ ابي

(توفى سنة ١٨٩٦)

شاعر الخديو إسماعيل - وشيخ الدماء في عصره - كان أديب دكتي الفؤاد - حاصر  
البدية ، لطيف العشرة ، طو الحديث - حبيب زوج - محباً للحير ، محباً من معاصريه ،  
قربه إليه الخديو ، وجعله مششاً بالمية - - وك - بتصححه في غدوته وروحائه - ويحترمه  
ويأسى لسمه وأحاديثه ، وله ديوان شعر م بضع

### علي أبو النصر المتلوطي

(توفى سنة ١٨٨١)

من شعراء ذلك العصر المحدثين ، ولد في متلوط - وتلقى منه صباه بالشعر والإشياء ،  
فقره إسماعيل إليه وحمله مششاً بالمية ، وقال جوائزه وحياته ، ورافقه في سفره إلى الأستانة  
على عهد السلطان عبد العزيز ، وله ديوان شعر طبع بيولاق سنة ١٣٠٠ هـ

### الشيخ حس الطويل

(توفى سنة ١٨٩٩)

هو أديب من درس المتلق في مصر قبل حضور السيد جمال الدين الأعفاني ، ومن كبار  
علماء الأزهر وأساقفة دار العلوم ، وسجادة المنطق والعلوم الرياضية ، أخذ عنه العلوم  
الشرعية والرياضية والفلسفية عبة من علماء مصر وثباتها - توفى في ٤ يولييه سنة ١٨٩٩

### السيد صالح محدي بك

(١٨٢٧ - ١٨٨١)

كاتب شاعر ، ومعرب ومؤلف ، ولد بقرية في رجبوا القلية سنة ١٢٤٣ هـ وتلقى العلم  
في مكتب حلوان من المكاتب النظامية التي أنشأها محمد علي باشا ، ثم في مدرسة الألسن -  
فأثنى علوم اللغة العربية ، ودرس الفرنسية ، ومهر في الصريب على يد أستاذه رفاعه بك رافع

الطيطاري ، وبعد أن تخرج في مدرسة الألسن التحى بقلم الترجمة ، وتخصص في تعريب  
كتب الرياضيات ، ثم انتقل إلى مدرسة المهندسة ، وتولى بها تدريس العربية والفرنسية  
والترجمة - وعرب كثيراً من الكتب الرياضية وكانت كلها تدرس في المدارس ، وله غير  
ذلك من الكتب التي نجل عن الحصر ، كما يقول عنه العلامة علي باشا مبارك ( انشط ج ٨  
ص ٢٢ ) ، وبعد أن قضى عشر سنوات بتولى التدريس في مدرسة المهندسة انتقل إلى  
ألاي الهندس والكورجية ، وتولى ترجمة وتصحيح ما يعرب من الفنون الحربية ، وانتقل إلى  
عهد إسماعيل إلى قسم الترجمة للمستجد ، واشترك في ترجمة ( الكود ) قانون نابليون ، وتولى هو  
تعريب قانون تحقيق الجنابات ، واستمر يرقى في للتصحيح حتى جعل سنة ١٢٨٧ هـ مأموراً  
لإدارة المدارس ولما أنشئت المحاكم المختلطة عين قاضياً بمحكمة مصر المختلطة ، وشغل هذا  
للتصحيح حتى توفى سنة ١٨٨١ ، وكان شاعراً أديباً ، له ديوان شعر كبير طبع سنة ١٣١٢ هـ ،  
وله مقالات أدبية في مجلة ( روضة المدارس ) ، ووضه كتاباً لم يطبع في ترجمة حياة رفاعه بك  
والع اسمه ( حلية الزمن بمناقب خدام الوطن ) ، وقد أحصى العلامة علي باشا مبارك مؤلفاته  
وترجمته بلغت خمسة وستين كتاباً ورسالة ، وكتب يده من لكراريس ما لا يسجل تحت  
حصر

### إبراهيم بك مروي

(١٨١٧ - ١٨٦٦)

شاعر أديب ، أدرك أوائل عهد إسماعيل ، وهو من تلاميذ رفاعه بك ، ترقى بالخرطوم  
سنة ١٨٦٦ ، وله ديوان شعر جمعه محمد بك سيد أمين جعفر مظهر باشا حاكم السودان  
وسماه ، الدر البهي المسوق ، بديوان إبراهيم بك مروي ، طبع بيولاق سنة ١٢٩٤ هـ

### أبو الوفاء نصر النوري

(توفى سنة ١٨٧٤)

من خرجي بمناقب محمد علي ، وكان يجيد الفرنسية ، وله كتاب المطالع النصرية  
للمطالع المصرية في الأصول الخطية ، وكتاب أساية المصاب على فراق الأحباب

### بقية أعلام الأدب

وثمة أدباء آخرون مثل الشيخ محمد قطب العلوي أحد كبار الأساتذة و مدرسة الألسن ، وقد أدرك أوائل عصر إسماعيل ، والشيخ أحمد عبد الرحيم الأستاذ بمدرسة الألسن ، والشيخ مصطفى سلامة ، وكلاهما من محرري الوقائع لمصرية ، والشيخ إبراهيم عبد النصار المتوفى كبير مصححي الكتب العلمية واستاد المشرق ( بين ) والمتوفى سنة ( ١٨٨٣ ) ، وإبراهيم بك النفاذ أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفغاني ، وكان يكتب في جريدتي ( مصر ) و ( التجارة ) ثم في ( مرآة الشرق ) وغيرها من الصحف والوقائع الشعر الادب وعبد أفندي عبد الرزاق المتوفى سنة ١٨٧٣ ( ١٢٩٠ هـ ) عرب كتاب ( غايه الأرب في حلالة تاريخ العرب ) للمسيح سليمان طبع سنة ١٢٨٩ هـ . والشيخ حمزة فتح الله وقد بدأت كتابته اللغوية تظهر في ذلك العهد ، وأمين بك فكري محل عبد الله باشا فكري ، وعمل بك مهني رفاعة محل رفاعة بك ، وأحمد بك ضحى ناظر مدرسة رأس التين . وتادرس أفندي وهي ( بك ) . وعبد أفندي فني ، وعبد السلام أفندي مسلمي . والشيخ عثمان ملوخ ، وغزلاء ظهرت باكورة آثارهم الأدبية في مجلة ( روضة اللادوس ) .. إلخ . إلخ .

### علماء الهندسة والرياضيات

علي باشا مبارك . مصطفى هجت باشا ، محمد مظهر باشا . أحمد فايد باشا ، حسين باشا مهدي المهار ، أحمد بك السكي . حسن بك نور الدين . وغزلاء قد ترجمنا لهم في ١ عصر محمد علي ، ص ٥١٥ وما بعدها ( من الطبعة الأولى ) .  
حسن حسني باشا وقد ترجمنا له في الكتاب الحالي ص ٢٥٣

### محمد باشا الفلكي

( ١٨١٥ - ١٨٨٥ )

هو محمد باشا حمدي الفلكي ، أنجب من أنجبهم مصر الحديثة في الملك والرياضيات ، ولد سنة ١٢٣٠ هـ - ١٨١٥ م ببلدة الحصنة بمديرية الجفرية ، وصي أخوه بتريته وأدخله مدرسة الإسكندرية التي أنشئت سنة ١٨٢٤ في عهد محمد علي ، فارتقى إلى رتبة بلوك أمين ..

### محمد صفوت الساعاتي

( توفي سنة ١٨٨٠ )

شاعر أديب ، توجه إلى البحار ، فأكرم أمير مكة مثواه ، وأبقى عنده مدة ثم عاد إلى مصر والتحق بالبنية ، وعرف بالساعاتي لبراعته في فن الساعات ، وإن لم يحترفه ، وله ديوان مطبوع سنة ١٩٢٢

### محمد عارف باشا

تم من أفاضل علماء ذلك العصر وأدبائه في اللغتين العربية والتركية ، وقد تجلّى ميله إلى العلم والأدب في إنشائه جمعية المعارف التي سبق الكلام عنها .

### أحمد بك عييد

( توفي سنة ١٨٨٠ )

من بوايع خريجي مدرسة الألسن ، ورئيس قلم الترجمة بوزارة الحرية ، وله تراجم في العود الخيرية والرياضية ، وترجم عن الفرنسية تاريخ بطرس الأكبر ، وكان وكيلًا للمحكمة التجارية بالقاهرة ، ثم قاضيًا بمحكمة الإسكندرية المحتلة سنة ١٨٧٥

### خليفة أفندي محمود

من خريجي مدرسة الألسن ، ومن أنجب تلاميذ رفاعة بك ، التحق بقلم الترجمة وصار رئيس القسم الخاص بترجمة التواريخ والأدبيات في هذا القلم ، وله تراجم كثيرة في التواريخ منها ( إنحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا ) وهو مقدمة لتاريخ الأباطور شارلكان الذي عربيه بعنوان ( إنحاف ملوك الزمان بتاريخ الأباطور شارلكان ) لروبرتسون ولم الموزج الإنجليزي في ثلاثة أجزاء طبعت سنة ١٢٦٦ هـ ولندرك أوائل عصر إسماعيل وتوفى سنة ١٢٨١ هـ ( ١٨٦٤ )

( ٢٥ ) كما جاء في معطى التوفيق ج ٨ ص ٢٣

## علماء الهند والرياضيات في عصر ابن الخلد

وكان آخره قد سبقه إلى دخول هذه المدرسة وخرج منها ضابطاً في الأسطول - من ترجم إلى مدرسة الهندسة عصره ، بعد أقرانه من التلاميذ في العلم والذكاء وحسن الاستعداد ، وخرج من المدرسة سنة ١٢٥٥ هـ وكان من أوائل التاجين . معين - ساعد العلوم الرياضية بها ، وقال رتبة ملازم ثان ، وكان من تلاميذه وفند على مريد ( باشا ) . وبقى يتولى التدريس بالهندسة ، وتعلم اللغة الفرنسية واستطاع أن يعرب بعض الكتب الفرنسية في الرياضيات ، وأعد يقين من ذلك الحين دراسة العلوم الفلكية في المزايدات التي وضعها كبار علماء الفلك بفرنسا ، ويدرس هذه العلوم لتلاميذ الهندسة ومن تلاميذه فيها إسماعيل ( باشا ) الفلكي ، وابنكر وضع التقويم السوية ، فوضع تقويميا لسنة ١٢٦٨ هـ تدرى فيه بين التواريخ المجرية والبلادية والقسطية ، وبين مواقع الشمس والقمر لثلاث السنة . وعرف بين الناس من ذلك الحين بلقب ( الفلكي ) ، الذي لاربه طول حياته .

وفي سنة ١٢٦٦ هـ ( منتصف سنة ١٨٥٠ ) اعترم عباس باشا الأول بإعادة تنظيم رصدخانه بولاق ( دار الرصد ) المنشأة في عهد محمد علي ، فاختار ثلاثة من نوابغ المهندسين إلى باريس للتخصص في الفلك ، وهم المترجم وكان مديراً بالهندسة وحسين أفندي إبراهيم ، وإسماعيل مصطفى الفلكي ، وكانوا قد أتموا دراستها بالفرنسة . فسافروا إلى أوروبا سنة ١٨٥١ هـ ومكث المترجم نحو تسع سنوات مكياً على استكمال العلوم حتى نبع في الرياضيات والفلك

وكان يواصل الحصول بدار الرصد في باريس ، وزار دور الرصد في مختلف الواسع بأوروبا ، وظهر نبوغه هناك بإدخاله بعض إصلاحات في الآلة السماء بالتبديل ، ونشر بعض مباحث فلكية في المجلات الأوروبية ، ووضع أثناء دراسته يلويس الرسائل الآتية

١- رسالة عن التقويم الإسلامية والإسرائيلية طبعت سنة ١٨٥٥ ببروكسل .  
٢- رسالة عن التقويم العربية قبل الإسلام حقق فيها موكده التي عليه الصلاة والسلام ونشرت في المجلة الآسيوية ثم عرّبها الأستاذ أحمد زكي ( باشا ) بعنوان ( نتائج الأبحاث في تقويم العرب قبل الإسلام )

٣- رسالة عن فعل ( كان )

٤- رسالة عن المواد المغناطيسية الأرضية قدمها سنة ١٨٥٦ إلى المجمع العلمي بفرنسا وقال - بحم أعظم الشهادات العلمية ، ثم عاد إلى مصر في عهد سعيد باشا سنة



١٨٥٩ . فأقيم عليه برتبة أميرالاي ، وعهد إليه وضع خريطة مفصلة للنظر المصري فاصطلح بهذه المهمة وشرع في تخطيط تلك الخريطة بمعاونة بعض المهندسين . « ورتب . . . وأبرر من جليل صنعه وجليل وضعه لما اتبعت منه العقول ووقفت على مقدار براعته »<sup>١</sup> فأخرج خريطة جامعة للوجه البحري لم يسبقه إليها أحد من العلماء والمهندسين ، ووضع خريطة أخرى للوجه القبلي ، وأخرى عن مدينة الإسكندرية .

وفي سنة ١٢٧٦ هـ عهد إليه سعيد باشا بالرحلة إلى دققة لملاحظة كسوف الشمس الكلي ، فأدى هذه المهمة ، وانجز هذه الفرصة فحقق المواقف الفلكية على النيل ، ووضع رسالة مسهبة عن هذا الكسوف قدمها إلى سعيد باشا وإلى أكاديمية العلوم بباريس قالت استحسان العلماء

وخطط معالم الإسكندرية القديمة ، ونقب في خفاياها ، وهو أول عالم مصري كشف عن آثار الإسكندرية وموقع سورها القديم ، وله في ذلك رسالة يدوية باللغة الفرنسية عن الإسكندرية القديمة طبعها سنة ١٨٦٦ ، وهي رسالة تتضمن نتائج مكشفتها وما قام به من النقب والخفر ، وما وصل إليه من كشف معالمها القديمة ، كأنسوارها ، وشوارحها ، وأقبيةها ، ومراسمها ، ومنقحها ، ومكتبتها الشهيرة ، وقصورها ، ومبانيها ، وضواحيها ، ولم يسبقه إلى هذه المكشفات المؤسسة على عمليات الخفر عالم مصري من الأفرنج ، لأن مهندس الحملة الفرنسية لم يكن لديهم الوقت ولا الوسائل الكافية للحر والتفتيش<sup>٢</sup> ، وقد عثا ثنائ منهم في مواقع الإسكندرية ، أولها المسيو سان جنيس Sciaï genis أحد مهندسي الحملة ، وله في الإسكندرية القديمة بحث مستفيض منشور في الجزء الخامس من كتاب (تخطيط مصر) Description de L'Egypte ولكن للمسيو سان جنيس لم ينقب ولم يخفر الأرض كما فعل محمود باشا الفلكي . بل اكتفى بذكر نتائج مشاهداته وآرائه التاريخية ، وكذلك كتب المسيو جرييان نوبير Griseau Lepere عما في وصف الإسكندرية بشرق الجزء الثامن عشر . فخصر فيه على تدوين مشاهداته وما نقله عن مؤرخي الأفرنج والعرب ، والمسيو جرييان Norry والمسيو مارتان Martin وكلاهما من مهندسي الحملة الفرنسية فكان أول أهميه من

(٢٦) عن رحمة حياته بقلم إسماعيل بك (باشا) الفلكي والأميرالاي محمد عتار بك (باشا) في حاضرة أقبياها بالمسيب خيرية ليلة ٨ يناير سنة ١٨٨٦ ونشرت في مجلة الجمعية جريدة ٢ عدد ١٢  
(٢٧) عن كتابها تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١٦٦ (طبعة أول)

سان جنيس وجرييان نوبير ، منشور في الجزء الخامس عشر من كتاب (تخطيط مصر) وكل هذه المباحث لم تكن مقرونة بأعمال الخفر والتفتيش .

لمحمود باشا الفلكي هو أول عالم مصري خطط معالم الإسكندرية القديمة ، على ما كشفت له أعمال الخفر تحت الأرض ، وقد بدل في مكشفتاته جهوداً كبيرة . وكان تحت مرته جماعة من المهندسين المصريين ، ونحو مائتي عامل يشغون في النقب والخفريات ، ومما أفرد عمله وميزه أنه استثار الأرض في عهد الخديو إسماعيل باشا ، أي قبل أن تعطي للمباني الحديثة ، وتضيق معالم الآثار ، فهو أول من سطت صور البطالة القديم لتخطيط مباً على الاكتشاف والفحص الدقيق .

ورسالة محمود باشا الفلكي مقرونة بخريطة هي أبعد ما رسمه العلماء والمهندسون عن الإسكندرية القديمة ، وإليها يرجع علماء أوروبا في أبحاثهم .

وقد خالف علماء الحملة الفرنسية في بعض آرائهم . فعين لمدينة (كاتوب) مكاناً غير الذي عبوه ، وكشف أطلال مدينة نابوريريس (برصير - غربي الإسكندرية) التي يسمى الفرنسيون برحها برج العرب .

وله رسالة مختصة في التوضيح عن عمر الأهرام والفرض الأصلي من تشيدها ، وتناسيها مع كوكب الشعرى ، وأخذ بنفسه مقياس الأهرام وموقعها من التناسب الفلكي .

قال الأميرالاي محمد مختار بك (باشا) في هذا البلد : « وكنت موجوداً معه عند شروعه في أخذ مقياس الأهرام وموقعها من التناسب الفلكي ، وأعلم علم اليقين أنه وصل إلى معرفة العرص من تشيدها ، إذ وجدها محكمة البناء في رسم يقابل كوكب الشعرى عند طلوعه ، فكان الذي بناها قصد أن يجعلها مزولة ليعرف بها يوم شم تسم العلماء ، وكذلك لأجل تزيين جثث المدفونين فيها لموافاة صعود الكوكب المذكور ، فيسبح عليهم من آياته رحمة وعرفانا ، لأن كوكب الشعرى كان من معبودات المصريين القدماء »

وله رسالة في التثنية بارتفاع النيل قبل وقوعه ، وأخرى عن ضرورة إنشاء دار الرصد بمصر ، وأخرى في توحيد موازين العملة في الديار المصرية ، ورسالة في القاييس والمكاييل في مصر ، وترجم كتاب (حساب التفاضل والتكامل)

وعين سنة ١٨٧١ ناظراً للمدرسة للمهندسة ، وتولى نظارة الرصدخانه ، وإدكان وكيلاً للجمعية الجغرافية ، فقد ناب عن الحكومة المصرية في المؤتمر احمراي الذي عقد بباريس سنة

عهد إليه بطاقتها ، وقد عهد إليه دراسة مشروع سكة حديد سواكن - بربر ماسود .  
فصله ووضع تصميمها له ، ولكنه لم يشد ، ونائب عن الحكومة سنة ١٨٧٣ في مؤتمر الإحصاء  
الدولي بوسكو ، فأعجب العلماء بكفاءته وسعة اطلاعه ، وتولى نظارة الرصدخانه ونظارة

مدرسة الهندسة

ومن أماله أن أصلح مقياس النيل في أسوان سنة ١٨٧٠ ، وله مؤلفات في لذلك

وربما يصيات أهمها

١ - «آلات الناهرة في النجوم الزاهرة» ، طبع ديلا لحلة روضة المدارس .

٢ - الدرر لتوفيقه

٣ - تقاويم طليقة كان يشرها كل عام بالعربية والعربية

٤ - وصحة المرضية في اللقايس والنوازين الثرية معرفة من الفرنسية شاركة في تحريرها

صاحبه بك شمس .

### سلامة باشا

هو سلامة باشا إبراهيم ، مفتش هندسة الوجه البحري ، ثم مفتش هندسة الوجه القبلي ،  
ثم مفتش صوم ديوان ( وزارة ) الأشغال ، وهو من كبار المهندسين في ذلك العصر ، وأصله  
من الإسكندرية وأبوه السيد إبراهيم شرايه من صالح شرايه من مال القبر ( ٢٨ ) ، وله آثار  
شاهد له بالكفاءة في الأعمال الهندسية ، منها أنه أنشأ نزع الساحل ، وكان وقتئذ وكيلًا لخطير  
باشا مفتش عمر الشرق ( مرج دਿਆد ) على عهد سعيد باشا . واشترط مع مصطفى بهجت باشا  
في إنشاء نزع الإبراهيمية ، وهي من أجل غال العمران التي بنيت في ذلك العصر ، ول  
قامه فطاطر لتقسم على النزع المذكورة ، وهي من أعظم فطاطر يرى في العالم

### محمد ثالث باشا

من أمالي القشرية بمصرية العربية ، ومن مشاهير المهندسين في عصر محمد علي وإسماعيل ،  
خضر بعض المواقع الخيرية على عهد محمد علي ، وعاون مصطفى بهجت باشا في بناء القناطر  
الخيرية . وصار مفتش هندسة الوجه القبلي ، توفي سنة ١٨٧٤

من سنة نزع حردا سلامة باشا في عام الأحد ١٥ ظرم سنة ١٣٠٠ مسجلة بمسكة مصر الشرقية

٢٧٤

١٨١٥ ، والوزير الميرالي الآخر الذي عهد بمدينته الهندية سنة ١٨٨١  
ومن أماله ، بناء مدفع حقل ، وأنشأ على سطح منزله ( عيبدان الفلكي ) مروحة نهب

سعدت النهر . ورغب من مكها يد وده

وقد تولى وزارة الأشغال سنة ١٨٨٢ في عهد وزارة إسماعيل راعب باشا ، وعين وكيلًا

وزارة الحربية في وزارة شمس ، سنة ١٨٨٢ ١٨٨٤

ثم عهد إليه بوزارة المعارف في عهد وزارة باشا الثالثة سنة ١٨٨٤ ، وتولى رئاسة

جمعية خيرية خيرية ، وهي يتولاها مع الزوجه إلى أن توفي في ١٩ يولييه سنة ١٨٨٥

وقد تولى الجمعية الخيرية الخيرية في اجتماعها يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٦ ، وألقى كل من

إسماعيل بك مصطفى الفلكي والأميرالي محمد عسكر بنت محصورة في ترجمة حياته وآثاره .

والنوح الأميرالي محمد عمار بك افتتح مكتبة الترجمة ، وما فيها من عتاس الكتب ،

وما سطره وما دونه من ملاحظاته ومعلوماته ، وتنتج استازاته العلمية ، وكان الترجمة يتكرر في

عداد قاعة عامة للمعاملة مدرة يحرص فيها كل يحرص من محبي الإطلاع كل ما وصل إليه من

عتاس الكتب والمخطوطات والمخطوطات ، وقد تحققت طلبة الفكرة سنة ١٩٢٩ ، إذ وهبت

مكتبته مكتبة الفقيه إلى الحكومة .

### إسماعيل باشا الفلكي

( توفي سنة ١٩٠٩ )

هو إسماعيل باشا مصطفى الفلكي ، من تلاميذ محمود باشا الفلكي ، ومن رايح طلبة  
الزراعة صيات وملاك . ثم درسه في مدرسة الهندسة ببولاق والتحق سنة ١٨٤٥ على عهد  
محمد علي بالرصدهخانه القديمة التي كانت ببولاق ، ثم أوقفه عباس الأول سنة ١٨٥٠ ضمن  
البحث التي تخصصها لدراسة الفلك ، وكانت مؤلفة من محمود حمدي ( باشا ) الفلكي ، ومن  
الترجم وحسين ، الذي إبراهيم ، ومكث إسماعيل أربعة عشر عامًا في فرنسا يدرس علوم  
الفلك . وتعمقه فيها ، وعلموها في دور الرصد ، فصار يتقن هو ومحمود باشا لقب  
( الفلكي ) ، ومارس أيضا صناعات الآلات الفلكية ، وأنشأ في باريس ، وعاد إلى مصر في  
أوائل عهد إسماعيل ، فقدر كفاءته وأتم عليه بالرة الداية ، ولما أنشأ الرصدخانه بالعباسة



## إسماعيل باشا محمد

ناظر قلم الهندسة ورئيس إدارة دروس المدارس الملكية ، ثم مفتش هندسة الوجه القبلي . واشترك في إتمام ترعة الإبراهيمية وقناطرها ، وهو الذي صار رئيس مجلس شورى القواحي سنة ١٨٩٩ .

## أحمد بك نجيب

أستاذ الرياضة بمدرسة أركان حرب والطوبجية ، وله كتاب ( التحفة البهية في الهندسة الوصفية ) ، طبع سنة ١٢٩٠ هـ .

## حسين أفندي علي التلجك

مدرس الحساب بمدرسة المحاسبة ، وله كتاب قيم في مسك الدفاتر اسمه ( حدة الحساب ومصلحة الكاتب ) طبع سنة ١٢٨٦ هـ ( ١٨٦٩ ) وله كتاب ( عمل الدولتين المتواتر في بيان رسوم الدفاتر ) طبع سنة ١٢٩١ .

## علي أفندي عزت

أستاذ العلوم الرياضية بالاهتمام بالهندسة ، توفي سنة ١٨٧٢ وله كتاب ( حسن الصناعة في علم الطبيعة ) طبع سنة ١٢٧٠ هـ ، و ( النجاة العزيمية في تهذيب الأصول الهندسية ) طبع سنة ١٢٧٤ و ( الخلاصة العربية في تهذيب الأصول الحسابية ) طبع سنة ١٢٨٥ .

## عامر بك سعد

أستاذ الرياضيات بالمدارس الحربية ، وله ( النجاة القهرية في الأعمال الحربية ) طبع سنة ١٢٦٩ هـ ، و ( أحسن الوسائل لتصريف السوائل ) طبع سنة ١٢٩١ ، وهو ملخص القواعد النظرية في تصريف المياه من البحيرات والمخاض

## السيد حمادة

من تلاميذ رفاعة بك ، وله كتاب ( تهذيب العبارات في من أجد المساحات ) عربي من العربية بإرشاد رفاعة بك

## علماء الطب والجراحة

محمد علي النفل باشا ، أحمد حسن الرشيد بك ، محمد الشامي بك ، حبيب عوف باشا . هؤلاء قد ترجمنا لهم في عصر محمد علي ، من ٥٢١ وما بعدها ( طبعة أول )

## محمد حري باشا

( ١٨٤١ - ١٩٠٠ )

كبير الجراحين في عصره ، ولد بالقاهرة سنة ١٢٥٧ هـ ، وأبوه السيد عبد الرحمن أحمد من محلة أبي علي القنطرة ( غربية ) ، تلقى التعليم الابتدائي والثانوي ، ثم التحق بمدرسة الهندسة في عهد نظارة علي باشا مبارك ، لكنه كان ميالاً إلى الطب ، فما زال يسعى في الانتقال إلى مدرسة قصر المعيني حتى وفق إلى غرضه سنة ١٢٦٩ هـ ، والتحق بها . وأكب على الدراسة ، ولحق في الامتحان السنوي ، ولكن سعيد باشا أمر بإلغاء مدرسة الطب وأخرج منها تلاميذها ، فكان المترجم ضمن من أُلحقوا بإحدى الأورط العسكرية في الجيش ، فلم يتسرب اليأس إلى نفسه ، وأخذ يسعى بالإطلاع على المعلومات الطبية ما استطاع . ذلك ميلاً . واشتغل عرضاً في الجيش ، وظل كذلك إلى أن أعاد سعيد - فتح مدرسة طب . فعاد إليها المترجم ، وأتم دراسته بها ، وظهرت عليه علامان الذكاء والبرق . فنجى مساعداً ومعيداً للجراحة بالمدرسة

وفي سنة ١٢٧٩ هـ ، ردد سعيد باشا بعض من لأطباء لإتمام دراستهم في باريس مؤلفة من الأطباء محمد بك فوزي ، ومحمد بك عامر ، وقاسم بك فتحي ، ومحمد بك الفقاوي . وعلى بك رياضي ، ومحمد بك دهران ، وعقباوي أفندي ، والمترجم ، وكان أصغرهم سناً . وقد استدعت الحكومة هؤلاء الأطباء في أوائل عهد إسماعيل ، قبل تمام دراستهم . لاحتياج

# علماء الطب والجراحة في عصر اسماعيل

حكومه إليهم ، فرجعوا إلى مصر ، عدا المترجم فقد استقر بهم لمصرته ، فأكمل معارفه الطبية وأتم دروسه على أشهر جراحى العالم وقتئذ ، وبقى يوالى الدرس وانحصص في باريس نحو سبع سنوات ، وتبع في الجراحة بوعاً عظيماً ، شهد له به أساتذته ، وفي خلال هذه المدة قابل الحيدري إسماعيل في باريس ، فتمسكه بعطفه وورعائه ، إذ سمع من أساتذته الثناء المستطاب على كفاءته واجتهاده .

وعاد المترجم إلى مصر ، ففعله المناصب الطبية ، وأهم ما تقلده منصب كبير الجراحين بمستشفى قصر العيني ، والأستاذ الأول للجراحة بمدرسة الطب ، وأنهم عليه بالترتيب إلى أن تال اليانوية سنة ١٣١٥ هـ ، وسقط نجمه في الجراحة ، وقضت شهرته فيها حتى عمت أرجاء البلاد ، وبلغ ذروة الشهرة بما عرف عنه من النجوى في فنه ، والمهارة في إجراء العمليات الجراحية الخطيرة ، والدقة في تشخيص الداء والدواء ، والتمكان في الإحلاس لعمله وفنه ، وحسن الإيسانة ، والبر بالمرء والمعوين ، هذا إلى تعلقه بالعلم والتأليف ، فقد أنشأ مكتبة علمية من أقدس المكاتب ، وألف مجموعة تشريعية من أعظم ما جمعه الأطباء ، وأنشأ لنفسه مطبعة لطبع مؤلفاته ورسائله ، سميت المطبعة القديرة ، كان يطبع فيها المؤلفات الطبية التي ظهرت في عصره ، وقد ظل عظماء قننه وللعلم حتى وافته الملية ليلة ٣٠ يويه سنة ١٩٠٠ ، وأهم مؤلفاته الطبية « بلوغ المرام في جراحة الأجسام » طبع بالمطبعة القديرة في أربعة مجلدات ، وله « الإسعافات الصحية في الأمراض الوبائية » طبع سنة ١٣٠٥ هـ .

حسن بك عبد الرحمن

(تولى سنة ١٨٧٥)

تخرج من مدرسة الطب بقصر العيني ثم تولى تدريس التشريح فيها ربح في هذا الفن ، وترجم كتاب ( العلل الصحيح في علم التشريح ) طبع سنة ١٢٨٣ هـ بإشراف محمد علي باشا البقل إذا كان ناظرًا لمدرسة الطب



أحمد الشافعي بك



محمد علي باشا



حسن بك  
عبد الرحمن



محمد الشافعي بك



محمد دوزي باشا



حسن بك شافعي



عيسى باشا  
حمدي



سالم باشا  
سالم



جليلة  
تمرهبان



محمد بك  
أحمد حمدي باشا



إبراهيم باشا  
محم بك حافظ



عبد الرحمن  
خير عوف باشا

محمد بك حافظ

(نوی سنہ ۱۸۸۷ء)

تمرحج في مدونة قصر العبيد ، وأنتن فن الرمد بأفروها ، ثم نولى تلوسه بقصر العبيد ،  
وله كتاب (مطمح الأنظار في تشخيص أمراض العين بالبحث بالنظار) طبع سنة ١٢٩٩ هـ .

عصائم ناشا عصائم

(تولی سے ۱۸۹۳ء)

من القنابات بمدينة الشرقية ، تعلم في مدرسة الألسن ، ثم في مدرسة الطب ، وأوفدته الحكومة في عهد عباس باشا الأول لإتمام دراسة الطب في ميونيخ بألمانيا ، فأكمل دراسته طباً وعملاً ، وعاد إلى مصر ، وارتقى في المناصب الطبية وجعله الخديوي توفيق باشا طبيه الخاص ، وله من المؤلفات :

١ - وسائل الانتاج إلى الطب الباطني والعلاج طبع سنة ١٢٩٨ هـ في أربعة محلات .

٢ دليل المحتاج في الطب والملاج .

٣      المنتجات الشعاعية والمياه المعدنية

جريدة نمرهان

(یوگیت سنہ ۱۸۹۹)

من خريجات مدرسة القبايل ( الولادة ) ، ثم تولت التدريس فيها ، يطال في الولادة كتاب (محكم الدلالة في أحوال القبالة) طبع سنة ١٩٨٦ هـ

محمد بك يار

(توی سنه ۱۹۰۲)

من زاوية البقل بمديرية النوية ، ومن خرجي مدرسة الطب بقصر العبيد ، وأحد تلاميذ محمد علي باشا البقل ، أتم دراسته في إنجلترا وعاد منها في عهد سعيد ، قولي مشاهير عدة

حق صار أستاذًا في مدرسة الطب ، وتال منزلة رفيعة لدى اسماعيل - وله من المؤلفات

١ - الفرائد الدرية في علم النشاء والمادة الطبية طبع ١٣٠٧ هـ

٢ الدور اليدوية التفضيلة في شرح الأقوية الجديدة طبع سنة ١٣١١ هـ

٣ - المصحة القائمة والمنحة العامة طبع سنة ١٢٩٦ هـ

آحمد حمادی پاشا

(ثوی سنه ۱۹۰۲)

هو عمل الدكتور محمد علي باشا البقلي ، وس خرج من مدرسة قصر العيني ، ثم أتت دراسته في باريس وبعد عودته إلى مصر سنة ١٨٦٩ عين أستاذاً للعمليات الجراحية في حياة أبيه ، وحصلها حقوه في التأليف .

حسن پاشا محمود

(1907-1947)

ولد بقرية الطالية في طريق الأهرام وتلقى علومه بالدرسة الحربية ، أوفدته الحكومة سنة ١٨٦٢ ضمن بعثة مدرسية إلى ألمانيا للدراسة الطب ، وعاد ١٨٧٠ ، فعمل أستاذاً للتشريح في مدرسة قصر العيني ، وشغل مناصب عدة ، إلى أن صار ناظراً للمدرسة الطب ، وله مؤلفات قيمة ومباحث طبية كان يشرها في المحلات العلمية كروضة المدارس ثم المقتطف

ابراہیم باشہ حسن وعیسیٰ انشا حمدی

١٢٩٣ هـ (١٨٧٦) ، وتوفي الثاني بظاره مدرسة الطب سنة ١٨٨٣ ، وله عدة مؤلفات

45

علماء الفقه والقانون



عبد الرحمن بك المروای

(فول صف ۱۹۰۶)

من خريجي مدرسة قصر الحصن، ثم حراس بأوروبا، وعين بعد عودته أساساً للتعليم وأُمرّض الجبل، ثم صار وكيلاً للمدرسة سنة ١٨٨٠، وله كتاب في التعليم جازل عليه

علماء الطبيعيات

احمد بك فدا ، عبد الحمدي إسماعيل ، وقد ترجمنا لها في كتابنا ( مصر محمد علي )  
ص ٥٣٤ ( الطبعة الأولى )

علي بك داي

(تولی ص ۱۸۸۹)

طوق الصيداة بمصر ، وأنتم دراسته في أوروبا ، وتولى تدريس الأقران في الكليات والمدارس الطبية ، وعمل كبير عيادة مستشفى القصر العيني ، وله من المؤلفات :

- ٣- التوقيعات الأولية و التاريخ الطبي ، طبع سنة ١٢٩٨ هـ .  
٢- الأعرار الرياضية في المادة الطبية سنة ١٢٩٨ هـ .  
١- النعمة الرياضية في الأعمال الأخرافية طبع سنة ١٢٩٨ هـ .

أحمد زكي

نقاد الكيمياء الحديثة للمهتمة ومؤلف كتاب (عدة التطوير في فن الصيد)  
المعروف بالأفراد (طبع سنة ١٢٨٣ هـ - ١٨٦٦)

العالم المشرق الكبير ، ولد بعلوى حوالي سنة ١٨٢٦ ، من أب أناتولي وأم مصرية ، وتلقى التعليم الأول بكنب ملوى ، ثم التحق بمدرسة الألسن على عهد وقاعة بك رافع الطهطاوى ، فظهر نبوغه وميله إلى العلم والترجمة ، وبعد أن تخرج فيها حصل تربيته مساعداً ، وأصبح إدارياً في قسم التعليم بمدينة الزمالة ، ثم انتقل إلى الأوربية ، وعمر بعض دواوين القبة بالأحرار ، وأقبل على كتب الشرع بدراسة واعية ، وحل شغل ما نصب له من خدمة في الحكومة في أزمرة الخديو إسماعيل واختار له مرتب لكون عهده الأمير محمد توفيق ، ثم عد إلى دياره ، وشكك في اختياره بالإسكندرية ، فكتب لفرقة محمد زور في بحريته ، ومباشرة زواجه في تعريب الكود ( قانون دابون ) وأخصر هو سرت وارين الحكام المصطف تهمه ، وأصبح قوياً على كسب الأهمية الخديوية ، وحصل مستشار محكمة الاستئناف المختلطة ، وله آثار عديدة عليه ، أهمها كتاب الثلاثة ، عدلته التي جمع فيها أحكام الشريعة

محمّد بن عبد الله بن محمد

(1A7-1A79)

الإسلامية ، وصاحبها في مودع محكمة الوضع على أسلوب القوانين الأوروبية ، وهذه الكتب هي : ( مرشد الخبير إلى معرفة أحوال الإنسان ) على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في المعاملات المدنية الشرعية . وكتاب ( الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية ) ، وكتاب ( قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف ) ، وكتاب ( الكتب في مرجع رجال القضاء والقانون في المحاكم الأهلية والشرعية والمختلطة ) وحيدة لكل مشغل بالعلوم الفقهية والقانونية

وله أيضا كتاب لم يطبع في ( تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقا لمذهب أبي حنيفة ) . وتولى وزارة الحفابة في وزارة شريف باشا الدستورية سنة ١٨٨٩ على عهد الخديو تومس باشا ، ووضع في هذا العهد مشروع النظام القضائي للمحاكم الأهلية الجديدة ، وفي سنة ١٨٨٣ التفتحت هذه المحاكم وصدرت قوانينها ، وهي القانون المدني وقوانين التجارة والمرافعات والمقبوضات ، وكان المترجم وقتئذ وزيرا للمعارف في عهد وزارة شريف باشا الرابعة . وهي الوزارة التي امتنعت احتجاجيا على إخلاء السودان .

### الشيخ محمد العباسي المهدي

( ١٨٢٧ - ١٨٩٧ )

شيخ الإسلام ، ومفتي الديار المصرية ، وصاحب الفتاوى للمهدية التي تعد مرجع العلماء في الفقه الإسلامي ، وهو ابن الشيخ محمد أمين للمهدي مفتي الديار المصرية الأسبق ابن الشيخ محمد المهدي أحد كبار علماء مصر في عهد الحملة الفرنسية وأوائل عهد محمد علي ( ترجمنا له في كتابنا الجزء الثاني من تاريخ الحركة القومية ص ٢٩٩ - الطبعة الأولى ) .

تلقى العلم بالأزهر ، ونجح في علوم الفقه ، وتولى منصب الفتيا وهو بعد في الحادية والعشرين من عمره ، على عهد إبراهيم باشا . وظهرت مزايده التي رغب مكاتته ، وأظهرها الذكاء ، وسعة العلم ، وقوة الحجج ، وقد وقف من الحكومات المتعاقبة موقف الكرامة والاستمسك بالحق ، حتى استهدف في بعض المواطن لتغيب ولاية الأمر ، فلم يكن يبالي بحسبهم ، ولم يتحس عن الحق ، وتلك كبرى مزايده وقصافته ، وقد راد مقامه علوا في عهد إسماعيل ، إذ جمع بين الإفتاء ومشيخة الأزهر سنة ١٨٧١ ، ونال لمقام الخديو وقتئذ ،

وكان يرجع إلى رأيه في كل ماله مفسر بالشريعة الإسلامية . وبدأ على يده إصلاح نظام التعليم في الأزهر كما تقدم بيانه ص ٢٠٨ . واستمر محافظا على مكانته في عهد الخديو تومس ، ولما قامت ثورة العربية لم يكن من أنصارها . واستهدف لمصعب العرابيين ، وحرص على مشيخة الأزهر ، ولما انتهت الثورة أُميد إلى مشيخة الأزهر واستمر متقلدا الإفتاء والبطريركية حتى عزل عنها لمعارضته الحكومة على عهد توفيق باشا فيما يخالف الشريعة ، ثم عاد إليه . لا يفتي في غير ذلك . بل أن وافته منيته ليلة ١٦ رجب سنة ١٣١٥ هـ .

• • •

ومن علماء الفقه المدعوين في هذا العصر : الشيخ محمد عيش ، والشيخ إبراهيم الشافعي ، والشيخ عبد الرحمن البحراوي ، والشيخ حسونة النواوي إلخ

### علماء القانون الطرية والبحرية

على باشا إبراهيم ، حماد عبد الحافظ باشا ، وقد ترجمنا لها في كتابنا ( عصر محمد علي ) ص ٥٣٠ ( الطبعة الأولى ) .

### محمود باشا فهمي

( توفي سنة ١٨٩٤ )

أحد زعماء الثورة العربية ، ولد سنة ١٢٥٥ هـ في الشنطور بمركز بيا من مديرية بني سويف ، وتخرج في مدرسة المهندسخانة ببولاق ، ومارس الفنون الهندسية والحربية وانتظم في سلك الجيش ، ثم جعل أستاذا لعلم الاستحكامات والقنن العسكرية في المدارس الحربية ، على عهد سعيد وإسماعيل ، وعهد إليه الخديو إسماعيل بمهام تحصين شواطئ مصر الشمالية من أبو قير إلى البرلس ، فاصطلح بهذه المهمة ، وسدد الحصون القديمة ، وأقام حصونا جديدة ، وارتقى في الرتب العسكرية ، واشترك في حرب البلقان سنة ١٨٧٦ - ١٨٧٧ ، وكان من أركان حرب الفرقة المصرية بها .



محمد حنطار باشا  
(١٨٣٥ - ١٨٩٧)

من رجال السيف والقلم ، ولد في بولاق سنة ١٨٣٥ ، تلقى العلم الابتدائي ، ثم تلقى الفنون الحربية ، وانتظم في خدمة الجيش وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وارتقى في المناصب العسكرية حتى تولى رتبة لواء في سنة ١٨٨٦ ، واشترك في حملة مصر كما تقدم بيانه ص ١٤٠ ، ثم جعل رئيس أركان حرب الجيش المصري بالسودان ، وعين مأموراً للمخاضة الحديوية في عهد الخديو عباس حدى الثاني ، وبقى يتولى هذا المنصب إلى أن تولى في ٢٠ نوفمبر ١٨٩٧

وقد أسفت عليه حياته العلمية منزلة ممتازة ، وبحسب من المؤلفين والعلماء أكثر مما يعد من رجال الحرب ، وحديث أنه صاحب الكتاب القيم ( التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ هجرية بالسني الإبراهيمية ولفظية ) من السنة الأولى للهجرة إلى عام ١٥٠٠ هـ طبع سنة ١٣١١ هـ

وقد ذكر إزاء كل شهر أهم الحوادث التاريخية التي وقعت في مصر والعالم - وله كتاب ( المجموعة الشعبية في عمم الحمرايا ) ورسائل أخرى في الرياضيات والفلك ، ومقالات بمجلة في مجلة الجمعية الجغرافية



محمد باشا فهمي  
(تولى سنة ١٨٩٤)

ولما شبت الثورة العراقية كان من رحائبها كما سيحيى بيته في موضعه من كتاب ( الثورة العراقية ) ، وتولى وزارة الأشغال في وزارة محمود باشا سليم البارودي سنة ١٨٨٢ ، وأسر قبل واقعة التل الكبير ، فكان أسره من أسباب هزيمة الجيش المصري ، وحكم ضمن زعماء الثورة ، ونفى إلى سيلان ، وهناك وضع كتبه ( البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ) ، وتوفي في منفاه سنة ١٣١١ هـ ( ١٨٩٤ ) وبطلان طبع كتابه سنة ١٣١٢ هـ في أربعة مجلدات

## شحاتة عيسى بك

ناظر مدرسة أركان الحرب في عهد الخديو إسماعيل

## محمد صادق باشا

(تولى سنة ١٩٠٢)

من تلاميذ مدرسة الخانكة الحربية المنشأة في عهد محمد علي ، ومن أعضاء اللجنة الخامسة ، عاد من البحر مهندساً وانتظم ضابطاً في سلاح الجيش ، وهو الذي وافق سعيد باشا في رحلته بالحجاز ، وعين مكشاً بمصلحة المساحة برئاسة استون باشا ، وله بحث قيمة في مجلة الجمعية الجغرافية .

## سليمان قبردان حلاوة

(تولى سنة ١٨٨٥)

من المتوفية ، ولد سنة ١٢٣٥ هـ وتخرج في مدرسة الطبجية على عهد محمد علي ، وحقق الفنون الحربية والرياضية ، وجعل أستاذاً للهندسة والحساب بالمدرسة البحرية القديمة ، ومهر في الفنون البحرية وقضها ، وصار رباناً للباخرة سمود ، فأظهر براعة في قيادتها ، وطاف بها حول القارة الإفريقية ، وجعل في عهد إسماعيل سنة ١٨٧٠ ملحقاً للفنون الحربية والهندسة ، فأعاد للتلاميذ فوائد جمة ، وألف في الملاحة كتاباً اسمه (الكوكب الزاهر في فن البحر الزاخر) وتولى سنة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م

## الهيئة الفنية

إن الهيئة تسمى تشمل على الطهر المعروفة بالفنون الجميلة . وهي الفنون التي تستلزم في النفس إحساس الجمال ، وتسمى فيها ملكته ، ولا مرأى في أنها من هوامل هيئة الأمة ، لما تنتج من تهذيب النفوس ، ونشاط العقول ، وترقية المواطن . وتوسيع المدارك ، وتفتح

لأذهان إلى دقة الملاحظة . وصواب النظر

والكلام عن الفنون الجميلة يتناول الموسيقى أو الغناء . والتخيل . والرسم ، والتصوير ، والنقش والزخرفة والعمارة

أما الرسم فقد بدأت مدارس الهندسية والصناعية والبيئات تعني به من عهد محمد علي ، فتخرج فيها طائفة من الرسامين تولوا تدريس الرسم في المدارس العالية والثانوية ، والابتدائية ، ولكن نهضة الرسم والتصوير لم تثل سطاً من الازدهار في ذلك العهد . وتخرج في مدرسة الهندسة والبيئات مهرة المهندسين في النقش والبناء ، وتقدم في المهرة بما أقامه أولئك المهندسون من القصور والمساجد والدواوين والعمائر الجميلة التي تشهد لهم بحسن الذوق والخلق في هندسة البناء ، وظهور أيديهم حذقهم فيما شيدوه من القناطر على النيل والرياحات والترع الكبرى ، فإن بعض هذه المنشآت تعد قطعة من لص

## التخيل والغناء

كان المجتمع في عصر إسماعيل ميالاً إلى المرح والخيول ، وكان إسماعيل ذاته طويلاً ، عجباً للتمتع بالملهي والمسرات ، وهذه لذيول هي غناء للهيئة الفنية وخاصة الغناء<sup>(٢٩)</sup> (الموسيقى) ، والتخيل .

أما التخيل فقد ساعد إسماعيل الناحية الأوروبية منه ، ثم بدت منه العناية غلبة الجدوى إلى التخيل العربي ، فأنشأ أول ما أنشأ بالقاهرة مسرح (الكوميدي) بالأريكية ، وكان الشروع في بنائه في نوفمبر سنة ١٨٦٧ واحصل بالفتاحة في ٤ يناير سنة ١٨٦٨<sup>(٣٠)</sup> ثم بنى دار الأوبرا سنة ١٨٦٩ مناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس ، وتم بناؤها في خمسة أشهر ، وبلغت تكاليفها ١٦٠ ألف جنيه . ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ أول أوبرا واسمها (برجوليتو) ، وكانت الأميرة أوجي حفيظة نابليون لثالث في مقدمة من شهدوا «تخيل» في تلك الليلة ، وعهد إسماعيل إلى الموسيقار الإيطالي الشهير (فردي) أن يصح أول أوبرا مصرية تمثل بدار الأوبرا ، فقام بهذه المهمة ووضع العلامة الفرنسي مارييت باشا موضوع الرواية ، وهي رواية

(٢٩) الغناء والموسيقى محمد راشد

(عابدة) ، ومثلت بالقاهرة لأول مرة في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧٦ . مثلت نجاحاً عظيماً ، وحظيت الحكومة من ذلك الحين الجوائز الإفرنجية وأخذت عليها الأموال والبلد ، فبلغ ما صرف على فرد إحدى الحفلات في شتاء سنة من سق إسمايل ١٢٠ ألف جنيه ، ولا عربة في ذلك فإن المثلثة الواحدة كانت تأخذ أحياناً ألف ومائة جنيه في الشهر وأشيء في الإسكندرية مسرح (زيتا) ، ومسرح آخر اسمه Albert شارع

سطناسي

وقد ولد على مصر حوالي سنة ١٨٧٦ جماعة من الأديباء والمثليين لسوريين ، منهم يوسف خياط ، فتلوا على مسرح زيتنا بعض الروايات ، ثم انتقل يوسف خياط بجوته إلى القاهرة سنة ١٨٧٨ ، فلقى تصديداً من الحديدي إسمايل ، وأذن له أن يمثل رواياته في دار الأوبرا ، فمثل رواية الظلوم ، وحضرها الحديدي ، فلم يرقه أسلوبها ، وغضب مما يحملها من ذكر الظلم والتعريض بالظالمين . إذ ظن أنه المقصود بهذا التعريض ، فأمر بإخراج الخياط وجوته من مصر فسادوا إلى سوريا ، ووقفت البهجة الخيلية في عهد إسمايل عند هذا الحد .

### الموسيقى (الفناء)

مرت روح البهجة والتجديد إلى الموسيقى والفناء ، فقد كان اللحن يتبعون إلى ذلك العهد الأساليب والتوشيح القديمة ، حتى ظهر (عبد الحمول) المسمى الشهير ، فألهته حبه للموسيقى بإصلاح هذه الأساليب وإدخال روح العصر والتجديد فيها



عبد الحمولي

عبد الفناء في عهد إسمايل

ولد عبد الحمول في طنطا حوالي سنة ١٨٤٥ ، أي أنه استقبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، عصر التجديد الاجتماعي ، فحين فيه لواء النهضة الفنائية ، وهو ابن تاجرين في طنطا ، وكان له أخ أكبر منه سناً ، وكان أهما يقسو في معاملتها ويسمى إليها بالفقر والاضطهاد ، فلم يطيق صبراً على هذه العظلة ، ففر من عبده وسارا هائمين في الأرياف ، فماتت المصادفة إلى رجل يشتمل بالبناء ويعرف على القانون ، فسمع صوت عبده ، فأطربه وأعجب به إعجاباً كبيراً ، وعاد به إلى طنطا ، وهناك أخذ ينفق معه ، ثم جاء به إلى مصر ، لما أن سمع محبر الطرب حتى اجتذبهم بصوته الجميل ، وظهرت عليه علامة السجى للموسيقى فترك صاحبه وأستاذة القديم ، وانتقل إلى من مشهور اسمه (الشيخ المقدم) فاشتغل على لحنه ، وأخذت شهرته تزدج في الأوساط الاجتماعية ، وبدأ يتنكر أساليب جديدة في الفناء نالت إعجاب أهل الفن وعشاق الطرب ، وبلغت شهرته الحديدي إسمايل فاجتذبه وألفه بحبه ، وكان ذلك فاتحة مجده ، إذ أنصب فيه الحديدي صوته الجميل ، فآخذه بديه في حملته وسهراته ، وأغنى عليه الهبات والمطايا ، واصطاحه في رحلاته إلى الاسكندرية ، وهناك التقى عبده بالموسيقين الترك وسمع ألحانهم ، فالتبس منها ما يلائم الروح المصرية ، وابتكر في الفناء ألحاناً جديدة هي مزيج من الموسيقى العربية والتركية ، فصار رعي المجددين في الموسيقى



مصرية . واسمها ياديس النساء وسكن بالمر وبطرب الناس حـ . ولا عرو فهو  
يليل الصدايح الذي كان يحرك أوتار القلوب بصوته الطيب . وأحد ، ليديمة ، وأنغامه  
الحميلة . وقد ظل ثلاثين سنة وثيقاً مصلو السرور والطرب ، للأفراد ، جمعت ، وكان دقيق  
لمزاج دمث الأخلاق ، ككرم الصانع ، عزيز النفس ، غفصاً له يوماً به . وهذا هو  
سر نبوغه وعبقريته ، وكانت وفاته سنة ١٩٠١

واشتهر في عصره بعض السيدات في الغناء ، منهم ( نئاس ) المنية مشهورة ، وقد تزوج  
بها عبده ، وضعها من الغناء في مجالس الناس ، وكانت له من نفس ١٠٠٠ حادثة استهتت فيها  
لنفسه إسماعيل ، إذ طلب يوماً أن تحضر ( نئاس ) إلى قصره وتغني له ، فرفض عبده أن  
تذهب ، فغضب الحنديز ، وأمر بإحضارها قوة واقتداراً ، فاستسلم عبده ، وأصر على  
الإبقاء ، ووسط الشيخ علي اللقي شاعر الحنديز في الأمر ، وانتهت الحادثة ببدول الحنديز عن  
طلبه

وفي هذا العهد بدأ محمد العقاد ، الموسيقى المشهور ، أقدر من صرب على القانون ، في  
المصر الحديث ، وقد أدرك عصر إسماعيل ، وإن كانت شهرته لم تكمل إلا من بعد ،  
وصحب عبده الحماوي ، وحاكاه في توقيعه وأعماله .  
وصفوة القول أن عصر إسماعيل كان للبهجة العاتية عصر الإحياء والتجديد ، وظهر فيه  
عباقرة نفس لذين رهوا شأنه ، وأحلووه من الموس مكاناً علياً

م اسماء الأول

ويليه آخر الثاني

( وفيه ختام الكلام عن عصر إسماعيل )

راجع هذا الكتاب المشتمل

على السبعين شاهين

نائب رئيس قضاة الحكومة

## الفهرس

صفحة	صفحة	صفحة
٧	٣	صورة المؤلف
٩	٥	مقدمة الطبعة الثالثة
		مقدمة الطبعة الثانية
		مقدمة الطبعة الأولى

### الفصل الأول

#### الرجعية في عهد عباس الأول

٢١	١٥	نشأة عباس
٢٢	١٦	ولايه الحكم
٢٣	١٦	أخلاقه
٢٤	١٧	أعماله
٢٥	١٧	سياسة العامة
٢٦	١٨	إصلاح الطرق بين مصر والسويس
	٢٠	السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة
	٢١	عبط الأس
		لندارس ونصائح
		البيئات
		السودان
		الجيش والبحرية
		اشتراك مصر في حرب القرم
		مقتل عباس
		ميرة عباس

### الفصل الثاني

#### البهجة الوطنية في عهد محمد باشا

٣٢	٢٩	مطرة عامة
٣٢	٢٩	نشأة سيد
٣٣	٣٠	أخلاقه
	٣٠	إصلاحاته فردية
٣٤	٣٠	اللائحة السمنية
٣٧	٣٢	لائحة المعاشات للموظفين
		أعمال العمران
		تطوير ترعة المحمودية
		السكك الحديدية والطرقات
		إصلاحاته الخيرية
		روح الفورة في الجيش
		البحرية

### الفصل الثالث عصر إسماعيل

صفحة	موضوع	صفحة
٨٢	لقية (مجنون)	٧٣
٨٢	لهو الملاقات ثم إطفاء نيران مصر وتركيا	٧٤
	رومان ٢٩ يوليو سنة ١٨٦٩ ومبايعة من	٧٦
٨٤	التقيد	٧٦
٨٥	تخصي الملاقات	٧٦
٨٥	رومان سجن سنة ١٨٧٢	١
٨٥	المرمان بالمهجع (٨ جريدة سنة ١٨٧٣)	٧٨
٨٦	مودة الخيام	٧٨
	٢	٧٩
٨٧	سيرة إسماعيل جوان الممول الأوروبية	٧٩
٨٨	فرنسا	٧٩
٩٠	إيطاليا	٧٩

### الفصل الرابع قناة السويس

٩٣	تسعة إسماعيل في إقام القناة
٩٣	سيرة في تحصيل شروط الامتياز
٩٤	١٨٦٩
٩٩	انتهاء قسمل وقضاح القناة
١٠٤	خسائر عصر الملاحة في القناة
١٠٥	سج أنهم مصر في القناة
١٠٦	جسائر ناصية
١٠٧	قناة السويس وثايرتها المالية

### موضوع

٥٢	١
٥٢	استيل قناة السويس
٥٣	نظرة عامة
٥٧	بداية في تاريخ المشروع
٥٧	في عهد الخديوة والفتح الإسلامي
٥٨	في عهد الخديوة الفرنسية
٥٨	في عهد محمد علي
٥٩	خلال سنة ١٨٤٦
٦٠	في عهد سعيد باشا
٦٢	سج لتبنيار القناة
٦٢	حصص الإنجليس
٦٣	ملحة دولية لدرسي المشروع
٦٣	شروط الامتياز
٦٩	مقاومة إنجلترا للمشروع
٦٩	مناقشة سعيد للمشروع
٦٧	تأليف لشركة
٦٧	البداية في حفر القناة
	٢
٦٩	بداية القروض الأجنبية
٧٠	قروض سنة ١٨٦٢
٧٠	النسب للمشار
٧١	وفاء سعيد باشا

### موضوع

٣٧	مستعجل الأسطول
٣٩	شركة الملاحة الدولية
٤٠	شركة الملاحة البحرية
٤٠	إصلاح ميناء السويس
٤١	حروب مصر في عهد سعيد باشا
٤١	١- حرب القرم
٤٣	٢- حرب لكهن
٤٤	السودان
٤٦	رحلة سعيد باشا إلى بلطيمار
٤٨	العلم
٤٩	نظام الملوك في عهد محمد علي وسيد
٤٩	النظام السياسي-
٤٩	انجليس بمصر
٤٩	الوزارات
٥٠	النظام القضائي
٥٠	جلس الأحكام
٥٠	يجلس أو محاكم الأقاليم
٥٠	ولاية القضاء
٥١	إقامة مجلس الأحكام ثم إعادته
٥٢	قضاء الأجانب
٥٣	ثغرات التسليم الأجنبي

### الفصل الخامس السودان في عهد إسماعيل

صفحة	صفحة
١٠٩	توسيع نطاق السودان المصري
١٠٩	كلمة إيجالية
١١٠	فتح فاشرية
١١١	ضم سواكن ومصبوع
١١٢	فتح إقليم خط الاستواء والوصول إلى
١١٢	منبع النيل
١١٢	مهمة السير حصول بيكر
١١٢	رحلته في عهد سعيد
١١٣	مهمته في عهد إسماعيل
١١٦	رفع العلم المصري على غندكرو
١١٨	فتح مملكة أوبورو
١١٩	ولاء ملك أوقندة لمصر
١٢١	تعيين الكولونيل غردون مديراً لخط
١٢١	الاستواء
١٢٢	توسيع نطاق الحكم المصري في مديرية
١٢٢	خط الاستواء
١٢٤	يسقط حامية مصر على مملكة أوقندة
١٢٤	مذكورة شريف باشا إلى الدول من
١٢٦	احتلال مصر منطقة البحيرات
١٢٧	موقف غردون
١٢٨	اكتشاف بحيرة إيراخيم
١٣٠	استفتاء غردون من منصبه
١٣٠	مصبوع مديرية خط الاستواء
١٣١	منع تجارة الرقيق
١٣٣	ظهور قريب باشا رحمت
١٣٤	فتح منطقة دارفور
١٣٤	معركة منواشي
١٣٦	ضم زيلج وبربره
١٣٨	فتح حرد
١٤٢	حملة الصومال
١٤٣	اعتراف إنجلترا بسلطة مصر على الصومال
١٤٤	التزام بين مصر والحبشة
١٤٥	الحرب بين الإنجليز وراحت
١٤٦	مصر بمنا
١٤٧	فتح سيوت وصم إقليم البوحيوس
١٤٧	حرب الحبشة
١٤٨	حملة أرنست روبن
١٤٩	هزيمة جومليت
١٤٩	حملة مرجع باشا
١٤٩	مقتل منجر باشا
١٥٠	لحملة الكبيرة بقيادة راتب باشا
١٥١	هزيمة حرد
١٥١	عقد الصبح مع حشه
١٥٢	تأجيل حرب الحبشة
١٥٣	احتلال السودان في عهد إسماعيل
١٥٣	موسى باشا حردى

صفحة	صفحة
١٥٣	جهر صادق باشا
١٥٣	إخماد ثورة كمالا
١٥٤	جهر مظهر باشا
١٥٥	مقتل باشا
١٥٦	إسماعيل باشا أيوب
١٥٦	غردون باشا
١٥٩	التضيق الإداري
١٦٠	الجيش المصري في السودان
١٦٢	أعمال العمران
١٦٢	استيلاءه الأس
١٦٢	الزراعة
١٦٣	طرق المواصلات
١٦٤	المواصلات لتبنيه ودار الصلحة بالخرطوم
١٦٤	الملاحة البحرية والمعارف
١٦٥	مشروع السكة الحديدية
١٦٥	المقارس
١٦٧	التجارة
١٦٨	البريد
١٦٨	التطورات
١٦٩	ميزانية السودان
١٦٩	الرحلات والبحاث الجغرافية
١٧٤	الحكم لمصر في السودان وشهادة
١٧٤	الفتن من الأجانب
١٧٦	حدود السودان المصري أمس واليوم

### الفصل السادس الجيش

١٨١	كلمة إيجالية
١٨١	المقارس الحربية التي أنشأها إسماعيل
١٨٢	مدرسة للشاة
١٨٢	مدرسة القرماس
١٨٢	مدرسة المدعية
١٨٣	مدرسة أركان الحرب
١٨٣	المقارس الأخرى
١٨٣	حبة أركان حرب الجيش
١٨٤	المصحات الحربية
١٨٥	تجديد السلاح والمصانع الحربية
١٨٦	إنشاء ميدان للرماية
١٨٦	إدخال النظام الألماني
١٨٧	إحصاء الجيش
١٨٧	اختار الجيش إلى قائد عظم



صفحة	المجلد الفني
٢٦٧	أبو بودة مصر الخوري
٢٦٨	محمود شعوت الساعاتي
٢٦٨	محمد عارف باشا
٢٦٨	أحمد بك حيد
٢٦٨	خليلة أفندي محمود
٢٦٩	بقية أعلام الأدب
٢٦٩	علماء امنسة والرباصيات
	علي باشا مبارك هب باشا مظهر
	باشا - فايد باشا حسي باشا
	فهي للنهار أحمد بك السبكي .
	حسن بك نور الدين - حسن باشا
٢٦٩	حسي
٢٦٩	محمود باشا الفلكي
٢٧٤	إسماعيل باشا الفلكي
٢٧٥	سلامة باشا
٢٧٥	محمد تاليف باشا
٢٧٦	إسماعيل باشا محمد
٢٧٦	أحمد بك الجيب
٢٧٦	حسي أفندي حل القيث
٢٧٦	علي أفندي عزت
٢٧٦	عالم بك سعد
٢٧٧	السيد عصارة
	<b>علماء الطب والجراحة</b>
	محمد علي باشا البقل . أحمد حسن
	الرشيدي بك . محمد الشامي بك
٢٧٧	حسي عوف باشا
٢٧٧	محمد دري باشا
٢٧٨	حسن بك عبد الرحمن

صفحة	المجلد الفني
٢٨٠	محمد بك حافظ
٢٨٠	سالم باشا سالم
٢٨٠	خليلة ترمهان
٢٨٠	محمد بك بلو
٢٨١	أحمد حمدي باشا
٢٨١	حسن باشا محمود
٢٨١	إبراهيم باشا حسن
٢٨١	حسي باشا حمدي
٢٨٢	عبد الرحمن بك الخراوي
	<b>علماء الطبيعيات</b>
٢٨٢	أحمد بك ندا
٢٨٢	عبد المولى إسماعيل
٢٨٢	علي بك رياضي
٢٨٢	منصور أفندي أحمد
	<b>علماء الفلك والتقانون</b>
٢٨٢	محمد قسري باشا
٢٨٤	الشيخ محمد القباسي لهندي
	<b>علماء الفنون الحرة والبحرية</b>
٢٨٥	علي باشا إبراهيم
٢٨٥	حماد عبد الحافظ
٢٨٥	محمود باشا قهي
٢٨٧	محمد مختار باشا
٢٨٨	نحاته حسي بك
٢٨٨	محمد صادق باشا
٢٨٨	سليمان . دان حلاوة

صفحة	المجلد الفني
٢٩٢	ألفاس
٢٩٢	محمد المقاد
٢٩٣	نهرت الجزء الأول
٣٠٤	نهرت الخواطر والصور

٢٧١	علماء الفلك في عصر إسماعيل
٢٧٩	علماء الطب والجراحة في عصر إسماعيل
٢٨	محمد قنبري باشا
٢٨٦	محمد فهمي باشا
٢٨٧	محمد مختار باشا
٢٩١	عهد الخوص

• • •

## فهرست الخرائط والصور

١٩	عمراس باشا الأول والى مصر
٤٧	سعيد باشا والى مصر
٦٨	ابتداء العمل في حفر القناة
٧٥	إسماعيل باشا خليف مصر
١٠٠	حفلة افتتاح قناة السويس يوم سعيد
١٠١	دخول البواخر الحفلة للطلوك والأمراء قناة السويس
١٠٢	ولمة المشاء التي أقامها الخديو إسماعيل ابتهاجاً بالافتتاح
١٠٣	حفلة الرقص التي أقامها الخديو إسماعيل ابتهاجاً بالافتتاح
١٠٧	خريطة قناة السويس
	نقل أجزاء البواخر النيلية على ظهور الأبل في صحراء النوبة سنة ١٨٦٩
١١٢	استعداداً لفتح إقليم خط الاستواء
١١٥	الأسطول النيل الذي تحرك من الخرطوم لفتح خط الاستواء
١١٦	حفلة رفع العلم للمصرى على غندكرو (الإسماعيلية) سنة ١٨٧١
١١٧	المسكن للمصرى في غندكرو (الإسماعيلية) سنة ١٨٧٢
١١٨	ريونجا ملك أونيجرو يصافح صديقه بيكر باشا سنة ١٨٧٢
١٢٠	صديقه بيكر باشا مدير خط الاستواء في عهد إسماعيل ولوكان حربه
١٢٥	خريطة مديرية خط الاستواء
١٣٥	السودان للمصرى في عهد إسماعيل
١٣٩	مدينة حرر سنة ١٨٧٦
١٦١	مديريات السودان المصرى في عهد إسماعيل
١٦٦	رأس جردفون (جردفون)
١٧١	الرحلات والبحث الجغرافية في عصر إسماعيل
١٧٧	حدود الدولة المصرية أمس واليوم
٢١١	على باشا مبارك
٢٥٧-٢٥٦	أعلام الأدب في عصر إسماعيل

## فصول الجزء الثاني من الكتاب

الفصل العاشر -	: أحوال العمران
الفصل الحادى عشر	: مسألة الديوان
الفصل الثانى عشر	: الحركة الوطنية والحياة النيابية
الفصل الثالث عشر	: ختام النزاع بين الحداثيين والعتائين
الفصل الرابع عشر	: نظام الحكم
الفصل الخامس عشر	: الحالة المالية والاقتصادية
الفصل السادس عشر	: الحالة الاجتماعية
الفصل السابع عشر	: شخصية إسماعيل والحكم على عصره

• • •

## للمؤلف

### حقوق الشعب :

يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية وحقوق الإنسان . طبع سنة ١٩١٢ .

### نقابات التعاون الزراعية :

يتضمن تاريخ التعاون الزراعى ومنشأته فى أوروبا ، ونشأة التعاون فى مصر وتاريخه ونظامه ، وحالاته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية . طبع سنة ١٩١٤ .

### الجمعيات الوطنية :

مصحفة من تاريخ النهضة القومية يتضمن تاريخ الانقلابات السياسية والتهافتات القومية فى طائفة من البلدان مع شرح أصول التنافس ، والتنظيم المملكتى فيها والمقارنة بينها . طبع سنة ١٩٢٢ .

### تاريخ الحركة القومية ( فى جزئين ) :

الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية فى تاريخ مصر الحديث ويأتى الدور الأول من أحوالها وهو عصر المقاومة المحلية التى امتدت لمسلة القرنين لى مصر . وتاريخ مصر القومى فى هذا العهد ( الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ )

الجزء الثانى : من إعادة النشوان فى عهد ناهليون إلى عهد ولاية محمد على ( الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ ) .

### عصر محمد على :

يتناول تاريخ مصر القومى فى عهد محمد على ( طبعة الأولى سنة ١٩٣٠ )

### عصر إسماعيل ( فى جزئين ) :

الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ )

الجزء الثانى : ولىه ختام الكلام عن عهد إسماعيل ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ ) .

الثورة العربية والاحتلال الإنجليزى ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧ ) .

### مصر والسودان فى فترات عهد الاحتلال :

تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢ ) .

### مصطفى كامل : باعث الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩ )

محمد فريد : رمز الإنعاش والتضحية

تاريخ مصر القومية من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤١).

ثورة سنة ١٩١٩ في جزئين :

تاريخ مصر القومية من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ (في جزئين) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦.  
الجزء الأول : يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وبين الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة. وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب إلى شجب الثورة في مارس سنة ١٩١٩ ثم وقائع الثورة في القاهرة والأقاليم.

الجزء الثاني : وفي الكلام عن معاداة الثورة واستمرارها وحاكمات الثورة وجنة ملوك. والحوادث التي لايتسا ومنعوضات ملوك واستشارة الأمة في مشروع ملوك. والتبليغ البريطاني بأن الحياة علاقة غير مرضية. ونتائج الثورة في حياة مصر القومية.

في أعقاب الثورة المصرية (ثورة سنة ١٩١٩) : في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : تاريخ مصر القومية من أبريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة سعد زغلول في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧).

الجزء الثاني : تاريخ مصر القومية من وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ إلى وفاة تلكم فراد سنة ١٩٣٦ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ - سنة ١٩٤٩).

الجزء الثالث : تاريخ مصر القومية من ولاية فاروق عرش مصر في ٩ مايو سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥١ (الطبعة الأولى سنة ١٩٥١).

مظاهرات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

(الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧)

الكفاح في القتال سنة ١٩٥١ - حروب القاهرة سنة ١٩٥٢.

وزارات للثوقين - أسباب الثورة - فاروق يهود للثورة.

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩ (طبع سنة ١٩٥٩)

تاريخ الحركة القومية في مصر الحديثة :

من عصر التاريخ إلى الفتح العربي (طبع سنة ١٩٦٢)

مذكراتي (١٨٨٩ - ١٩٥١) :

تواصلي وشاهدي في الحياة.

شعراء الوطنية في مصر :

ترجمهم. وشعرهم الوطني. والتسابيح التي نظموا فيها قصائد لهم الطبعة الأولى سنة ١٩٥١

مجموعة النوازل وأعمال في الديوان : (جلس التواب الأول) طبع ١٩٦٥

أربعة عشر عامًا في الديوان

في مجلس النواب سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥

وفي مجلس الشيوخ من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١١٥١ (طبع سنة ١٩٥٥)

### كتب مختصرة

مصطفى كامل :

باحث للثقة الوطنية (طبع سنة ١٩٥٢)

بطل الكفاح : الشهيد محمد فريد : (طبع سنة ١١٥١)

الزعيم القادر أحمد عرابي :

(الطبعة الأولى - يناير سنة ١٩٥٢)

جمال الدين الأفطري : (طبع سنة ١٩٦٦)

بحث وتحليل مطهدة سنة ١٩٣٩ :

استقلال أم حاية (طبع سنة ١٩٣٦)

كتب لطفية أندلس القومية :

(طبع سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩)

مصر المجاهدة في العصر الحديث :

في ست حلقات تشتمل على كفاح الشعب في عهد الحملة الفرنسية ثم كفاحه في العهود التالية إلى بداية

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

تاريخ مصر القومية :

من الفتح العربي حتى عصر المقاومة والحملة الفرنسية طبع بعد وفاة المؤلف

(تحت الطبع)

مشاركاتي من دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام.



To:

**WWW.AL-MOSTAFA.COM**